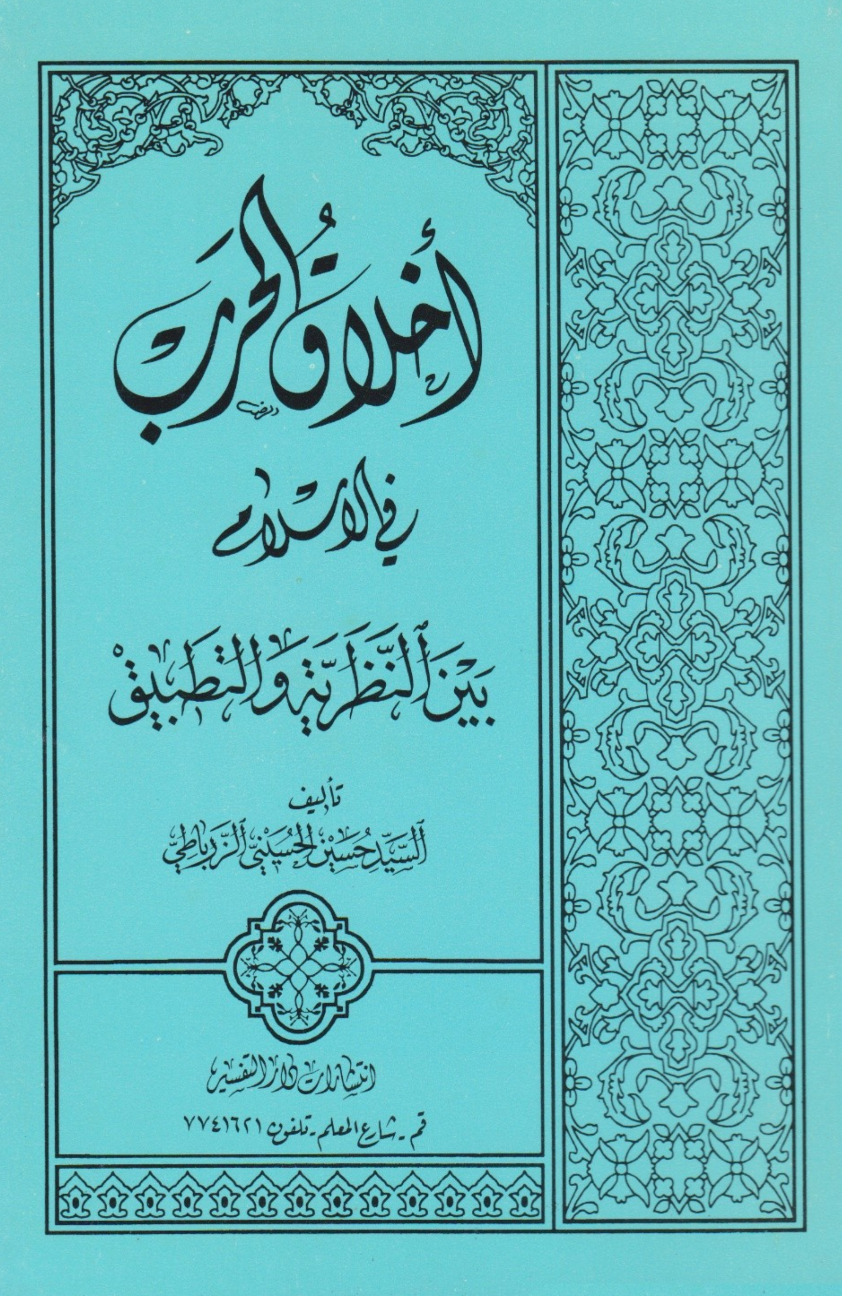


أخلاق الحرب
في الإسلام
بين النظرية والتطبيق
تأليف
السيد حسين الحسيني الزرباطي
انتشارات دار التفسير
قم - شارع المعلم - تلفون ٧٧٤١٦٢١

أخلاقُ الحَربِ

في الإسلام

بين النظرية و التطبيق

تأليف

سيدحسين الحسيني الزرباطي

2002 م ـ 1422 ه.ق ـ 1381 ه.ش

إنتشارات دار التفسير

هوية الكتاب

اسم الكتاب: .... اخلاق الحرب في الاسلام

المؤلف: .... السيد حسين الحسيني الزرباطي

الناشر والمطبعة: .... دار التفسير اسماعيليان

الطبعة وتاريخ النشر: ... الأولىٰ 1422هـ.ق، 2002م، 1380هـ.ش

العدد: .... 1000 نسخة

السعر: .... 700 تومان

شابك: .... : 7 ـ 84 ـ 6398 ـ 964

العنوان: ايران ـ قم ـ شارع معلم ـ هاتف 7741621 ـ 251 ـ 0098

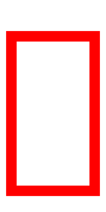


P كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتاَلُ وَهوَ كُرْهٌ لَكُمْ

O وَعَسىَ أنْ تَكْرَهوُا شَيْئاً وَهوَ خَيْرٌ لَكُمْ (1)

P صدق الله العلي العظيم O

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 216.



الحرب مصطلح ألفه الانسان منذ أقدم العصور، وظاهرة عاش مشاهدها المروعة وأشكالها المختلفة الجيل بعد الجيل، وقد تذوقت البشرية من خلالها مرارة آثارها السلبية كما لمست بركات جوانبها الايجابية عبر سني الدنيا.

وتعامل الانسان مع هذه الظاهرة كواقع لا دافع له، تارةً علىٰ كره وأخرىٰ علىٰ رضىٰ، بعد الاذعان بعدم إمكان تجنبها. ولم يعد فعل الحرب عنده بعد التأليف أمراً غريباً أو تصرفاً شاذاً يؤاخذ علىٰ الاطلاق من خاض غمارها، فالانسان مع ميله

الـذاتي إلىٰ الوئـام ورغبتـه في التعـايش السـلمي وتمنيـه عـدم وقـوع المكـروه، لا يـأبىٰ الحـرب إذا توقف أمنـه واسـتقراره ووئامـه علىٰ وقوعها؛ بـل ويوجبها أحياناً ويـرغّب فيهـا مـع علمـه بمـا تتطلب من ثمن. وهــو أمــر طــبيعي عقلائي غايــة الأمــر تختلف الاراء والاحكام في حُسـن بعض المصـاديق وقُبح بعضها الإخر تبعاً للرؤىٰ والمواقف تعود جذور الاحكام الخاطئة منها عنـد بعض الافكـار إلىٰ عـدم الاحاطة بأبعـاد الحـرب المختلفة، أو عـدم التميـيز بين المشــروع من الحــروب وغــير المشــروع، أو التعمد في الحكم للنيل من خصم.

والحرب في منطق الـدين وسـيلة وعلاج أخـير لإحلال الســـلام والامن والعـــدل في المجتمـــع الانســاني وقــد خــاض بعض الانبيــاء وفي مقــاطع زمنية مختلفة الحـروب بـأمر من اللـه تعـالىٰ، كمـا استخدمها الانسان عبر التاريخ وبغـير أمـر من اللـه غالباً لأهداف مختلفة، منها مشروعة وكثير منها غير مشروعة. وقد تكفلت كتب التاريخ احصاء الحروب المشـهورة وبيـان تفصـيلاتها، كمـا لم تخـل الكتب السماوية المنزلة من ذكر بعضها.

ربمـا لم يكن مغاليـاً من قـال ان الحـرب فن وعلم بعــد أن أذعن المجتمــع الانســاني بلزومهــا أحيانـاً وضـرورتها هجومـاً ودفاعـاً، وقـد دفـع هـذا

الاذعان بالمجتمعات المتحضرة في عصورنا إلىٰ تخصيص مدارس خاصة وجامعات مستقلة لدراسة فن الحرب، كما دفع بالباحثين إلىٰ الخوض في دراسة الحروب والتعمق في تحليل مفهومها وبيان أصولها وحدودها وأخلاقياتها وما إلىٰ ذلك من جهات، ولو قدر لأحد إحصاء الكتب المؤلفة فيها والمقالات المتعرضة لها لبلغ كماً هائلاً من الكتب، أذكر كمثال ماجاء في الجزء التاسع من مصادر النظام الإسلامي تحت عنوان "الحرب والسلم في الاسلام" لمؤلفه الاستاذ عبد الجبار الرفاعي أنه ذكر في مؤلفه هذا 1208 عنواناً تم تصنيفها تحت 68 رأس موضوع باللغة العربية فقط، وقس علىٰ هذا باقي اللغات.

علىٰ هذا ليست الحرب بالبدعة التي يوصم مرتكبها بالشين لمجرد ارتكابها كيف وقد فرّط عقلاء البشر في ممارستها، واعتادت العقول المثقفة في عصرنا الحاضر علىٰ خلق مبرراتها لأهداف مختلفة قد لا تستوجب اكثرها تعريض الانفس والأموال للمخاطر. نعم، اذا كان لابد من اعتبار الحرب ميزاناً لتقييم الافكار والانظمة والاشخاص، فالعقل يحكم حينئذ بالتمييز بين الحرب المذمومة الغير المشروعة التي تفتعل لإرضاء الاهواء وبين الحرب التي يفرضها العقل

لإحقاق حق وإماتة باطل خدمة للانسانية. ليعلم بهما المنطقي من غير المنطقي، إذ ليس لأحد أن يوصم من غير تمييز جهة ما بالباطل لمجرد دخوله في قتال.

لقد دأب بعض أتباع النظريات عبر التاريخ وفي ساحة الحرب الباردة القائمة علىٰ قدم وساق بين نظرياتهم المطروحة في سوق الافكار الاصلاحية المتنافسة علىٰ قيادة البشرية استخدام الصورة المشوهة من الحرب دائماً في هجومها الإعلامي علىٰ سياسات وأفكار مخالفة للحط من منزلتها وتشويها لسمعتها، ومن هذا المنطلق استهدفت جهات كثيرة معروفة في القرون الاخيرة دين الاسلام ذا النظرية الاصلاحية المعروفة منذ أكثر من الف وأربعمائة سنة باستخدام هذا السلاح، فروّجت في إعلامِها مقولة قيام الاسلام بالسيف ودموية فكرته واعتماده الارهاب منذ ظهوره، واستعانت في دعم هذه الاقاويل التي لا أصل لها بذكر الحروب التي خاضها المسلمون في صدر الاسلام دون إشارة إلىٰ واقع الاحداث، للتغرير بجماهير الناس سيما الطبقات الشابة، وخلق صورة مشوهة من الاسلام في أنظارهم من غير وجه حق تحقيقاً لأغراض خاصة لا يبلغوها إلا بغياب الاسلام

المزاحم لباطلهم، وهو ما دعانا إلىٰ تسويد هذه الصفحات ببيان لمحة مختصرة عن مجريات الاحداث في الفترة الزمنية التي يتهم فيها الاسلام بالدموية والارهاب.

إن الحديث في هذا الكتيب يدور حول مفهوم الحرب وبيان أخلاقياتها ومدىٰ مشروعية الوقائع التي شهدتها الساحة الاسلامية من خلال العرض السريع للحروب التي خاضها المسلمون سواءً مع الاعداء الخارجيين أو في حروبهم الداخلية حيث يقف المنصف فيه علىٰ موقف الاسلام الواقعي من الحرب والسلام ومدىٰ التزام الدين العملي بأخلاق الحرب في ساحاتها ويتعرف علىٰ لطائف الاحكام التي سنها في هذا المجال من خلال آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة ومن خلال التطبيق العملي لتلك الاحكام في الساحة الواقعية للحرب والجهاد كما يتيح لطالب الحقيقة الوقوف علىٰ ما افتعله خصوم الاسلام من أقاويل باطلة وتفسيرات بعيدة عن الواقع زوراً وبهتاناً من أجل تشويه الحقائق وتشويش الاذهان.

لقد خاض المسلمون عبر التاريخ الإسلامي معارك خارجية مختلفة، منها دينية بحتة ومنها سياسية مفتعلة باسم الدين، نسب المؤرخون جميعها إلىٰ الاسلام باعتبار المشاركين فيها، سواء

الواقع منها في عصر الرسول OaP أو بعد عصـره، كما وقعت مواجهات داخلية عديدة بين المسـلمين أنفسـهم في الازمنـة الـتي تلت عصـر الرسـالة، تولدت أكثرهـا نتيجـة صـراع علىٰ السـلطة، يقـف المتتبع لأحـداثها علىٰ صـور متضـادة من تصـرفات المتقاتلين فيها؛ ربما تعكس في أذهان الكثير ممن لم يقفـوا علىٰ حقـائق التـاريخ الإسـلامي، صـورة بعيدة عما ندعيه من أخلاقيات الحـرب في قـانون الاسلام، ومن أجل هذا نرىٰ من اللازم التنبيـه علىٰ ضرورة التمييز بين القانون الإسلامي وبين ما وقـع كثيراً في الساحة الاسلامية باسـم الاسـلام؛ لنقـف علىٰ حقيقة موضوع الحكم ما دمنا في صـدد حكم نحن مسؤولون عنه أمام الله والانسـانية والتـاريخ، ولنكون بذلك قد حكمنـا وفـق معيـار صـحيح يليـق بشأن المثقف الحر.

لا أظن أن أحداً من الناس سواء أهـل الاديـان أو أصـحاب السياسـات ينتظـر أن يـرىٰ الشـعب المسلم بأسره منذ صدر الاسـلام وإلىٰ يومنا؛ أمـة ملتزمـة بـدينها علمـاً وعملاً لا ينبغي أن يشـذ منهـا أحد ولا ينبغي أن يصدر من أحدهم خلاف مـا سـنّه دينه، هـذا التوقـع وإن كـان هـو أمنيـة الـدين قبـل الانسـان، إلا أن تحققهـا شـبه محـال مـا دام أتبـاع الاديان والقوانين هم بشر، وهو أمر لا يختص بدين

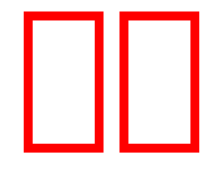
الاسلام. ومع الوقـوف علىٰ هـذه الحقيقـة يسـهل تفسير المواقف المتناقضة والمفارقات التي تظهر من خلال الاحداث الواقعة بين المسلمين أنفسـهم أو بينهم وبين غـير المسـلمين عـبر أيـام التـاريخ الإسلامي. إن المسلمين شـأن غـيرهم من الملل، فيهم الملتزم بقوانين دينـه ومنهم دون ذلك، ونحن إذ نتحـدث عن أخلاق الاسـلام في الحـروب سـواء الخارجيـــة أو الداخليـــة نريـــد أولاً وبالـــذات نفس القوانين المسـنونة، ونريـد بالمرتبـة الثانيـة سـيرة أتباع الاسـلام الملـتزمين بـدينهم فهمـا الملاك في الحكم للاسلام أو عليه.

أمـا غـير الملـتزم أو المتسـتر بالاسـلام الـذي يروم بلوغ هدف خاص باسم الاسلام فهـو محكـوم من قبـل الاسـلام قبـل غـيره ممن لـه حكم في الناس؛ ولأجل ذلك اقتصرنا في هذا المختصر كمـا أشرنا علىٰ الحروب والمناوشات العسـكرية الـتي وقعت في عصـــر الرســالة بـــأمر وإشـــراف من الرسـول OaP، كمـا اقتصـرنا في مجـال الحـروب الداخليـة علىٰ وقعـتي الجمـل وصـفين باعتبـار وقوعهمـا في عهـد خليفـة من خلفـاء المسـلمين مُجمع علىٰ خلافته لنقدم من خلالها صورةً واضـحةً عن روح القـانون الإسـلامي متمثلـة في السـيرة الحقيقية، ليقـف اللـبيب علىٰ الحكم والتطـبيق

ويتضح لديه أن الكثير مما وقع باسم الاسلام لا يمت إلىٰ الاسلام بصلة ولا ينبغي أن يكون مصدر حُكم علىٰ الاسلام.

وختاماً لا يسعني إلا أن أقدم فائق شكري وتقديري لفضيلة الاخ الاستاذ الحجة الدكتور محمد جعفر المحلاتي الذي كان السبب في كتابة هذا المختصر والمشوق له حيث أعانني علىٰ اقتناص الايام التي جمعت فيها مطالبه من جملة السنين العجاف التي أكلت عمري بالتشرد والضياع في تيه الحيرة بتأكيده المستمر ومتابعته لمطالبه، كما لا أنسىٰ الموقف النبيل والسعي الجميل الذي بذله أخي وصديقي الحجة الشيخ محمد بركت أمين مكتبة مدرسة ولي العصر بشيراز في هذا المجال بما قدمه من جهد في سبيل اتمامه فجزاهما الله بما بذلاه أفضل الجزاء؛ والحمد لله رب العالمين.

سيدحسين الحسيني الزرباطي
16 ربيع الاول 1422، 9 حزيران 2001
إيران ـ شيراز



ـ مفهوم الحرب:

للحرب في اللغة معنىً عام يشمل مطلق الخصومة والمعاداة ــ الحرب الباردة والحرب الحارة ــ وهو المراد من قول اللغويين في تعريفهم للحرب: "نقيض السلم"[1]

قال الجوهري: "وانا حرب لمن حاربني أي؛ عدو"[2] وقال الفراهيدي: "ودار الحرب: بلاد المشركين الذين لا صلح بينهم وبين المسلمين"[3]. وفي المقامين استعملت اللفظة في مطلق العداء. كما سمّىٰ القرآن المعصية والمخالفة حرباً، في قوله: Pفَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا

---

1) ـ كتاب العين ج3ص213، الصحاح ج 1 ص10، لسان العرب ج 1 ص302.

2) ـ الصحاح: ج 1 ص108 مادة حرب.

3) ـ كتاب العين ج 3 ص214.

بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِO و[1] P إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا O [2] فعد ارتكاب المعصية ومخالفة الاوامر الالهية وإرشادات الرسول حرباً والمعنىٰ الثاني للحرب خاص، وهو "المقاتلة والمنازلة"[3].

وقال الزبيدي في تاج العروس "ولشهرته يعنون به القتال"[4].

والمقصود في بحثنا هو هذا المعنىٰ الخاص، لا مطلق العداء والمنافرة، والحرب بهذا المعنىٰ معروفة لدىٰ الجميع، لا يختلف في ماهيتها اثنان لكثرة وقوعها بمشهد الاجيال؛ وان اختلفت مصاديقها.

يرىٰ **Oppenhiem** [5] أن: الحرب عبارة عن جدال بين دولتين بهدف الغلبة وتحميل شروط الجهة المنتصرة عن طريق استخدام القوة

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة المائدة، الآية: 33.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 279.

3) ـ مجمع البحرين ج 1 ص 481.

4) ـ تاج العروس ج 1 ص 205.

5) ـ جنگ وصلح از ديدگاه حقوق وروابط بين الملل: ص 4.

العسكرية. بينما يعرفهـا Verdoss[1] بقوله: هي جدل مسلح بين الدول، تعلق فيـه جميـع العلاقـات السلمية. وعرفها غيرهما بما يشبه تعريفيهما.

وهي تعاريف يغلب عليها الـنزاع اللفظي أكـثر من كونهـا حـدوداً تامـةً لكلمـة الحـرب بمعـنىٰ المقاتلة، فالكلمـة كثـيراً مـا تسـتعمل في العـرف الـدولي بمعناهـا العـام المتقـدم لمجـرد قطـع العلاقات والتهيأة للقتال. فاعلان حالة الحـرب بين دولتين لا يعـني بالضـرورة اسـتعمال السـلاح، بـل يصـدق بمجـرد الوعـد والوعيد، واسـتعمالها في الفرد الاكمـل الـذي هـو الـنزاع المسـلح من بـاب تسـمية الخـاص بالعـام. كمـا لا داعي لتخصيصـها بالجـدل بين دولـتين أو الـدول، لإطلاقهم الحـرب علىٰ النزاعـات الداخليـة ــ الحـروب الاهليـة ــ ولوقوعهـا قبـل تأسـيس الدولـة وترسـيم الحـدود السياسية بين الملـل والاقـوام. وكم من الحـروب وقعت بين الكتل البشـرية في أرض واحـدة وربمـا ملّـة واحـدة لأسـباب دينيـة أو قبليـة أو لصـرف العـــدوان، وليس من الانصـــاف اخـــراج تلـــك المصادمات التي وقعت قبل التـاريخ أو بعـده قبـل

---

[1]) ـ جنگ وصـلح از ديـدگاه حقـوق وروابـط بين الملل: ص 4.

تشكيل الدول من حيز الحروب وهي لا تقل أهمية من حيث الكم والكيف قياساً بضروفها من أحــدث الحروب في العصر الحديث.

نعم إن كان المراد من هذه التعاريف خصوص الحرب في عصر القانون الدولي وفي حدود عرفه فلا بأس، وعلىٰ كل حال فالذي يهمنـا من تعرضـنا للتعريـف هـو الاشـارة إلىٰ ابـرز أفرادهـا وأعـني الصراع المسلح الذي هو محور حديثنا الـرامي إلىٰ القاء الضـوء علىٰ جـانب من جوانبهـا المتمثـل في قانونها واخلاقياتهـا من خلال المنـازلات الواقعـة لا سيما تلك التي شهدتها السـاحات باسـم الحـروب الدينية لنقف علىٰ موقف نظرية الدين من الحرب وقوانينها الخاصة بها.

ـ المكروه الضروري احياناً:

الحرب ذات جهتين: مقيتة مكروهـة لمـا ينجم عنهـا من آلام، بمـا تتضـمن من خسـائر بشـرية ومادية جسيمة، وجميلة محبوبة لمـا يـترتب عليهـا من آثـار مطلوبـة مثـل دفـع الفسـاد ورفـع الظلم واحقاق الحـق وفـرض السـلام والامن ومـا شـابه. والمفروض عقلا أن تكـون آخـر العلاج ــ وسنشـير إلىٰ رأي القـانون والـدين في ذلـك ــ فانهـا الشـر الذي لابد منه في وضـع حـد للازمـات المستعصـية

بحد الحسام . وبتعبـير آخـر هي أبغض الحلال بعـد فشل طرق العلاج الأخرىٰ قاطبـة وانحصـار العلاج فيه، وقد وصفها اللـه تعـالىٰ بـالجهتين المبغوضـية والخيرية، فقال (U): Pكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْO [1] كما نظم الشـعراء في مـدح الحـرب والعلاج بالسـيف اشعاراً أشاروا فيها إلىٰ منطقيته واختصاص القول الفصل به؛ فقد قال ابو تمام في السيف[2]:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقال المتنبي[3]:

حتىٰ رجعت وأقلامي قوائل لي: المجد للسيف ليس المجد للقلم

والحرب في منطق المؤجج نارها ومنذ وجدت موصـوفة بـالحق، فلا تجـد من بين اولئـك الـذين دخلوها طوال التاريخ من اقر ببطلان فعلـه وعـدم شـرعية عمله، بعـد أن أسـاء الكثـير من البشـر استخدام هذا العلاج في قضاياهم، فلكل مـبرر في خوضـها يـراه مشـروعاً ومعـذراً لـدخول الصـراع.

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 216.

2) ـ ديوان ابي تمام ج1ص45.

3) ـ ديوان المتنبي ج 4 ص159.

فالظالم والمظلوم كلاهمـا يـدّعيان الصـواب فيمـا أقــدما عليه. إلاّ أن الحــق في لســان العقــل هــو خلاف ذلك، فإن القتال وان كان من حيث الشـكل واحداً بالنسبة إلىٰ طـرفي القتـال، إلاّ أنـه مختلـف من حيث المعــنىٰ. فهــو مشــروع وحــق وفخــر وشرف وجميل، يوصف فاعله بالشجاعة فيمـا لـو كان الهدف حقـاً، وغـير مشـروع وعـدوان وضـعة وقبيح، يوصف مرتكبه بالتهور، فيما لو كان الهدف بــاطلاً، فليس دفــاع المهــاجَم ظلمــاً في الحكم كزحف المهـاجِم عـدواناً، وان تكافـأ الطرفـان في فعل الكر والفر.

وقد تعرض مشـرعوا القـانون عـبر القـرون ــ في طريق تمييزهم بين الحـرب المشـروعة وغـير المشروعة بعد اتفاقهم علىٰ عـدم امكـان اجتنابهـا بـالمرّة ــ لبحث المـبررات والاهـداف الـتي منهـا يمكن تميـيز الحـرب المشــروعة من غيرها، وقـد اضطربت كلماتهم في ذلك وتشـتت آراؤهم، فمـذ عهد ارسطو وافلاطون إلىٰ يومنـا هـذا، والمسـألة مـورد نقـاش وتضـارب بسـبب اختلاف الظـروف وتطور المجتمعات وتفاوت النظريـات، وكـل ذلـك يؤكد أهمية هذا الموضوع.

إذن الاهداف والمبررات التي تقع الحــرب علىٰ

ضـوئها، هي المحـور الاسـاس في تشـخيص نـوع الحـرب من حيث المشـروعية وغـير المشـروعية، وهي الـتي تقـع غالبـاً مـورد الشـبهة والـنزاع بين الاقوام والافكار ـ كمـا اشـرنا ـ بعـد الاختلاف في تفسـير المفـاهيم وتأويـل الالفـاظ بحسـب مقـدار تحضر الاقوام وغرض الافكار. وعلىٰ هذا الاســاس صنف القدماء الحروب[1] حسـب عللهـا ودوافعهـا إلى:

أ ـ حـروب القبائـل والعشـائر الناجمـة عن الغيرة والمنافسة.

ب ـ حروب العـدوان: الصـادرة من الجماعـات والفئـات الـتي تـتربص الفـرص لإغتنـام حقـوق الإخرين وتجعل معاشها فيما بأيـدي النـاس فمن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب والغزو.

ج ـ حروب الجهـاد [الحـروب الدينية]: وهي الناجمة عن الغضب لله والدين والمقدسات.

د ـ حروب القدرة: وهي الحـروب الـتي تشـنها الحكومــات والــدول علىٰ الخــارجين عليهــا والمهددين لمصالحها، وهي الناجمة عن الغضـب للملك والحرص علىٰ توسيعه. قال ابن خلـدون:

---

[1]) ـ راجع تفصيل انواع الحروب في تـاريخ ابن خلـدون: ج 1 ص 271.

"الصــنفان الاولان منهــا حــروب بغي وفتنــة والصنفان الاخيران حروب جهاد وعدل "[1].

وقد يؤاخذعلىٰ اطلاقـه الحكم ببطلان صـنفين وصحة صنفين، وكـان الأجـدر بـه إمـا أن يخصـص الاولين بالبادئ عدواناً والاخـريين بـذي الحق، وإمـا أن يفصّل في الاصـناف حسـب المـبررات الباعثـة للحـــرب، فـــإن الحـــروب الصـــليبية شـــنت علىٰ المسلمين باسم الـدفاع عن الـدين، كمـا أن بعض غارات المسـلمين في عصـر الرسـول OaP كـانت إجهاضية بدأ بهـا المسـلمون فليس من العـدل أن نقـــول بصـــحة الأولىٰ وبطلان الثانية، فللحـــروب ظـروف وملابسـات يجب أن تؤخـذ بنظـر الاعتبـار في الحكم. فليس كل باديء بظالم ولا كل مــدافع بمظلوم.

وإذا علمنـا أن المـبررات مهمـا كـانت وجيهـة فهي غير كافية في تجويز التوسل بالعلاج المسـلح مـع امكـان غـيره من الحلـول، وأن هنـاك اعـذاراً مختلقـة وتفسـيرات أهوائيـة خاطئـة اسـتخدمت وتسـتخدم عمـداً أو جهلاً لتحقيـق بعض الاغـراض والاطمـاع، لأمكن جعـل الحـرب والقتـال بتحليـل ألاهـداف والمـبررات محكـاً للتميـيز بين المنطقي

[1]) ـ تاريخ ابن خلدون: ج1 ص271.

من البشـــر وغـــير المنطقي منهم، وفرقانـــاً بين العقلاني من الانظمـة القائمـة وغـير العقلاني، ولا عبرة بعد ذلك بنتائج الصراع.

ولا فرق في القتال والمنازلة علىٰ هذا في ان يقـع بين فـردين أو قبيلـتين في بلـد واحـدأو بين دولتين مستقلتين، ما دام صرف وقـوع الفعـل هـو موضوع الحكم، فمتىٰ ما حصـل الموضـوع تبعـه لا محالة حكمه. غاية الأمـر يكـون الحكم دائـراً مـدار الموضوع مـع ملاحظـة منشـئه لا صِـرف العنـوان، وبما أن الموضوع ـ اعني نفس القتال والمنازلة ـــ واضـح المعـالم لا يحتـاج إلىٰ مؤونـة زائـدة في تعريفه وتشخّصه، يبقىٰ المـبرر لـه والمنشـأ الـذي تسـبب في وجـود العنـوان والـذي هـو جـزء علـة الحكم، فـــذاك مـــا ينبغي ان يخضـــع للتحليـــل والتشـخيص. وتحديـد الأسـباب وتمييزهـا هـو بيت القصيد في المناقشات الطويلـة الـتي تـدور غالبـاً عقيب الحـــروب في محافـــل القضـــاء الدولية، والمصلحين من البشر، لتعيين المحق من المبطل من طرفي الصراع. كما أن للدين نظره في ذلك.

ورغم ظاهرة التقنين السـائدة في جميـع دول العالم، وتخصيص مراجع قانونية عالمية، والسـعي الدولي من أجل وضـع حـد لإسـتخدام السـلاح، لم

نقف ومع الاسف علىٰ معيار دولي ثـابت في ذلـك يراعيٰ عنـد اللجـوء إلىٰ هـذا الخيـار ابتـداءً كـرادع وقائي عملي، بخلاف قانون الــدين في ذلك، حيث يمنع من وقوع جريمة الحرب الباطلـة اشـد المنـع وبمواد قانونية رادعة كما سنشـير إليهـا في محلـه وابرزها عدَّ من تجاوز حدوده محاربـاً للـه والـدين.

ونحن اذ نبحث عن قــوانين واخلاقيــات الحــرب، سوف نقتصر علىٰ القاء نظرة سريعة في موقــف الافكار المطروحة في العالم متمثلة في جبهتين:

- **النظام الدولي** المبني علىٰ اساس العقل ومـا توصل إليه مشرّعوا القوانين الدوليـة علىٰ ضـوء التجارب.
- **النظام الديني** المسـتمد من السـماء، ونوكـل أمــر ســلامة ملاكــات الصــراعات الخاصــة وأخلاقيات قتال الفئات والافـراد إلىٰ محـل آخر، لخــروج أكثرهــا عن منطــق العقل. بــل نحكم ببطلان أكثرهـا هجومـاً ودفاعـاً إلاّ مـا يسـتحق الدراسة وهو القليل.

لاشك أن نظرية الافكار ونظرية الدين، ســواء في المجتمعــات القديمــة أو الحديثة، لهمــا رأي مشترك في ضـرورة الحـرب احيانـاً، وإن اختلفتـا في تفسير موارد الضرورة فقد ابتنت كـل نظريـة

رأيهـا في ذلـك علىٰ ضـوء معيـار خـاص بنظريته، ومارست النظريتـان الحـروب عمليـاً عـبر التـاريخ بمشهد من البشر وباشـتراك منه، وليس لأحـد أن يدّعي أن الدين لا شـأن لـه بـالحرب وان مـا وقـع كان افتعالاً باسم الدين، بعد تصريح القرآن بخوض الانبياء لـه كسـليمان وموسىٰ ومحمـد صـلىٰ اللـه عليهم اجمعين، وأما أصحاب النظريات غير الدينية فحدث عن حروبها ولا حرج.

ولـو قـدّر لأحـد اسـتقراء الوقـائع الصـغيرة والكبيرة عبر التاريخ، لواجه ارقاماً خيالية مدهشـة من الاحـداث ومخلّفاتهـا من الـدمار الـتي تحملتهـا الشعوب والفئـات المباشـرة لها. كمـا لا شـك في أن شعوب العالم ومنها جنود القتـال، بغض النظـر عن انتمائهـا إلىٰ المدنيـة أو الـدين، تحلـل تلـك الصراعات المدمرة، خـارج نطـاق الانتمـاء حسـب نصيبها من الادراك، مبديـة الـرأي فيهـا تصـريحاً أو تلويحاً، والـذي يمكن تقسـيمها بحسـب آرائهـا إلىٰ فئات ثلاث: **فئة منتقدة لمطلق الصـراعات؛ وأخـرىٰ مؤمنـة بهـا جميعـاً**؛ و**ثالثـة مؤمنـة ببعض وكافرة ببعض**؛ مع استسـلام الكثـير من فئات البشر علىٰ مضض للواقع المر ظـاهراً، بعـد ان فعلت إعلام الانظمـة فعلتهـا في تهيـأة الاجـواء

لغلبة فكرة الحرب الأمر الذي سلب من اصحاب المنطق من الشعب أو الموالين فرصة الاعتراض أو العمل من أجل الحيلولة دون وقوع أمر كان الاجدر أن لا يقع في غالب الاحيان.

إنّ اختلاف الناس في أمر الحرب يهدينا إلىٰ حقيقة كامنة في رأي واحد من الإراء الثلاثة المتقدمة للمحللين بعدإخراج فئتين منها وهما الفئة المؤمنة بمطلق الحروب التي تنظر إلىٰ الحرب بمنظار واحد تحصر الحق في القوة. والفئة المنكرة لمطلقها وهم طلاب العافية المادية، فان هذين التحليلين مخالفان لضرورة العقل والدين الحاكمان بلزوم الحرب كآخر علاج للمشكلات المستعصية، فيبقىٰ التحليل الثالث الذي يؤمل استنباط الحقيقة منه، تلك الحقيقة القاضية بكون بعض الحرب باطلاً وبعضه حقاً، ولا كلام في تشخيص هذا الحكم، بل هو من حيث النظر مورد اتفاق أيضاً بل هو عين الشعار المطروح في سوق القانون وسوق الدين، فالجميع يقرون بأن بعض الصراعات غير عادلة، لا ينبغي أن تقع ابتداء، ويشجبونها بعد الوقوع، ويدعون إلىٰ احقاق الحق، وينادون بالسلام.

إنما الكلام فيما وراء النظرية والشعار، وفي

المعيــار الــواقعي الصــحيح الــذي ينبغي اخضــاع الحرب له بشكل عام في مجـال التطـبيق العملي قبل الشروع وبعده. والنظرية المثلىٰ في تشخيص موارد تجويز استعمال هذا العلاج، وحـدود جرعاته، لنتجنب كـوارث الحـروب الـتي لا تـترتب عليهـا إلاّ المفسدة. ومضـاعفات الحـروب الضـرورية الغـير الخاضعة للمعيـار الصـحيح في سـاحاتها المختلفة. فهل هناك اتفاق نظر بين المدنية والدين فيمـا هـو حق وما هو باطل، وبعبارة أخـرىٰ: مـا هـو المعيـار المجوز لدخول الحرب هجوما ودفاعاً؟

هذا ما لم نجـد عليـه اتفاقـاً، والـذي ينبغي أن يطرح علىٰ طاولة البحث علىٰ ضوء الحكم العقلي المتقدم والمتفق عليه، للوصـول إلىٰ حـل منطقي بعيد عن الاهواء والاغراض، يضمن العدالـة ويـوفر الاجـــواء المطلوبـــة لأمن وســـلامة الانســـان في العالم. ذلك الهدف الـذي هـو مصـدر حكم العقلاء في الارض بالادانة والتأييد لما وقع ويقع مســتقبلاً. وهي المسألة المهملة في المحاورات البشرية بعد أن تركت المدنية أمر الـدين وراء ظهرها، وأهملت نظرياتــه البنّــاءة بحجــة تطــور الفكــر البشــري، واكتفت بتفـــويض الحكم والقـــرار إلىٰ الانســـان وحده.

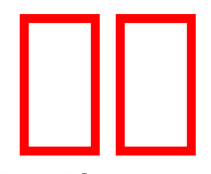
ربما لا يستسيغ السطحيون من ذوي الاغـــراض وأرباب السياسة هذا التفسير، بل وينكرون القـول بوجود خلط متعمد بين المنطـق والاهـواء في هـذا المجال منذ أن انفرد الانسان بحكومة الارض أشـد انكار، ذلك الخلط الـذي يشـاهد بوضـوح من خلال الازدواجيـة في المواقـف والتنـاقض في الاحكـام. ولم يقتصر رفضهم لغير تحليلاتهم علىٰ هذا المورد بل يتعداه إلىٰ كل أمر يتعلق بالحياة لهم فيـه رأي، فيحكمون بصحة أفكارهم ويستهزئون بمـا وراءهـا وإن كان هو الحق، فالمهم عند هؤلاء هو تحقيق ما يريـدون. وهي من أمـراض المدنيـة المتولـدة من الغـرور واسـتحكام الشـبهات في العقـول. وقـد استدرجهم إلىٰ رفض الواقـع منظـارهم السياسـي المستند إلىٰ المصـلحة الفئويـة أو الشخصـية، بـل يجادلون الحق بكل قـوة دفاعـاً عن باطـل غلفـوه بالحق تدليساً.

وهذا الخلط هو الذي روج سياسة غير متعادلة في المجتمـع البشـري سـمحت لأنظمـة الـدول القويـة عـبر التـاريخ أن تعطي لنفسـها الحـق في استخدام القوة متىٰ ما اقتضت مصلحتها حـتىٰ لـو كانت تلك المصلحة غير قانونية في نظر الإخـرين، وسُمح لبعضـها أن تنطلـق من منطلـق القيموميـة

علىٰ الإخــرين فتــدخل في حــروب بالمباشــرة أو تــؤجج نارهــا بين الإخــرين لمصــلحة اقتصــادية أو سياسية، دون أن تأخذ بالاعتبار عدالــة القضــية، أو تبالي بالاضــرار الفادحــة الــتي تــترتب علىٰ عملهــا إزاء ذلـــــك النفـــــع الشخصي، وأخـــــرىٰ تكن في ضــمائرها تحقيــق حلم الســيطرة علىٰ العــالم مــا أمكن فتخلق المبررات بخلاف ما هو مســطور في قوانينها علىٰ أن في عملهــا خدمــة للســلام والامن الدوليين. وهكذا تجد أكثر تبريرات الحروب منصبة في قالب قانوني مصطنع ظاهره المنطقية وباطنه عين الظلم والباطــل وقــد يتطلب تشــخيص الحــق في مثل قضاياها مزيداً من المناورة القانونية.

إن العينات المشهودة من الوقــائع في عــالمي الامس واليوم والتي يمكن اعتبارها منــابع حقيقيــة للحكم في مشروعية اتخــاذ قــرار الحــرب، ومــدىٰ التزام الاطــراف بــالمنطق والاخلاق في ســاحاتها، ليست بالقليلة، وهي تغنينا عن الادلــة الأخــرىٰ في اثبات مفارقات لا تنفــك عن النظريــات في مجــال التطــبيق، بــل وتســاعدنا في الوقــوف علىٰ أمثــل المشاريع القانونية في هذا المجال. رغم أن رجــال القانون قد بذلوا الوسع في احتواء مسألة الحـــرب من الناحيــة القانونيــة في أرقىٰ نظريــة تمثلت في

منشور الامم المتحدة.



نظرية الدين في السلام والحرب

ـ في التوراة:

"حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلىٰ الصلح فإن أجابت إلىٰ الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، واذا دفعها الرب الهك إلىٰ يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والاطفال والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً، فلا تستبقي منها نسمة ما" [1]. وفي التوراة أيضاً: " فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف،

---

1) ـ سفر التثنية الاصحاح 20 فقرة 10 ـ 17.

وتحرقها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، تجمع كـل أمتعتهـا إلىٰ سـاحتها، وتحـرق بالنـار المدينة، وكـل أمتعتـك كاملـة للـرب إلهك، فتكـون تلاً إلىٰ الابد"[1]. ولمعرفــة امثالهــا راجع: ســفر التثنيــة الاصـحاح 7 فقـرة 1ــ 2 وسـفر صـموئيل الاول، الاصــحاح 15، ورســالة بــولس إلىٰ العبرانــيين، الاصحاح 11 فقرة 32.

[1]) ـ سفر التثنية الاصحاح 13 فقرة 15.

ـ في الانجيل:

" لا تظنـوا اني جئت لألقي سـلاماً علىٰ الارض، مـا جئت لالقيّ سلاماً علىٰ الارض بل سيفاً "[1]

ـ في القرآن:

وردت في القرآن آيات كثيرة في شأن القتال منها:

ـ قوله تعالىٰ P كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُـرْهٌ لَّكُمْ O[2]

ـ P يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْقِتَالِ O[3]

ـ Pقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَـرَّمَ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَلَا يَـدِينُونَ دِينَ الْحَـقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ حَتَّىٰ يُعْطُـوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَO[4]

ـ P يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا قَـاتِلُوا الَّذِينَ يَلُـونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَـعَ الْمُتَّقِينَ O[5].

ـ P فَقَـاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْـرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَـانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ

---

[1]) ـ إنجيل متي الاصحاح 20 الفقرة 34.

[2]) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 216

[3]) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانفال، الآية: 65.

[4]) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 29.

[5]) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 123.

يَنتَهُونَ O [6].

ـ لفت نظر:

ينبغي هنا التنبيه علىٰ مسـألة مهمـة جـداً قـد يسـبب عـدم التوجـه إليـه حيفـاً في الحكم، تلـك المسألة هي: وجوب الفصل بين الـدين وبين بعض اتباع الدين عند دراسـة واقـع النظريـة الدينيـة في الحــرب من الــذين حــرفتهم الاهــواء عن جــادة الصـواب، فالاديـان وان تعـددت في الظـاهر فهي واحـدة في الواقـع مصـدرها الـرب الـذي آمن بـه الناس منذ خلق الانسان تتـابعت شـرائعها بحسـب التطور البشري حتىٰ بلغت ذروتها مع تكامـل نضـج الانسان، وهي تبدأ بالسلام أصلاً تدعوا إليـه وتـرغب فيه وتمقت العداء والفرقة وتنهىٰ عنهمـا إلا بـالحق، وفيمايلي نماذج من منطق الوحي في هذا المجال:

ـ **قوله تعالىٰ:** P وَقَـالُوا كُونُـوا هُـوداً أَوْ نَصَـارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَـلْ مِلَّةَ إِبْـرَاهِيمَ حَنِيفـاً وَمَـا قُولُـوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَــا أُنــزِلَ إِلَيْنَــا وَمَــا أُنــزِلَ إِلَىٰ إِبْــرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَــا أُوتِيَ مُوسَــىٰ وَعِيسَــىٰ وَمَــا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَـرِّقُ بَيْنَ أَحَـدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَـهُ مُسْـلِمُونَ فَـإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

---

6) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 12.

هُمْ فِي شِــقَاقٍ فَسَــيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُــوَ السَّــمِيعُ الْعَلِيمُ صِــبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَــنُ مِنَ اللَّهِ صِــبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ O[1].

ـ **وقوله تعالىٰ:** P آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُــونَ كُــلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِــهِ وَكُتُبِــهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَـالُوا سَــمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ O [2].

هذا هو منطق الدين، ومعه لا يجــوز اتهامــه أو ادانته من خلال مـا يفعلـه بعض المسـتغلين باسـم الدين سيما في مجال الحرب موضوع البحث، فإن ذلك جناية في حق الدين، اذ لا يتحمـل شـرع اللـه المسؤولية عن أفعال المنحرفين عنه. وبعد الفات النظر هذا نقول:

لاريب أن الـدين قـد سـبق الانسـان في سـنِّ الشـرائع والقـوانين للعـالم البشـري، وأن نظريـة الدين في الحياة غير خافية علىٰ أحد من العـالمين ممن آمن بالله من الاولين والإخرين، ولقـد سـعىٰ الانسان ردحاً من الزمن علىٰ تفـاوت في مراعـاة نظام الدين في شؤون الحيـاة سـواء في المجـال الاخلاقي الفــردي أو في مجــال قـانون المجتمـع

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآيات: 135 ـ 138.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 285.

والروابط الانسانية، لكن هذا التقييد تضاءل بمـرور الزمن بسبب عوامل اختلـف الانسـان والـدين في تفسـيرها، ففي الـوقت الـذي عـزىٰ الـدين هـذا الانحراف إلىٰ اغواء الشيطان للانسان وازلالـه عن جــادة الصــواب المتمثــل في قــانون الله، رأىٰ الانسان ذلك التراجع نتيجة طبيعية لتكامل الانسان وبلوغـه مرتبـة تشـخيص المصـالح المتجـددة مـع الزمن. وكأنه رأىٰ بعد التطور المزعوم وممارســة التجـارب أن النظـام السـماوي هـو صـرف نظـام أخلاقي للفــرد لا علاقــة لــه بــالامور الاجتماعيــة والسياسية، بل تجاوز بعضهم ذلك فأنكر أن يكـون للـه تعـالىٰ دور في شـؤون خلقـه بعـد أن خلقهم، قال تعالىٰ: P وَقَـالَتِ الْيَهُـودُ يَـدُ اللَّهِ مَغْلُولَـةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ O [1].

لقد قال الناس في الله ما شاؤا بعد أن غرّهم الشـيطان، قـالوا في قدرتـه وفي هـداه وارشـاده وفي نظامه وقانونه ما أشار إلىٰ بعضه القرآن:

ـ P وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِـذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنــدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُـوا أَشَـدُّ حُبّـاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة المائدة، الآية: 64.

لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ O [(1)].

ـ P وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ O [(2)].

ـ P وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ O [(3)].

ـ P وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ O [(4)].

وهي اشارات واضحة إلىٰ الموقف التراجعي من القانون الالهي الناشيء من ضعف الايمان بالله واستسلام الانسان إلىٰ مشتهيات النفس الامّارة دون العقل بوسوسة خط الباطل المعادي للحق. الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ الانفصال التام عملياً بين الانسان وخالقه. وعلىٰ الرغم من مخالفة الواقع العملي لموقف الانسان من نظام السماء

---

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 165.

[2]) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحج، الآيات: 3 ـ 4.

[3]) ـ القرآن الكريم؛ سورة لقمان، الآيات: 6 ـ 7.

[4]) ـ القرآن الكريم؛ سورة لقمان، الآيات: 20 ـ 21.

وانفراده بسن القوانين، لا تجد من أصحاب الافكار الوضعية التي حكّمت قبضتها في الارض من ينكر أصل نظرية الدين في الحياة، ولا غرابة في ذلك اذا علمنا أن جملة المفكرين الذين آثروا عقولهم علىٰ الوحي هم إما من اليهود أو النصارىٰ أو المسلمين المخدوعين بطيف المدنية وغرهم بالله الغرور من: P الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً O [1].

إنّ العجب كل العجب من هذا الانسان الذي أقرّ بنظرية السماء، ثم نبذها وراء ظهره ليفتح حانوتاً في الارض باسمه عدواناً علىٰ الله، ثم يسمح لنفسه أن يفعل ما يشاء دفاعاً عن نظريته واثبات صحتها وفرضها سلماً أو حرباً، وترويجها بكل الوسائل والطرق، ويرىٰ منطقية فعله وان استلزم الفساد. ولايسمح لله تعالىٰ في ترويج شريعته، والدعوة إليها والترغيب فيها، بل يرىٰ أن لا حق لله في ذلك والويل في انتظار من دعا إلىٰ الله وسعىٰ من أجل تطبيق شرعه وقانونه في الارض.

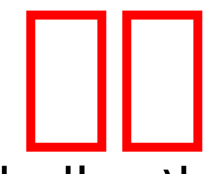
ومع انكار المدنية الحديثة لدور الدين في المجتمع الانساني بصورة عامة، وادعاء عدم كفاية

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة الكهف، الآية: 104.

جزئيات قانونه في مجـال الصـراعات القائمـة بين البشـر من قبـل دعـاة المدنية، لم نجـد بأسـاً من القاء نظرة في المأثور عن الدين في هذا المجال، لنقف علىٰ مدىٰ تطـابق رأيـه مـع مـا توصـل إليـه العقل المتطور، فاخترنا لإستطلاعنا هذا ما جاء بـه الاسلام لأسباب منها: كونه خاتمـة الأديـان؛ وكـثرة محتويـات ملفـه من النـاحيتين النظريـة والعملية، ولقرب عهـده بنا. لهـذا نتـابع بحثنـا فيـه بمراجعـة آيـات القـرآن والمـأثور من السّـنة ومـا وقعت من أحداث في مسير التاريخ الإسلامي.

- فهل الأصل في الاسلام ـ ممثل الاديـان ــ هـو الحرب؟
- أم أن الحرب حكم ثانوي يلجأ إليه في مواطن خاصّة باقتضاء الضرورة؟
- وما هو موقفه من هذه المسألة؟



الاسلام والسلام

ـ معنىٰ الإسلام والمسلم:

الاسلام كما هو ظـاهر من عنوانـه مشـتق من السـلام، والسـلام ضـد الحـرب. قـال الـراغب الاصـفهاني: "السـلام والسِـلم والسَـلم: الصـلح. والإسلام: الدخول في السـلم وهـو أن يسـلم كـل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه"[1]، وجـاء في [المُسـلم]: عن جعفـر بن محمـد الصـادق (c): [المسلم من سلم الناس من يده ولسانه][2].

ـ الاصل في الإسلام السلام: يمكن اسـتنباط الاصـل الاولي في الاسـلام بالنسـبة إلىٰ السـلام والصـلح والعـداء والصـراع من متـون الوثـائق الاسلامية الرسمية المتمثلة في القـرآن والسـنة النبوية ومن خلال ممارسـته العملية للحـرب في

1) ـ مفردات غريب القرآن: ص 240.

2) ـ معاني الاخبارللصدوق ص 239.

صدر الاسلام، ونبدأ بالكتاب المقدس القرآن وفيه:
ـ السلم و الصلح في القرآن
ـ **الآية الأولىٰ:** قال تعالىٰ في كتابه:
P يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ O [1].

قـال ابن جريـر الطـبري: "إن الـذين فتحـوا السـين وبعض الـذين كسـروها وجهـوا تأويلها إلىٰ المسالمة، بمعنىٰ: ادخلـوا في الصلـح والمسـالمة وترك الحرب "[2].

والخطــاب في هـــذه الآيـــة لا يقتصـــر علىٰ المسلمين بل هـو عـام يشـمل كـل من آمن باللـه سـواء من أهـل الكتـاب أو المسـلمين. فللقـرآن اسـاليب مختلفـة في خطـاب المسـتمعين، فتـارة يخاطبهم بـ"يا ايهـا الـذين آمنـوا" وأخـرىٰ"يـا أيهـا الناس" وأخرىٰ: "يا ايها الانسـان"، ولاشـكال في ذلــك اذا علمنــا أن بعض النــاس لم يــؤمن بغــير المـادة. وواضـح من ظـاهر هـذه الآيـة أن الـدعوة الأولىٰ في الاسلام هي دخـول الجميـع في الصـلح والوئام وبأخذ عموم "يـا أيهـا الـذين آمنـوا" بنظـر الاعتبار، تكون الدعوة عامـة لجميـع أهـل الاديـان، ويؤيد ذلك الكثير من الآيـات الأخـرىٰ الـتي خصـت

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 208.
[2]) ـ جامع البيان: ج 2 ص 440.

أهل الكتاب بالخطاب ودعتهم إلىٰ الوحدة والسلام كقوله تعالىٰ P قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ O [1].

ـ **الآية الثانية:** قال تعالىٰ:

P يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ O [2].

وشمول هذه الآية لجميع الناس مما لا غموض فيه، وفيها أيضاً دعوة الجميع إلىٰ التعارف والوداد والمواصلة، فالناس سواسية لا فضل لأحد علىٰ آخر إلاّ بتقوىٰ الله، وهو تعبير آخر عن الرغبة في السلام والصلح، فان الحرب تنافي التعارف والوصلة. ويعضده أيضاً ما جاء في آية أخرىٰ من تحديد لميزان الهداية والفوز بالجنة بقوله تعالىٰ P إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ O [3].

ويمكن أن يستظهر من هذه الآية أن الاسماء

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة آل عمران، الآية: 64.
2) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحجرات، الآية: 13.
3) ـ القرآن الكريم؛ سورة المائدة، الآية: 69.

والعنـاوين ليسـت بالمهمـة عنـد اللـه تعـالىٰ، وأن الـميزان عنـد اللـه هـو الايمـان بـه وبـاليوم الإخـر وصــدور العمــل الصــالح، ولازمــه الاجتنــاب عن الاعمال الطالحة التي من مصاديقها العدوان بغــير حق، والتكبر، والحسد، والمفاضلة، والحقد، وسوء الظن وغيرها من أمـراض النفس الـتي تـؤدي إلىٰ التباغض والتنافر والتكايـد بين الشـعوب. ولعمـري لو التزم جميع أهل الاديان بهذه الآية وحدها لنبــذوا كثـيراً من الخلافـات وراء ظهـورهم ولتمهـد الجـو لإيجاد ارضية خِصبة للتفاهم والمحـاورة تـؤدي إلىٰ صلح وسـلام بين أتبـاع كـل الاديـان، وبـذلك أمكن الاجتناب عن كثير من الصراعات والنزاعـات الـتي لا طائل من ورائها، ولطـوىٰ بـذلك صـفحة العـداء بعد أن يجعل كل انسـان تقـوىٰ اللـه نصـب عينيه، ويخلص نفسه من كثير من الخرافات والمجعولات الـتي ابتـدعها شـياطين الانس ممن تقمص ثـوب الدين في أديانهم، ويحكم العقل فيما يرد عليه من أمور كي لا يقـع في فخ الـذين يصـيدون في المـاء العكر من الذين يجدون ربح صــفقاتهم في اختلاف الناس في أي ثوب كان.

ـ **الآية الثالثة:** قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَـا النَّاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِــدَةٍ وَخَلَــقَ مِنْهَــا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً O [1]. خطاب آخر للناس يذكرهم بأصلهم وخالقهم، يحمل في طيه هدىٰ لأولي الالباب، فهي تذكرهم بأمور مهمة جداً، منها:

أولاً: أن الناس كلهم مربوبون لا أرباب، وان الله وحده هو الرب، وعلىٰ المربوب أن يراعي حرمات الرب ويؤدي حقه.

ثانياً: أن هذا الرب هو الذي خلق الجميع، فله علىٰ الناس من هذه الجهة فضل نعمة الخلقة، وهي نعمة كبيرة لا يوازيها نعمة، وينبغي شكرها.

ثالثاً: يذكر الناس في هذه الآية بحقيقة لا مجال لإنكارها وهي أن الناس جميعاً مخلوقون من نفس واحدة وأن أصلهم جميعاً آدم ابو البشر وزوجته حواء، فهم علىٰ هذا أخوة من أب واحد وام واحدة، ولا يُفصم عريَّ اخوّتهم النسبية الاختلاف والتمذهب وما إلىٰ ذلك؛ فهم اخوة علىٰ كل حال شاؤوا أم أبوا؛ ويؤيده قوله P إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ O [2] وهي نازلة في شأن

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء، الآية: 1.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحجرات، الآية: 10.

طائفتين من المؤمـنين اقتتلـوا، فعـد المتقـاتلين أخـوة للطـرف الثـالث المصـلح بينهما، فمـع أن احد المتقاتلين علىٰ باطل حتماً، فقد عد الجميع اخوة.

رابعاً: أمـر اللـه تعـالىٰ في هـذا الخطـاب جميـع الناس برعاية حرمتين، وبرعايتهما ينالون حظهم من الســعادة الدنيويــة والاخروية، ويتجنبــون مآسي الفرقة والمعاداة في دنياهم، والحرمتـان هما:

ـ حرمة الله تعالىٰ:

والتي تراعىٰ بتقـوىٰ اللـه وخشـيته، وبالتزامهـا يـأمن الانسـان من السـقوط في مزالـق الجهـل ويتجنب مضــلات فتن النفس الامــارة، لأن تقــواه يُلزمــه بالاســتجابة لحكم العقــل في كـل أعماله، وهكذا يكون رادع التقوىٰ عونا للانسانية في اصـلاح شأنها واستتباب أمنهـا بالحـد من موجبـات الفرقـة والتوترات الاجتماعية والتشويق في حفظ العلاقات العامة بالتزام الخلق الانسانية السامية المنبعثة من سلوك طريق العبودية لله.

ـ حرمة الرحم:

وهي الرادع الإخر الذي يمكن ان يكون عــاملاً مهما من عوامل الاتحاد والابتعـاد عن الفرقة، فلـو

علم الجميــع أنهم أخــوة حقيقيــون في النسب، يرجعــون إلىٰ أبٍ واحد، وان بينهم علقــة القرابــة التي يجب مراعاتها في كافـة الظـروف، لتغيـرت الاوضـاع كثـيراً عمـا عليـه في ظـرف الاحسـاس بالغربة والانقطـاع. فاشـاعة روح مراعـاة القرابـة والـرحم بين النـاس، وتـرويج منـافع صـلة القـربىٰ وثمراتها والمنافع الجمة التي تـترتب علىٰ الالـتزام بها ومضرات قطعها يساعد كثيراً في تهدئة الاجواء وتلـيين المواقـف ولهـذا جعـل اللـه تعـالىٰ رادع مراعـاة الـرحم في قبـال رادع التقـوىٰ في قولـه تعالىٰ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بِـهِ وَالأَرحـامَ ﴾ [1] وهكذا نجد الدين في سعيٍ دؤوب من أجل بث روح الاخوة بين الناس، وحثهم علىٰ ذلك تـارة عن طريق مراعاة التقوىٰ وأخرىٰ بتـذكر صـلة القرابـة بينهم اذا أنفوا من الانصياع للدين.

ـ **الآية الرابعة:** قال تعالىٰ:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَـابِ قَـدْ جَـاءَكُمْ رَسُـولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَـابِ وَيَعْفُـو عَن كَثِـيرٍ قَدْ جَـاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُـورٌ وَكِتَـابٌ مُّبِينٌ يَهْـدِي بِـهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَــعَ رِضْــوَانَهُ سُــبُلَ السَّــلاَمِ وَيُخْــرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَــاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِــهِ وَيَهْــدِيهِمْ إِلَىٰ صِــرَاطٍ

---

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء، الآية: 1.

مُّسْتَقِيمٍ O [1] وفيها التصريح بأن الدين نور، واتباعه سلوك لسبل السلام، في الدنيا والإخرة، وسلام الدنيا يشمل السلامة من ويلات الحروب والتعويض عنها بالوئام واستتباب الامن، وهو الذي أراده الله في قانونه للبشرية ابتداءاً. فحثهم علىٰ الالتزام بها لبلوغ هذا الهدف المطلوب. وقد كرر سبحانه وتعالىٰ هذه الدعوة بقوله P وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ O [2] فانه وإن يمكن حمل دار السلام في الآية علىٰ الجنة في الإخرة، إلا أن القول باطلاقها أوفق بالخط العام للشريعة المقدسة الرامية إلىٰ هداية الناس لما فيه خير دنياهم وأخراهم فسعادة الدنيا وسلامتها هي الخطوة الرئيسة لنيل سلامة الإخرة. ودعوته تعالىٰ هنا عامة أيضاً، لا تختص بفئة دون فئة فهو يدعو الجميع إلىٰ السلام واتباع سبله. ومن يدعو إلىٰ دار السلام ويهدي إلىٰ سبله لا يمكن أن يتهم بخلافه، بل ومحال أن يهمل ذلك في مجال التشريع، وليس أدل علىٰ ذلك من أن يسمِّي الله تعالىٰ نفسه بالسلام كما جاء في سورة الحشر بقوله تعالىٰ P هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ O [3].

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة المائدة، الآية: 15ـ16.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة يونس، الآية: 25.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحشر، الآية: 23.

ـ الآية الخامسة:

قوله تعالىٰ: P ادْفَعْ بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ السَّـيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَــا يَصِــفُونَO [1]. لا يخفىٰ أن اغلب المنازعـات والاعمـال العدائيـة تنجم عن الانصـياع السـريع لغضـب النفس من تصـرف غـير معقـول وبتعبير القرآن [سيئة] تصدر من الطرف المقابل، سواء كان ذلك بين شخصين أو قبيلتين أو دولـتين، فلو تركنا النفس وطبعهـا لبـادرت قطعـاً في الـرد بالمثل دوماً، لكن الله سبحانه وتعالىٰ وهـو العـالم بنتائج الامور يرىٰ أن المقابلة بالمثل ودفـع السـيئة بالسيئة ليست العلاج الشافي في جميـع الاحـوال، بل هناك موارد خاصة ينبغي اللجـوء إلىٰ مثـل هـذا الموقف، ولما كان الاصل في دين اللـه هـو احيـاء روح المودة والاخاء والامن بين النـاس، نـراه يحث الناس علىٰ مراعاة هذا الاصل، بتربية النفس علىٰ التزام الحكمة وعدم التهور، والسـعي مهمـا أمكن من أجــل الحفــاظ علىٰ روح الســلام وتهدئــة الاوضاع، فيـأمر بـدفع السـيئة بالحسـنة مـا أمكن، واتباع الاسهل فالاسهل في التصدي للمعتدي، فإن ذلـك أوفـق بتحقيـق الغـرض الاسـمىٰ الـذي هـو اجتناب الفتنـة ومـا يعكـر صـفو الـود في المجتمـع

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة المؤمنون، الآية: 96.

الانسـاني، ولهـذه الآيـة مـثيلات في القـرآن وهي بأجمعها تؤكـد مـا ذكرنـا سـابقاً من أن الاصـل في الدين هـو السـلام والمحافظـة عليهـا فمنهـا قولـه تعالىٰ:

ـ P وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّـيِّئَةُ ادْفَـعْ بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ فَـإِذَا الَّذِي بَيْنَـكَ وَبَيْنَـهُ عَـدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ O [(1)].

ـ P وَقُـلْ لِّعِبَـادِي يَقُولُـوا الَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَـنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّـيْطَانَ كَـانَ لِلْإِنسَـانِ عَدُوّاً مُّبِيناً O [(2)].

ـ P وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ O [(3)]

ـ P ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ إِنَّ رَبَّكَ هُـوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ O [(4)].

وكما تـرىٰ فـان هـذه الآيـات تـبين بشـكل لا يقبـل الشك وجهة نظر الدين في الوضع الـذي ينبغي ان يكون حاكماً بين البشر، فهو يريـد حكومـة السـلام

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة فصّلت، الآية: 34.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة الاسراء، الآية: 53.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة العنكبوت، الآية: 46.

4) ـ القرآن الكريم؛ سورة النحل، الآية: 125

ويريـد أيضـاً من النـاس ملاحظـة ذلك، ويرشـدهم إلىٰ الطريق الصحيح في دعـوة المخـالفين ابتـداء إلىٰ الحق، باللين في الدعوة والمجادلة بـالتي هي أحسن، وفيمـا لـو صـدر من الخصـم سـيئة فليكن دفعهـا بالحسـنة لا بسـيئة مثلها، والابتعـاد جهـد الامكان من اللجوء إلىٰ الخشونة في الرد وإن كان الخصم مسيئاً.

ـ الآية السادسة:

قولـه تعـالىٰ: P مِنْ أَجْـلِ ذَٰلِـكَ كَتَبْنَـا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْـرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَـادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَـا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً... O [1] وهي الأخرىٰ تشير إلىٰ حقيقة أن الدين يرفض قتل النفس بغير الحق، بل يعد قتلها قتلاً للناس جميعاً باستثناء صورتين:

ـ الأولىٰ: القتل قصاصاً، وهـو الـرادع النـاجع عن ارتكاب جرائم القتل، إذ لو علم القاتل أنه يقتـل بسـبب اقدامـه علىٰ القتل، لأمتنـع عن ارتكـاب الجــرم خوفـاً علىٰ نفسه، وبهـذا يقلـل نسـبة القتلة، ويـوفر الفرصـة للكثـير من النـاس ممن يقع ضـحية القتـل لـولا هـذا القـانون، ولـذا عـبر القرآن عن القصاص بقوله Pوَلَكُمْ فِي الْقِصَـاصِ

---

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة المائدة، الآية: 32.

حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَO [1].

ـ **الثانية:** القتل بسبب الافسـاد في الارض، فـان الذي استفحل فساده ولم يمكن دواء دائـه بعلاج كـان كالجرثومـة في جسـم المجتمـع البشـري، ينبغي القضـاء عليـه كمـا يقضـىٰ علىٰ جـراثيم الأمراض.

ـ **الآية السابعة:**

قوله تعالىٰ: P خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْـرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ O [2].

وهذه ارشادات ربانيـة لا يخفىٰ أهميتهـا في مجـال الحفاظ علىٰ التعايش السلمي بين الناس، طبقهـا النبي OaP وحث النـاس أشـد الحث في روايـات لا تحصىٰ علىٰ الالتزام به في السيرة العملية. وهناك آيات كثيرة أخرىٰ تدل علىٰ المطلوب اعرضـنا عن درجها خشية الاطالة.

ـ السلم والصلح في الروايات

ويدل أيضاً علىٰ كـون السـلام هـو الاصل في الدين، الروايـات الكثـيرة الـواردة في هـذا الشـأن نذكر هنا عددا منها علىٰ سبيل المثال فمنها:

1) عن رسـول اللـه OaP يـا أبـا أيـوب! ألا أخـبرك

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 179.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة الأعراف، الآية: 199.

وأدلك علىٰ صدقة يحبها [يرضىٰ] الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتباعدوا وفي نسخة اذا [تباعضوا وتباعدوا] [1].

2) وعنه OaP: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا نعم. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة[2].

3) وعنه OaP: أفضل الصدقة إصلاح ذات البين[3].

4) وعنه OaP: إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام[4].

5) وعنه OaP: مداراة الناس نصف الايمان والرفق بهم نصف العيش[5].

6) وعنه OaP: أنه قال لسلمان: يا سلمان، إن الناس لو قارضتهم قارضوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم أدركوك، قال: فأصنع

---

1) ـ مسند أبي داود: ص81، مجمع الزوائد: ج8 ص79، الكافي: ج2 ص209.

2) ـ مسند أحمد: ج6 ص445، كنز العمال: ج3 ص58، ومثله في الكافي: ج7 ص51.

3) ـ مجمع الزوائد: ج8 ص80، كنز العمال: ج3 ص58.

4) ـ وسائل الشيعة: ج18 ص441، الكافي: ج7 ص51 .

5) ـ الكافي: ج2 ص117.

ماذا؟ قال أقرضهم عرضك ليوم فقرك[1].

7) وعنه OaP: أعتىٰ النـاس علىٰ اللـه القاتـل غـير قاتله والضارب غير ضاربه[2].

8) وعن علي OgP: من كمال السعادة السعي في صلاح الجمهور[3].

9) وعنهOgP: وجـدت المسـالمة خـيراً مـالم يكن وهن في الاسلام أنجع من القتال[4].

10) وعنه OgP في كتابه للاشتر: لا تـدفعن صـلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضىٰ فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك[5].

11) عن الصادق OgP في قوله تعالىٰ: P وقولـوا للناس حسناً O قولوا للناس كلهم حسناً مؤمنهم ومخالفهم؛ أما المؤمنون فيبسط لهم وجهه وأما المخـالفون فيكلمهم بالمـداراة لإجتـذابهم إلىٰ الايمان فـإن اسـتتروا من ذلـك يكفي شـرورهم عن نفسه وعن اخوانه المؤمنين[6].

12) وعنهمOgP: إن مداراة أعداء اللـه من أفضـل

---

1) ـ مستدرك الوسائل: ج9 ص38.

2) ـ السنن الكبري للبيهقى: ج8 ص26.

3) ـ عيون الحكم والمواعظ: ص469.

4) ـ عيون الحكم والمواعظ: ص506.

5) ـ النهج ص105، خصائص الائمة ص123.

6) ـ مستدرك الوسائل ج9 ص36.

صدقة المرء علىٰ نفسه وإخوانه[1].

ـ السلم والصلح في السيرة:

يــرىٰ المتتبع، مــوارد متعــددة من اتفاقيــات الصــلح والمهادنــة الــتي وقعت بين المســلمين وأعدائهم تدل علىٰ ما ذكرناه من تحبيذ الصلح في الاسـلام علىٰ الحـرب مـا أمكن، ولـو قارناهـا بمـا سنذكره في محله من طريقة الاسلام في الـدعوة إلىٰ الايمان والاصلاح عملاً بـأمر اللـه تعـالىٰ بـذلك بقوله: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [2] تبين بما لا يقبل الشك أن الاسـلام دين سـلام وصـلح ابتـداء، كما أنه دين صلح حال الحرب إن طلب العدو ذلـك فانه يجاب إلىٰ طلبه ولوكـان العـدو يريـد الخديعـة كمافي قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّهُ هُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ يُرِيـدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُـوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْـرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

كل ذلـك من أجـل أن الاسـلام يريـد حقن الـدماء. وأن مـا كتبـوه عن الاسـلام من أنـه دين قـام علىٰ

---

1) ـ مستدرك الوسائل ج 12 ص 261.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة النحل، الآية: 125.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانفال، الآية: 61 ـ 62.

السيف ما هو إلاّ وهم وباطل، روجه أعداء الاسلام ظلماً. وإليك موارد عملية من معاهدات الصلح التي عقدها الاسلام مع الاعداء في الصدر الاول من الاسلام:

1 ـ مصالحات النبي OaP:

أ ـ الهدنة مع بني ضمرة قبل غزاة بدر.

ب ـ المصالحة مع بني النضير ـ وهم فخذ من جذام تهودوا ـ بعد وقعة أحد لما رأوا أنه لا قوة لهم علىٰ حرب رسول الله OaP؛ طلبوا الصلح فصالحهم.

ج ـ صلح الحديبية: وهي الهدنة التي وقعت بين النبي OaP والمسلمين من جهة وقريش مكة من جهة حقنا للدماء ورغبة في السلم، خلاصته: أنه لما خرج رسول اللهOaP للعمرة سنة ست للهجرة " منعت قريش من دخوله مكة وتحالفوا أنه لا يدخلها ومنهم عين تطرف. وقال لهم رسول الله OaP: ما جئت محارباً لكم إنما جئت معتمرا، قالوا: لا ندعك تدخل مكة علىٰ هذه الحالة فتستند لنا العرب وتعيرنا، ولكن اجعل بيننا وبينك هُدنة لا تكون لغيرنا، فاتفقوا عليها " علىٰ أن يرجع إلىٰ المدينة هو وأصحابه وعلىٰ أن يرد إلىٰ الكفار

من جاءه منهم مسلماً وأن لا يـدخل مكـة في القابل إلاّ ثلاثة أيام بسلاح المسافر فقط.

د ـــ المصـالحة مـع أهـل فـدك وأهـل الـوطيح وسلالم من اليهود بعـد فتح خيـبر. اضـافة إلىٰ معاهـدات صـلح فرعيـة ابرمهـا مـع كثـير من القبائــل المجــاورة للمدينــة خلال ســنوات الهجرة.

2 ـ مصالحة الخليفة عمر:

صالح الخليفة عمـر بن الخطـاب نصارىٰ بـني تغلب وبني نمير إذ كانوا يدينون دين أهل الكتاب.

3 ـ مصالحة الإمام علي OgP:

في أعتـاب النصـر في معركـة صـفين تنـازل الامـام علي OgP عنـد رغبـة بعض جنـده لقبـول الصلح والتحكيم، فقبلها ووقع علىٰ معاهدة الصـلح وتقيد بها رغم تراجع الذين أرغموه علىٰ الصلح بعد أن تبين لهم أن معاويـة خـدعهم برفـع المصـاحف والـدعوة إلىٰ الصـلح؛ فقـالوا لعلي OgP: "رجعنـا وتبنا فارجع انت ياعلي كمـا رجعنـا وإلاّ برئنـا منك. فقــال علي: ويحكم، أبعـد الرضـا والعهـد نرجـع أوليس الله تعالىٰ قال: P أوفوا بالعقود O وقال: P وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَـانَ بَعْـدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَـا

تَفْعَلُونَ O فأبىٰ أن يرجع.

4 ـ مصالحة الإمام الحسن بن علي OgP:

صالح الحسن بن علي OgP معاوية، وتنازل له عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين وقد كان النـاس بايعوه علىٰ الخلافة بعد ابيه علي بن ابي طالب Og P، فآثر حقن الدماء علىٰ خلافته.

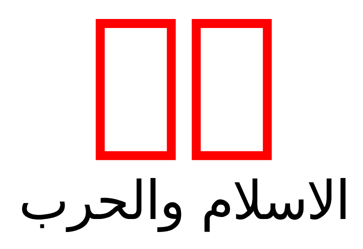
5 ـ مصالحة معاوية بن ابي سفيان:

صالح معاوية ملك الروم، وخلاصـة قصـة هـذا الصلح ننقلهـا عن ابن كثـير حيث قـال: " لمـا رأىٰ ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تـدانىٰ إلىٰ بعض البلاد في جنـود عظيمـة وطمـع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجـع إلىٰ بلادك يـا لعين لأصـطلحن أنـا وابن عمي عليـك ولاخرجنـك من جميع بلادك، ولاضيقن عليك الارض بما رحبت. فعند ذلك خـاف ملـك الـروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة "[1].

وهذه الموارد وأمثالها فيها الدلالة الكافية علىٰ ممارسة الاسلام لعملية السـلام وأن الاولويـة في نظريته لمقولة الصلح وحقن الدماء ما أمكن.

---

[1]) ـ البداية والنهاية: ج8 ص127.



الاسلام والحرب

اشرنا في البحث المتقـدم إلىٰ أن الاسـلام لم يبدأ دعوتـه بـالحرب، وإنمـا أمـر الرسـول والـذين آمنوا معه أن يجاهدوا بـالقرآن والحجـة والبرهـان، ويؤيد التاريخ ذلك وقد علم الجميع أن دعوة النــبي OaP في الســنوات الــتي عاشــها بمكــة كــانت مقتصـرة علىٰ دعـوة النـاس إلىٰ عبـادة اللـه بـدل عبادة غير الله وإلىٰ انتخـاب العـدل والفضـيلة في سلوكهم عوضاً عن الظلم والرذيلة، وقد عـانىٰ مـا عاناه في هـذا السـبيل حـتىٰ بلـغ الاضـطهاد قمته، ونفــوا المســلمين عن بلادهم فمنهم من فــرَّ إلىٰ أرض الحبشة ومنهم من خــرج إلىٰ المدينـة ومنهم من صــبر علىٰ الاذىٰ، كمــا دبــر أعــداؤه مــؤامرة اغتياله فاضطر إلىٰ الهجـرة من مكـة إلىٰ المدينـة وأمـر من تبقىٰ من أنصـاره بـذلك. وفي كـل تلـك

الاحوال كـان OaP ينفـذ تعليمـات ربـه الـتي كـانت ترده بالوحي والمتضـمنة الأمـر بالصـبر علىٰ الاذىٰ والـدعوة إلىٰ اللـه بالمجادلـة المنطقيـة الحسـنة، والأمر بالمعروف، والعفو والاعراض عن الجاهلين، وأن ينـاقش أهـل الكتـاب من اليهـود والنصـارىٰ باللين. ولم يشرع القتال كما لم يجـز اغتيـال احـد كل تلـك السـنين الـتي لاقىٰ النـبي ومن آمن معـه أشـد العـذاب من أعـدائهم، وقـد اشـرنا إلىٰ بعض تلك الآيات الآمرة بالـدعوة إلىٰ اللـه والداعيـة إلىٰ العدل والتعايش السلمي فيما تقدم.

لم يكف أعداء الدين عن التـآمر والسـعي من أجل القضاء علىٰ الـدين الجديـد حـتىٰ بعـد هجـرة المسلمين إلىٰ المدينة، بل كثفوا جهودهم في هـذا السبيل، ولما أطبق الاعداء علىٰ المسلمين نـزلت أول آية تأذن بامتشاق السـيف دفاعـاً عن النفس. وهي قوله تعالىٰ: P أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْـرِهِمْ لَقَـدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُـواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَلَـوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُـذْكَرُ فِيهَـاَ اسـمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُـرَنَّ اللَّهُ

مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ o [1].

اعطت هذه الآيـة الضـوء الاخضـر للمسـلمين للتهيـؤ والاسـتعداد لتلقي شـطراً آخـر من قـوانين النظـام السـماوي في الحيـاة، بعـد وقـوفهم من خلال الآيـات الكثـيرة الـتي نـزلت في مكـة علىٰ الأصـــل الاولي الـــداعي إلىٰ الوئـــام والســـلام والاعـراض عن كـل مـا يمت إلىٰ العنـف بصـلة. فكانت الدعوة هذه جـديرة بالتأمل، اذ كيـف يمكن تصور تجويز الاسلام للقتال الذي هو كره، مع كثرة الآيات الداعية إلىٰ السلام؟ وما هو قـانون الحـرب في الاسلام؟ وما هي الموازين التي يجب مراعاتها في تشخيص موارد جواز دخولها وعدمه؟

لقد كانت هذه الآية بحق فاتحـة بـاب آخـر من القـوانين المنطقيـة الـتي لا تنفـك عن أي نظـام عقلائي يمكن الوقوف من خلالها علىٰ رأي السماء في الحرب عموماً، فهل الحـرب مُنكـر مطلقـاً أم أن هناك موارد لابد فيها من استخدام القوة؟ وهـو مـا يمكن معرفتـه من خلال عـرض آيـات القتـال المتعددة الواردة في موارد خاصة، نتعرض لبعضها مع الاشارة إلىٰ اسباب نزولهـا ونـترك أمـر الحكم لها أو عليها لأولي الالباب من الناس، بعـد أن كـان

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحج، الآيات: 39 ـ 40.

الغرض من تقديم هذا المختصر هـو الوقـوف علىٰ نظرية الاسلام ممثلاً عن الاديان في هذا المورد.

أ: القتال دفاعاً عن النفس:

قوله تعالىٰ: P أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرO[1].

لاريب في أن الدفاع عن النفس ضد المهاجم، أمر طبيعي مشترك بين كافـة الموجـودات، ويؤيـد ذلك مشاهدة جميع الموجودات الحية مجهـزة كـل علىٰ قــدره بوســائل ذاتيــة للــدفاع عن النفس. والانسان من بين الكائنـات كـان لـه الحـظ الاوفـر في هذا المجـال ببركـة مـا منحـه اللـه من العقل، وبما أن الناس ليسوا سواء في تحليل المواقف أو التقيد بقواعد استخدام القوة كان لابـد من تقييـده بقوانين خاصة، وهذا ما فعله الـدين قبـل أن يفكـر الانســان في تنظيم قوانينــه علىٰ ضــوء فكــره وتجاربه، والآيــة المتقدمة، هي تشــريع للقــانون الاول في مجـال القتـال، وهـو جـواز الـدفاع عن النفس واستخدام القـوة ضـمن شـروط وضـوابط خاصة، وقـد ذكـر في شـأن نزولهـا انه: " كـان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول اللـه OaP

---

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحج، الآيات: 39 ـ 40.

فلايزالــون يجــيئون من مضــروب ومشــجوج، فشــكوهم إلىٰ رســول اللــه OaP، فيقــول لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بالقتـال حـتىٰ هـاجر رسـول الله OaP، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية"[1].

وقد اشارت الآيـة إلىٰ جـواز القتـال الـدفاعي بقوله تعالىٰ P يقاتَلون O علىٰ قراءة من قرأ بفتح التـاء، وبعمومهـا تشـمل حـالتي التعـرض الفعلي وقصد الهجوم والاستعداد له، فيكون الاذن بالقتـال مقدراً، أي؛ أذن للذين يقاتَلون أن يقاتِلوا، وقــريء أيضاً بكسر التـاء وفيـه التصـريح بمشـروعية قتـال من قاتل دفعا للمظلومية.

ثم اعقب ذلك بذكر الضابط وهو كون المقاتلة ظلمـاً ومن غـير حق، فحـق الـدفاع مشـروع لمن قوتل ظلماً لا مطلقاً. ومن ثم شرع في بيان مثال المظلوميـة الـتي جـوز القتـال في مـورده بقولـه Pالَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّO وذكر الاخراج من الـديار بغـير حـق من بـاب المثـال لا الحصر، وهذه التأكيـدات ترشـد إلىٰ أن القتـال دفاعـا إنمـا يجوز اذا كانت الفئة المهاجم عليها مظلومة. ومنـه يعلم أنــه اذا كــانت هي الظالمــة فلا يجــوز لهــا امتشاق السيف بوجه المهـاجم المطـالب بـالحق،

---

[1]) ـ اسباب نزول الآيات: ص208.

بـل يجب عليهـا الانصـياع للحـق ورفـع إليـد عن الظلم، وإلاّ لا ستحقت القتـال حـتىٰ تخضـع للحق.
وقد أمر الله تعالىٰ بقتال الفئة التي لا تخضع للحق بقولـه تعـالىٰ: P فَقَـاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ O [1] كما سيأتي.

ب: القتال لحفظ المجتمع والنظام:

قـال تعـالىٰ: P وَقَـاتِلُوا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ O [2]

اجمـع عقلاء المجتمـع الانسـاني علىٰ أن أهم حقـوق الانسـانية هـو حـق الحيـاة تحت القـوانين المنطقية الحاكمة الـتي تحفـظ منـافع النـاس في حيـاتهم. والـدين نظـام الهي تقبلتـه غالبيـة من البشرية عبر التاريخ، ورضخت لقوانينه، فلا منـاص من أن يكون لأتباع الدين حـق اختيـار الحيـاة تحت ظل قانونه.

وقد اكد القرآن أن P لا إكراه في الـدين O ولا يجيز لأحد أكراه الإخـرين علىٰ الـدخول في الـدين باسـتعمال القـوة، فهـو يـراعي قـوانين الانظمـة الأخرىٰ الحاكمة، ويأمر المؤمنين بمراعاتهـا وعـدم التجاوز ابتداء عليها، بـل وأمـر بالتعـايش السـلمي والحوار المنطقي. إلا أن المنطق ليس هو الحـاكم

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحجرات، الآية: 9.
2) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 190.

دوما في المجتمعات والانظمة الحاكمة، فقد يكون بينهـا انظمـة اسـتبدادية غـير مبتنيـة علىٰ أصـول سليمة، لا تراعي حقوق الإخرين، واحتمال تعـرض المجتمع الديني لإعتداءات من مثـل تلـك الانظمـة وارد حتماً، وكـان لابُـد للنظـام الـديني من موقـف يشخص لمجتمعه التكليـف الـذي يمكن بـه حفظـه من شـرور الاعـداء، فسـن هـذا القـانون المجـوز للقتال دفاعاً عن نظام الدين.

ج: قتال المسالمين والمحاربين من الاعداء والمنافقين:

قـال تعـالىٰ: Pفَـإِنِ اعْتَزَلُـوكُمْ فَلَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَـلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَـبِيلاً سَـتَجِدُونَ آخَـرِينَ يُرِيـدُونَ أَن يَـأْمَنُوكُمْ وَيَـأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَىٰ الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَـا فَـإِن لَّمْ يَعْتَزِلُـوكُمْ وَيُلْقُـوا إِلَيْكُمُ السَّـلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْـدِيَهُمْ فَخُـذُوهُمْ وَاقْتُلُـوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُـوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَـا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناًO [1].

في تفسـير القمي عن الصـادق OgP: كـانت السـيرة من رسـول اللـه OaP قبـل نـزول سـورة البراءة ألاّ يقاتل إلاّ من حاربه وأراده وقد كان نزل في ذلك Pفَإِنِ اعْتَزَلُـوكُمْ فَلَمْ يُقَـاتِلُوكُمْO [2] وعلىٰ هذا فصدر الآية عام يشمل حكمـه جميـع الاعـداء، وقوله تعالىٰ: Pسَتَجِدُونَ آخَرِينَO خاص بالمنافقين فقـد جـاء في شأن نزولها: أنهـا "نـزلت في قـوم يأتون النبي فيسلمون رئاء ثم يرجعون إلىٰ قريش فيرتكسـون في الاوثـان يبتغـون بـذلك أن يـأمنوا قـومهم، ويـأمنوا نـبي الله"[3] فالآيـة في المقـام، تفصـيل لحكم جـواز القتـال وعدمـه من بعـد آخـر

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء؛ الآيات: 90 ـ 91.

2) ـ تفسير القمى ج1 ص281.

3) ـ تفسير مجمع البيان ج3 ص154.

حسب موقف العدو من الموادعة والمحاربة: ففي صورة اعتزال العدو وتنحيه عن المؤمـنين لا يجـوز قتاله، أمـا إذا أراد القتـال ولم يلـتزم السـلم لـزم القتــال. وكــذلك الحكم بالنســبة إلىٰ المنــافقين، فملاك القتـال وعدمـه في هـذه المرحلـة منـوط بموقف العدو.

د: قتال الناكثين للعهد:

قال تعالىٰ: P وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْـرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَـانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمـاً نَّكَثُـوا أَيْمَـانَهُمْ وَهَمُّوا بِـإِخْرَاجِ الرَّسُـولِ وَهُم بَـدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ O [1].

يراعي الاسلام للعهد حرمتـه اذ يـوجب الوفـاء بالعهد مطلقا انتفع به العاهد أو تضـرر، لأن رعايـة العــدل الاجتمــاعي وتحكيم ظــاهرة الالــتزام بين النــاس، أهم في نظــره من رعايــة نفــع خــاص، ولايجـوز نقض العهـد إلاّ إذا نقض أحـد المتعاهـدين عهده، وحينئذ يجوز للمتعاهد الإخر المقابلة بالمثـل بنقض العهد، والتزم النبي OaP في سيرته بالوفــاء بـالعهود، وقـد ثبت في السـيرة انـه OaP قـد عقـد معاهدات صلح مع الكثيرمن القبائل والطوائف من

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة؛ الآيات: 12 ـ 13.

المشركين واليهـود والنصـارىٰ والـتزم بتعهداته، إلا من نقض العهد منهم. والآية المتقدمـة حكم جديـد يخص الناكثين للعهـد وكيفيـة التعامـل معهم، فقـد ذكر في شأن نزولها أنها نزلت في المشـركين من قريش، الذين عاهدهم النبي OaP.

كما قيل أن المراد بأئمـة الكفـر هم ابـو جهـل بن هشام وعتبة بن ربيعـة وأبـو سـفيان بن حـرب ونظـراؤهم[1]. من مشـركي قـريش الـذين تبـانوا علىٰ محاربـة الـدين الجديد. وتشـمل الآيـة حكم جـواز قتـال النـاقض لعهـد الصـلح المتعهـد بعـدم القتال فلـو نقض العهـد وظـاهر العـداء وقـدح في الدين وعابه، وجب قتاله، فان رؤساء الكفر لا عهد لهم ولا أيمـــان لكي ينتهـــوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم. ففي تفسير الصافي عن قرب الاسناد والعياشـي عن الصـادق OgP: أن علياً يـوم البصرة لما صف الخيول قـال لإصـحابه: لا تعجلـوا علىٰ القوم حتىٰ أعذر فيما بيـني وبين اللـه تعـالىٰ وبينهم، فقـام إليهم فقـال: يـا أهـل البصـرة هـل تجدون عليّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا، قال: فحيفاً في قسمة؟ قالوا: لا، قال: فرغبة في دنيـا أخـذتها لي ولاهل بيتي دونكم فنقمتم عليّ فنكثتم بيعـتي؟

---

1) ـ تفسير جامع البيان ج10 ص113.

قالوا: لا، قال: فأقمت فيكم الحـدود وعطلتهـا عن غيركم؟ قالوا: لا، قال: فما بال بيعتي تنكث وبيعـة غيري لا تنكث؟ إني ضربت الأمر أنفـه وعينـه فلم أجـد إلاّ الكفر، أو السـيف. ثم ثـنىٰ إلىٰ أصـحابه، فقال: إن الله تعالىٰ يقـول في كتابـه P وَإِن نَّكَثُـوا أَيْمَانَهُم O [1]

ه : القتال لرفع الفتنة:

قـال تعـالىٰ: P وَقَـاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُـونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُـونَ الـدِّينُ لِلَّهِ فَـإِنِ انتَهَـوْا فَلَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَلَىٰ الظَّالِمِينَ O [2] وP وَقَـاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُـونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ O [3].

اتفق اغلب المفسرين علىٰ أن المـراد بالفتنـة [الشرك والكفر]، وهما منبع الفتن والشرور، وقـد أمر الله نبيه والمؤمنين بالقتال حـتىٰ القضـاء علىٰ الفتنة. وقال الطباطبائي في تفسيره ان الاسـلام: " أجهز السلاح لدفع شر المعاندين لا إلىٰ إدخـالهم في حظيرة الاسلام، يقول جل شأنه قاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة فالقتال إنما هو لدفع الفتنة لا لإعتناق

---

1) ـ تفسير الصافي ج2 ص324.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 193.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانفال، الآية: 39.

الـدين والعقيـدة "[1]. والظـاهر أنـه لا اختصـاص للفتنـة بـالكفر والشـرك بـل هي أعم منهما، بـل يشـمل كـل مـا يفتن النـاس فتنـة كفـر من أي صدرت، فتشمل من قصد قتـل النـاس بغـير حـق ومن يفسـد في الارض ويصـد عن سـبيل الحـق فيهلك الحرث والنسل بافساده، ومن يفرق شـمل الامة ليضعف الحـق بغيـة سـلطان الباطل، فهـذه كلهـا يمكن أن تكـون من مصـاديق الفتنة. قـال الشوكاني: "والظـاهر أنهـا الفتنـة في الـدين علىٰ عمومها"[2].

وقد روي أن رسول الله OaP قـال: "سـيكون في أمـتي اختلاف وفرقة، فيهم قـوم يحسـنون القـول ويسـيئون العمل، يمرقـون من الـدين كمـا يمـرق السـهم من الرمية، طـوبىٰ لمن قتلهم أو قتلوه"[3] فالآية بدليل قوله تعالىٰ: Pوَيَكُـونَ الـدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِO تدل علىٰ توسيع دائـرة الـدفاع فتشـمل الأمر بقتال مطلـق لا بشـرط أن يبـدأ أحـد بقتـال، فالباطل يجب أن يقاتَل حـتىٰ يخضـع للحق، اذ مـع وجوده لا يمكن للبشرية أن تعيش بسلام والهـدف

---

1) ـ تفسير الميزان ج4 ص164.

2) ـ فتح القدير ج1 ص191.

3) ـ أحكام القرآن ج2 ص503.

الاعلىٰ للدين هو تطبيق حكومة العدل في الارض. ولا يكـون ذلـك إلا بالاجتمـاع علىٰ دين الله. وعلىٰ هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام: " أمـرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لاإله إلاّ الله "؛ فالمفتن هو من مـرق عن دين الله، سـواء كـان كـافراً باللــه اعتقاداً، أو مؤمناً لساناً كافراً عملاً، ولا اختصاص له بالمشرك كما ذهب إليه البعض[1]. ولقد قاتـل علي بن ابي طـالب OgP ـ النـاكثين في حـرب الجمـل بالبصرة والقاسطين في معركـة صـفين والمـارقين في معركة النهروان ـ من هـذه الجهـة رغم كـونهم من المسلمين.

و: قتال الباغين:

قال تعالىٰ P وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَـا فَـإِن بَغَتْ إِحْـدَاهُمَا عَلَىٰ الْأُخْـرَىٰ فَقَـاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْـرِ اللَّهِ فَـإِن فَـاءَتْ فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَـا بِالْعَـدْلِ وَأَقْسِـطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ O [2]. قيل: نزلت الآية في قتال بين الاوس والخزرج في عهده بالسعف والنعـال[3] وقيـل نـزلت في رجلين بينهمـا حـق فتـدارآ فيه،

---

1) ـ تفسير القرطبي ج2ص354.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحجرات، الآية: 9.

3) ـ تفسير الصافي ج5 ص50.

فقال أحدهما لآخذنه عنوة، لكثرة عشـيرته، وقـال الإخر: بيني وبينك رسول اللـه OaP، فتنازعـا حـتىٰ كـان بينهمـا ضـرب بالنعـال والايـدي[1] وقيـل غـير ذلك.

والباغي في اللغة الظالم[2] والذي يـرد الحـق مـع العلم به[3]؛ وفي اصـطلاح الفقهـاء: من خـرج علىٰ إمام عادل وقاتله، ومنع تسـليم الحـق إليه[4] وفي الحديث النبوي: "من اعطىٰ إماماً صفقة يده وثمرة قلبـه فليطعـه مـا اسـتطاع، فـإن جـاء آخـر ينازعـه فاضـربوا عنقه"[5]. ويجب قتـال البغـاة[6]، وعلىٰ الامــام أن يقــاتلهم، ويجب علىٰ كــل من يستنهضــه الامــام أن ينهض معــه ويعاونــه علىٰ قتالهم، ولايجوز لغير الامام قتالهم بغير اذنه[7]. ولا يجاب إلىٰ ذلـك إمـام جـائر[8]. وهم علىٰ ضـربين: أحدهما من له رئيس يرجعون إليه، والإخر لا يكون

1) ـ جامع البيان ج26 ص167.
2) ـ كتاب العين ج4 ص453.
3) ـ لسان العرب ج3 ص307.
4) ـ الخلاف ج5 ص335.
5) ـ رياض المسائل ج1 ص480.
6) ـ روضة الطالبين ج7 ص270.
7) ـ الاقتصاد ص315.
8) ـ الجامع للشرائع ص241.

لهم فيه رئيس. ولقتال كل منهما أحكام خاصة مذكورة في كتب الفقه. ومعنىٰ الآية فإن تعدت إحدىٰ الطائفتين علىٰ الأخرىٰ بغير حق فقاتلوا الطائفة المتعدية حتىٰ ترجع إلىٰ ما أمر به الله وتنقاد لحكمه فإن رجعت الطائفة المتعدية إلىٰ أمر الله فأصلحوا بينهما.

هذه أهم الموارد التي أمر الدين فيها المؤمنين بالقتال، تلخصت في: الدفاع عن النفس، والدفاع عن الشريعة المتكفلة لحياة المجتمع البشري وقتال المحاربين من الاعداء وقتال الناكثين للعهود والقتال من أجل رفع الفتنة وقتال الباغين. ولحيوية هذه الموارد وحرصاً علىٰ حفظ النظام من كل مكروه نجد الدين يؤكد علىٰ ضرورة التعبئة ويحرض اتباعه علىٰ القتال وعدم التهاون بل ويشوقهم كل التشويق ويعدهم بأنه تعالىٰ ناصرهم ومؤيدهم. **وفي هذا الشأن نزلت آيات كثيرة نذكر منها:**

ـ P يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ O[1]

---

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانفال، الآية: 65.

ـ P إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ O [1]

ـ P وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ O [2]

ـ P وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ O [3]

ـ P وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ O [4]

ـ P وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً O [5]

ـ P فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة الصف، الآية: 4.
2) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحج، الآية: 39 ـ 40.
3) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانفال، الآيات: 60 ـ 61.
4) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 207.
5) ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء، الآية: 104.

يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً O [1]

ـ P وَمَــا لَكُمْ لَا تُقَــاتِلُونَ فِي سَــبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْـعَفِينَ مِنَ الرِّجَـالِ وَالنِّسَـاءِ وَالْوِلْـدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَـةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً O [2]

ـ P وَدَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَـوْ تَغْفُلُـونَ عَنْ أَسْـلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةًO[3].

وفي آيـات أخـرىٰ يـأمر بالتغليـظ والاخـذ بشدة قطعاً لدابر الفساد:

ـ P يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ مَـعَ الْمُتَّقِينَ O [4]

ـ P يَـا أَيُّهَـا النَّبِيُّ جَاهِـدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَـافِقِينَ وَاغْلُـظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُO[5]

ـ P وَقَـاتِلُوا الْمُشْـرِكِينَ كَافَّةً كَمَـا يُقَـاتِلُونَكُمْ كَافَّةً

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء، الآية: 74.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء، الآية: 75.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء، الآية: 102.

4) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 123.

5) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 73.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَO [1]

ـ P وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ O [2] والقسوة في الآيات الاخيرة قد تبدوا غريبة في تصور البعض، اذ كيف يمكن انتظار كل ذلك من الدين المعروف بالسماح والرأفة والمنطقية. لكن التأمل في حقيقة من حكم عليهم بالمعاملة القاسية يهون الخطب ويرفع العجب. فهم طائفتان:

الأولىٰ: الكافر المشرك بالله الناكر لخالق الارض والسماء.

الثانية: المنافق الذي يبطن شيئاً ويظهر غير ما أبطن.

فالكافر المشرك الذي لا يعرف القانون والمنطق بل يتصرف في المجتمع الانساني بما يهواه ولا يلتزم بقوانين العقل والدين ولا يرضخ للحجة والبرهان ولا يرتدع بالنصح والتذكير ويصر علىٰ اضراره وظلمه وفساده لا يمكن أن يكون عنصرا نافعاً يستحق البقاء، فهؤلاء شأنهم شأن الفئات الارهابية في عصرنا والتي لا تهمها سوى مصلحتها

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 36.

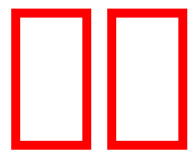
2) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 191.

وما دامت متروكة وشأنها لا يصدر منهـا إلا الضـرر فهم بمثابة الجـراثيم المرضـية الـتي يجب القضـاء عليها لتخليص المجتمعات البشرية من ويلاتها، بـل والطريق منحصر في ذلك بعد فشل كل الوسـائل في ردعها وارجاعها عن غيها.

والمنـافقون الـذين مـردوا علىٰ النفـاق هم أعظم خطـراً علىٰ الانسـانية من الكفـار من حيث اغـوائهم للنـاس بمظهـر مصـطنع، فهم يظهـرون للنـاس بسـيماء الصـالحين ويحـدثونهم بلسـان الناصحين فيغرونهم بذلك ويسوقونهم حيث شاؤوا وفي جهـة مصـالحهم، فيفرقـون كلمـة النـاس ويشيعون روح النفاق في المجتمع. ولا يخفىٰ علىٰ أحد ما في ذلك من ضرر.

ان المنطق يحكم علىٰ المـارد الـذي لا يرضـخ للعقـل أو الـدين ولا يلـتزم الحكمـة في تصـرف ويسعىٰ في الارض الفساد ارضاء لأهوائه ويتوسـل بقوته لتحقيق أغراضه ولا يعرف غير منطق القوة، أن يجابه أولاً بالنصـح والارشـاد والوعـظ والتهديد، فإن عاد إلىٰ الرشد فهو وإلا فلا منـاص من التكلم بلغتـه الـتي يفهمها. فـإذا اسـتلزم الأمـر اسـتعمال القوة بقسوة ضده خدمة للانسانية وحفظا للنظـام العام فليس في ذلك مـا يـدعو إلىٰ الاسف، أو مـا

يخالف عرف الانسانية. فالمصلحة العامـة أهم من مصلحة فرد أو فئة، وهذا هـو المـراعي في نظـام الدين كما يظهر من الآيات المتقدمة.



الدين والموازين الاخلاقية في الحرب

ـ الاول: في القرآن الكريم؛

1 ـ لا يجـوز قتـل أحـد من غـير سـبب مشروع: فقد اكد الدين علىٰ حرمة القتـل من غـير حق، ورتب الجـزاء علىٰ ذلـك حـتىٰ مـع وقوعه خطأً؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَـانَ لِمُـؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيـرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِـهِ إِلَّا أَن يَصَّـدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَـدُوٍّ لَّكُمْ وَهُـوَ مُـؤْمِنٌ فَتَحْرِيـرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيـرُ رَقَبَـةٍ مُّؤْمِنَـةٍ فَمَن لَّمْ يَجِـدْ فَصِـيَامُ شَـهْرَيْنِ مُتَتَـابِعَيْنِ تَوْبَـةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[1] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِـلَ مَظْلُومـاً فَقَـدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَـانَ

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء، الآية: 92.

مَنصُوراً O [1].

2ـ تحـريم القتـال في أربعـة أشـهر من السـنة هي: رجب، ذي القعـدة، ذي الحجـة ومحرم؛ قال تعالىٰ: P إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنـدَ اللَّهِ اثْنَـا عَشَـرَ شَـهْراً فِي كِتَـابِ اللَّهِ يَـوْمَ خَلَـقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَـا أَرْبَعَـةٌ حُـرُمٌ ذَٰلِـكَ الـدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُـوا فِيهِنَّ أَنفُسَـكُمْ وَقَـاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَـا يُقَـاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ O [2]

ـ P يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَـالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ O [3]

ـ P فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْـهُرُ الْحُـرُمُ فَـاقْتُلُوا الْمُشْـرِكِينَ حَيْثُ وَجَـدْتُمُوهُمْ وَخُـذُوهُمْ وَاحْصُـرُوهُمْ وَاقْعُـدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَـدٍ فَـإِنْ تَـابُوا وَأَقَـامُوا الصَّـلَاةَ وَآتَـوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ O [4]

3 ـ يـأمر الاسـلام بالدقـة في تشـخيص العـدو؛ وعـدم اسـاءة الظن لئلا يقتـل غـير المستحق؛ قال تعالىٰ: P يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة الاسراء، الآية: 33.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 36.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 217.

4) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 5.

إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُـونَ عَـرَضَ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِـيرَةٌ كَـذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْـلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَـانَ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَبِيراً O [1].

4 ـ لا يؤخذ قوم بذنب قوم وإنمـا يعـاقب المذنب فحسب؛ قال تعالىٰ: P وَلَا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ O [2].

5 ـ التحذير من أن يدفع الضغائن وما صدر سـابقاً من الخصـم إلىٰ الاعتـداء؛ Pوَلَا يَجْـرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَـوْمٍ أَن صَـدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْـجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَـاوَنُوا عَلَىٰ الْبِـرِّ وَالتَّقْـوَىٰ وَلَا تَعَـاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُـوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ O [3].

6 ـ في صـورة التعـرض لعـدوان يجب الاقتصـار علىٰ الـرد بالمثـل دون زيـادة:
Pفَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَـدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ مَـعَ الْمُتَّقِينَ O

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء، الآية: 94.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة الاسراء، الآية: 15.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة المائدة، الآية: 2.

.[1]

7 ـ حرمـة الاعتـداء ابتـداء من غـير مـبرر والاقتصـــــار علىٰ مقاتلــــــة من قاتل: P وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَـاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَـدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ O[2] فان الاسلام اذا كان أباح الحرب كضـرورة من الضـرورات فانـه يجعلها مقدرة بقدرها فلا يقتل إلا من يقاتــل في المعركة، ولا يجــيز قتــل من تجنب الحــرب أو التعرض له.

8 ـ التأكد من الاخبار المنقولـة عن نوايـا الإخرين ومن سلامة المخبرين، لإجتنـاب اتخاذ القرار الغير الصائب؛ قال تعالىٰ: P يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَـاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُـوا أَن تُصِـيبُوا قَوْمـاً بِجَهَالَـةٍ فَتُصْـبِحُوا عَلَىٰ مَـا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ O[3].

9 ـ المداراة مع الخصم والابتعاد عن ايجاد الـذرائع لتحريكه؛ قـال تعـالىٰ: P وَلَا تَسُـبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْـرِ

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 194.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 190.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة الحجرات، الآية: 6.

عِلْمٍ O [(1)].

10 ـ اذا طلب العدو الهدنة لمـدة، وجبت اجابته ولوكان بطلبه هذا يريد الخديعة: P وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَـاجْنَحْ لَهَـا وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ O [(2)].

11 ـ اذا طلب أحـد افـراد العـدو اللجـوء وجب قبولـه ولايجـبر علىٰ الـدخول في الدين فإن دخـل طوعـاً فهـو وإلاّ ردّ إلىٰ مأمنه؛ قال تعـالىٰ: P وَإِنْ أَحَـدٌ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ اسْـتَجَارَكَ فَـأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْـمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْـهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ O [(3)].

12 ـ **ويوجب الاسلام الوفاء بالعهد فيما لو وقع معاهدة مع العدو؛** قال تعالىٰ: P وَأَوْفُـوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً O [(4)].

13 ـ ولا يجوز الغدر ومباغتة العدو فيما لو ظهـرت امـارات النقض والخيانـة من العدو المعاهد وخيف الغـدر منه، بـل يجب

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانعام، الآية: 108.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانفال، الآية: 61 ـ 62.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 6.

4) ـ القرآن الكريم؛ سورة الاسراء، الآية: 34.

اعلامهم بفسخ العقد قبل مبـاغتتهم ليعلم العـدو بالحرب ويتهيأوا لها، لأن قتالهم قبل إلغاء العهـد خيانة: P وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَـوْمٍ خِيَانَـةً فَانْبِـذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ O [(1)].

14ـ التلطـف بالأسـرىٰ: ويـأتي تفصـيل أحكام الاسير في باب الفقه والروايات:

Pيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْـرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْـراً يُـؤْتِكُمْ خَيْـراً مِمَّا أُخِـذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ O [(2)].

15ـ ويراعي الاسلام مراتب المواجهة مـع العدو، ولا يجوز في شرعه الابتـداء بالقتـال من غير مقدمات، فهـو يتـدرج في أسـاليبه المترتبـة من السهل إلىٰ الصعب، فمنها:

أ: المواجهـة بالموعظـة الحسـنة والـدعوة إلىٰ السلم: قال تعالىٰ:

ـ Pوَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولا O [(3)].

ـ Pيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُـوا فِي السِّـلْمِ كَافَّةً وَلَا

---

[1]) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانفال، الآية: 58.

[2]) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانفال، الآية: 70.

[3]) ـ القرآن الكريم؛ سورة الاسراء، الآية: 15.

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِO[1]

ـ P وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ O [2].

ـ P وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ O [3].

ـ P فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً O [4].

ب: المقاطعة السلبية وعدم التعاون والمشاركة معهم: قال تعالىٰ:

ـ P وَلَا تَرْكَنُوا إِلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَO [5].

ـ P فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ O [6].

ـ P وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ O [7].

---

1 (ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 208.

2 (ـ القرآن الكريم؛ سورة النحل، الآية: 125.

3 (ـ القرآن الكريم؛ سورة العنكبوت، الآية: 46.

4 (ـ القرآن الكريم؛ سورة النساء، الآية: 63.

5 (ـ القرآن الكريم؛ سورة هود، الآية: 113.

6 (ـ القرآن الكريم؛ سورة الانعام، الآية: 106.

7 (ـ القرآن الكريم؛ سورة التوبة، الآية: 84.

ـ P وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ... O [1]

ـ P فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ O [2].

ـ P وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً O [3].

ج: استخدام السلاح لدفع الظلم ورفعه:

وهو الاسلوب الاخير حيث تفشل كل الوسائل الأخرىٰ في ردع الارهاب والظلم، والغاية من ذلك هو رفع الفساد والفتنة وتوفير الظرف لتطبيق العدالة في المجتمع، لا إكراههم علىٰ الدخول في الدين: قال تعالىٰ: P وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ O [4].

---

1) ـ القرآن الكريم؛ سورة البقرة، الآية: 221.

2) ـ القرآن الكريم؛ سورة السجدة، الآية: 30.

3) ـ القرآن الكريم؛ سورة المزمل، الآية: 10.

4) ـ القرآن الكريم؛ سورة الانفال، الآية: 39.

ـ الثاني: في الحديث الشريف

لايخفىٰ علىٰ متصفح كتب الحديث ما حواه الملف الديني من لطائف قوانين نظام الحياة في أبعادها المختلفة ومنها البعد الدفاعي والعسكري، فقد تكفلت الروايات الواردة بيان اصول الاحكام الخاصة بالحرب وما يتعلق بها من فروع دقيقة ووصايا منيفة، تستحق التأمل والدراسة والتحليل وجدير بالعاقل أن لا يتسرع في الحكم اثناء الحديث عن النظم بالتأييد أو الرد قبل الوقوف علىٰ الرأي الصريح للمذهب في موضوع الحكم، والتأمل الدقيق في منطقية القوانين المسننة فيه. ومن هذا المنطلق ارتأينا تقديم بعض ما ورد بشأن الحرب وما يتعلق بأخلاقياتها في لسان الروايات الدينية بغية الوقوف علىٰ حقيقة الادعاء بأن للدين كلمته في هذا المجال وأن ما عرضه يليق بالبحث والعرض، وأن التقييد بأحكامه اضافة إلىٰ كونه الدواء الامثل لداء البشرية، تمسك بأكثر النظريات حكمة ونجاعة ازاء البدائل المطروحة في الساحة الدولية وبأرقىٰ اشكالها. وإليك ما اخترناه من احاديث:

1 ـ في أهمية الحرب:

الحرب في الاسلام يدخل تحت موضوع الجهاد،

قال رسول الله OaP: [عليكم بالجهاد في سبيل الله فانه بـاب من أبـواب الجنـة يـذهب اللـه بـه الهم والغم][1] وقــال علي بن ابي طــالب OgP: [إن الجهـاد بـاب من أبـواب الجنـة فتحـه اللـه لخاصـة أوليائه، وهـو لبـاس التقـوىٰ ودرع اللـه الحصـينة وجُنتـه الوثيقة، فمن تركـه رغبـة عنـه ألبســه اللــه ثــوب الــذل وشــمله البلاء وديت بالصـغار والقمـاءة وضـرب علىٰ قلبـه بالاسـداد وأديل الحق منه بتضييع الجهـاد وسـيم الخسـف ومنـع النصف][2] وقـالOgP:[إن اللـه (U) فـرض الجهاد وعظمه وجعله نصـره وناصـره واللـه مـا صـلحت دنيـا ولا دين إلاّ به] [3] وقـال OgP: [إن اللـه (U) جعـل الايمـان علىٰ أربـع دعـائم: علىٰ الصبر وإليقين والعدل والجهاد][4] وقـال زيـد بن علي بن الحســينOgP في مجلس هشــام بن الحكم: [لم يكره قوم قط حر السـيف إلاّ ذلـوا] [5].

1) ـ السنن الكبري ج9 ص20.

2) ـ نهج البلاغة ج1 ص67 ـ 68.

3) ـ الكافي للكليني ج5 ص8.

4) ـ الكافي للكليني ج2ص50.

5) ـ بحار الانوار ج46 ص187.

2 ـ حرمة الغدر:

قال رسول الله OaP: [لكل غادر لواء يوم القيامة][1] وعنه OaP: [إياك والغدر بعهد اللـه والاخفـار لذمته، فإن الله جعل عهده وذمتـه أمانـا أمضـاه بين العبـاد برحمته، والصـبر علىٰ ضـيق ترجـوا انفراجه خـير من غـدر تخـاف أوزاره وتبعاته][2] وعنهOaP: [يجيء كل غـادر بإمـام يـوم القيامـة مائلاً شدقه حتىٰ يدخل النار][3] وقال علي OgP: [أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت أدهىٰ الناس إلاأن لكل غدرة فجـرة، ولكـل فجـرة كفـرة، ألا وإن الغدر والفجـور والخيانـة في النـار][4] قـال جعفـــر بن محمـــد الصـــادق OgP: [لا ينبغي للمســلمين أن يغــدروا ولا يــأمروا بالغــدر، ولا يقـاتلوا مـع الـذين غـدروا][5] وعن ابي جعفـر الباقر OgP: [ما من رجل آمن رجُلاً علىٰ ذمة ثم قتله إلا جاء يوم القيامة يحمل لواء الغدر][6].

1) ـ مجمع الزوائد ج5 ص330.

2) ـ مستدرك الوسائل ج11 ص47.

3) ـ وسائل الشيعة ج15 ص70.

4) ـ وسائل الشيعة ج15 ص70.

5) ـ وسائل الشيعة ج15 ص69.

6) ـ تهذيب الاحكام ج6 ص140.

3 ـ الدعوة قبل القتال:

عن النـــــبي OaP: [اذا لقيتم عـــــدوا من المشــركين فـادعوهم إلىٰ إحـدىٰ ثلاث، فـإن هم أجـابوكم إليهـا فاقبـل منهم وكـف عنهم: ادعـوهم إلىٰ الاسلام وكف عنهم، وادعوهم إلىٰ الهجرة بعد الاسلام فـإن فعلـوا فاقبـل منهم وكـف عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختـاروا ديـارهم وأبـوا أن يـدخلوا في دار الهجـرة كـانوا بمنزلـة أعـراب المؤمـنين يجري عليهم ما يجـري علىٰ أعـراب المؤمـنين ولا تُجـــري لهم في الفيء من القســـمة شـــيئاً إلا أن يجاهـدوا، فـإن أبـو هـاتين فـادعوهم إلىٰ اعطـاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فـإن أعطـوا الجزيـة فاقبـل منهم وكـف عنهم وإن أبـو فاسـتعن اللـه عليهم وجاهـدهم في اللـه حـق جهـاده] [1]. وكـان رسول الله OaP: [اذا بعث جيوشه أو سراياه قال لهم تألفوا الناس ولا تغيروا علىٰ حيّ حتىٰ تدعوهم إلىٰ الاسلام فو الذي نفس محمد بيده ما من أهـل بيت من وبر ولا مدر تأتوني بهم مسـلمين إلا أحب إلىٰ من أن تـأتوني بنسـائهم وأبنـائهم وتقتلـون رجـالهم] [2]. وعن علي OgP قـال: بعثـني رسـول الله OaP إلىٰ اليمن فقال: [يا علي لا تقـاتلن أحـداً حتىٰ تدعوه، وأيم اللـه لإن يهـدي اللـه علىٰ يـديك

---

1) ـ تهذيب الاحكام ج6 ص138 ـ 139.

2) ـ بغية الباحث ص201.

رجُلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت] [1]
وقال OgP وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين: [أما قولكم أكل ذلك كراهية الموت فوالله ما أب إلىٰ أدخلت إلىٰ الموت أو خرج الموت إلى، وأما قولكم شكا في أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي وتعشو إلىٰ ضوئي، وذلك أحب إليّ من أن أقتلها علىٰ لالها وإن كانت تبوء بآثامها] [2]. وفي وصية له لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلىٰ الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له: [ولا يحملنكم شنآنهم علىٰ قتالهم قبل دعائهم والاعذار إليهم] [3].

---

1) ـ تهذيب الاحكام ج6 ص141.

2) ـ نهج البلاغة ج1 ص104.

3) ـ نهج البلاغة ج3 ص14.

4 ـ عدم الشروع في القتال حتىٰ يبدأ العدو:

قــال علي OgP يــوم الجمل: [ايهــا النــاس؛ صــافوهم ولاتبــدوهم الــبراز ولاترمــوهم بالســهام ولاتضـربوهم بالسـيف ولاتطعنـوهم بالرمـاح حـتىٰ يبدوكم][1] وفي ارواء الغليل "لاتبدؤا القوم بالقتال وكلموهم بـألطف الكلام"[2]. وقـال OgP ذلـك في حربه مـع الخـوارج أيضـاً، ففي البحـار عن المـبرد في الكامل [قال: لما واقفهم علي OgP بالنهروان قال: لا تبدؤهم بقتـال حـتىٰ يبـدؤكم] [3] وفي كلام له آخر في صـفين: [وإذا لقيتم هـؤلاء القـوم غـداً فلاتقاتلوهم حـتىٰ يقـاتلوكم فـإذا بـدؤوكم فانهـدوا إليهم] [4]. وعن عبـد اللـه بن جنـدب عن ابيه: [ان علياً OgP كان يأمر في كل موطن لقينا مـع عـدوه يقول: لا تقاتلوهم حتىٰ يبـدؤكم فـانكم بحمـد اللـه علىٰ حجة وترككم اياهم حتىٰ يبدؤوكم حجة أخرىٰ لكم عليهم] [5]. وهكــذا قــال الحســين OgP في كربلاء، حيث استأذنه أحد اصحابه في الرمي قال:

---

1) ـ كتاب الجمل ص129.

2) ـ ارواء الغليل ج8 ص110.

3) ـ بحار الانوار ج33 ص348.

4) ـ الكافي للكليني ج5 ص41.

5) ـ مستدرك الوسائل ج11 ص" 81.

[لاترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال] [1].

5 ـ في اعطاء الامان:

عن السكوني قال؛ قلت للصادق OgP: [ما معنىٰ قول النبي OaP [يسعىٰ بذمتهم أدناهم]؟ قال: لو أن جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين فأشرف رجل فقال: أعطوني الامان حتىٰ القىٰ صاحبكم فأناظره فأعطاه الامان أدناهم وجب علىٰ أفضلهم الوفاء به] [2] وفي مسند زيد بن علي OgP: [وأيما رجُلاً من أقصاكم أو أدناكم من أحراركم أو عبيدكم أعطا رجُلاً منهم أماناً أو أشار إليه بيده فأقبل إليه باشارته فله الامان حتىٰ يسمع كلام الله ـ أي؛ كتاب الله ـ فإن قبل فأخوكم في دينكم وإن أبىٰ فردوه إلىٰ مأمنه] [3].

وعن الصادق OgP: [أن علياً OgP أجاز أمان عبد مملوك لأهل حصن من الحصون وقال: هو من المؤمنين] [4]. وعنه OgP قال: [لو أن قوماً حاصروا مدينة فسألوهم الامان فقالوا لا. فظنوا أنهم قالوا نعم، فنزلوا إليهم كانوا آمنين] [5].

---

1) ـ الاخبار الطوال ص252، الطبري ج4 ص322.

2) ـ تهذيب الاحكام ج6 ص140

3) ـ مسند زيد بن علي OgP ص351.

4) ـ تهذيب الاحكام ج6 ص140.

5) ـ تهذيب الاحكام ج6 ص140.

6 ـ النهي عن استعمال السموم:

عن علي OgP:[أن النــــــبي OaP نهىٰ أن يلقىٰ السُــــم في بلاد المشـــــركين][1] وفي مســـــند الشاميين: [ان النبي OaP نهىٰ أن يلقىٰ السُم في آبار المشركين][2].

7 ـ قبول الصلح اذا دعا إليه العدو والالتزام به:

عن علي OgP: [أن رسول الله OaP عهد إليه عهداً وكان مما عهد فيه: ولا تـدفعن صـلحا دعـاك إليـه عـدوك فـإن في الصـلح دعـة للجنـود ورخـاء للهموم وأمناً للبلاد][3]. وفي عهده للاشتر: [وإن لجت بينك وبين عدوك قضية عقدت له بهـا صـلحاً أو ألبسـته منـك ذمـة فحـط عهـدك بالوفـاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنـة دونـه فإنـه ليس شئ من فرائض الله جل وعـز النـاس اشـد عليـه اجتماعا في تفريـق أهـوائهم وتشـتيت أديـانهم من تعظيم الوفاء بـالعهود وقـد لـزم ذلـك المشـركون فيما بينهم دون المسلمين لما اسـتوبلوا من الغـدر والختر فلا تغدرن بذمتك ولا تخفر بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترئ علىٰ الله إلا جاهل][4].

---

1) ـ تهذيب الاحكام ج6 ص143.

2) ـ مسند الشاميين ج4 ص336.

3) ـ مستدرك الوسائل ج11 ص44 ـ 45.

4) ـ تحف العقول ص146.

8 ـ استحباب القتال بعد الزوال وكراهية التبييت:

عن الصادق OgP: [ما بيّت رسول الله OaP عدواً قط ليلاً [1] وعنه OgP قال: [كان أمير المؤمنين OgP لا يقاتل حتىٰ تزول الشمس ويقول: تفتح أبواب السماء، وتقبل الرحمة، وينزل النصر، ويقول هو أقرب إلىٰ الليل وأجدر أن يقل القتل ويرجع الطالب ويفلت المنهزم] [2] وفي السنن الكبرىٰ: [ان النبي OaP اذا جاء قوماً بالليل لا يغير عليهم حتىٰ يصبح] [3].

9 ـ حرمة قتل النساء والاطفال والشيوخ:

كان الرسول OaP كان إذا أمّر أميراً علىٰ جيش أو سرية أوصاه بأن [لاتقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة] [4] وعن عبد الله بن عمر: [ان امرأة وجدت في بعض مغازي الرسول OaP مقتولة فأنكر ذلك، ونهي عن قتل النساء والصبيان] [5] وعن رباح بن ربيع: [أن الرسول OaP مر علىٰ امرأة مقتولة في بعض الغزوات ولعلها هي المرأة في الحديث المذكور قبل هذا،

---

1) ـ وسائل الشيعة ج15 ص63.

2) ـ وسائل الشيعة ج15 ص63.

3) ـ السنن الكبري ج9 ص79.

4) ـ الكافي للكليني ج5 ص27.

5) ـ فقه السنة ج2 ص656.

فوقف عليها ثم قـال: "مـا كـانت هـذه لتقاتل" ثم نظـر في وجـوه أصـحابه وقـال لأحـدهم: "اِلحَـق بخالـــد بن الوليد، فلا يقتلن ذرية، ولا عســـيفاً أي؛ أجيراً ولا امرأة"] [1].

"وروي أنـه OaP بعث سـرية، فقتلـوا النسـاء والصبيان، فأنكر ذلك انكاراً شديداً فقالوا: يارسول اللـــه انهم ذراري المشـــركين؟ فقـــال: أوليس خياركم ذراري المشـركين" [2]. وعن الصـادق OgP قـال: [ان رسـول اللـه OaP نهىٰ عن قتـل النسـاء والولدان في دار الحرب إلا أن تقاتل، فـإن قـاتلت أيضـاً فأمسـك عنهـا مـا أمكنك، ثم قـال وكـذلك المقعد من أهل الذمة والشيخ الفاني] [3].

10 ـ حرمة التمثيل بالمقتولين من العدو:

قال علي OgP في وصيته للحسـن والحسـين لمـا ضــربه ابن ملجم: [ولايمثــل بالرجــل فــاني سمعت رسول الله OaP يقول "اياكم والمثلـة ولـو بـالكلب العقــور"] [4] و[قــال رســول الله OaP لا

---

1) ـ فقه السنة ج2 ص656.

2) ـ عوالي اللآلي إلىٰ ج 1 ص 67.

3) ـ منتهىٰ المطلب ج 2 ص911.

4) ـ نهج البلاغة ج3 ص78.

تمثلوا بشيء من خلق الله (U) فيـه روح][1]. وعن بريدة عن ابيه قال: [كـان الرسـول OaP اذا بعث سرية قـال "لا تمثلـوا"][2]. وقـال OaP: [لاتمثلـوا بعباد الله][3] و[كان رسول الله OaP يأمر في كـل مجالسه بـالعفو وينهىٰ عن المثلة][4] وعن علي O gP: [من مثل بأحد مثل به][5]. [ولا تمثلوا بـآدميّ ولا بهيمة ولا تظلموا ولا تعتدوا][6].

11ـ عدم جواز هدم مساكن العدو ولا اغراق نخلهم:

عن النـــبي OaP في وصـــيته لأمـــراء جنـــده: [ولاتحرقـوا النخـل ولاتغرقـوه بالمـاء][7] و[خـرج رسول اللـه OaP مشـيعاً لأهـل مؤتة، حـتىٰ اذا بلـغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا فقال: اغزوا باسـم اللـه فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيهم رجالاً في الصوامع معتزلين من الناس فلا تعرضـوا لهم، وسـتجدون آخـرين للشـيطان في رؤوسـهم مفـاحص فافلقوهـا بالسـيف ولا تقتلـوا امـرأة ولا

[1]) ـ نصب الراية ج3 ص224.

[2]) ـ ارواء الغليل ج7 ص292.

[3]) ـ كنز العمال ج5 ص394.

[4]) ـ مستدرك الوسائل ج9 ص7.

[5]) ـ دعائم الاسلام ج2 ص411.

[6]) ـ مسند زيد بن علي OgP ص351.

[7]) ـ الكافي للكليني ج5 ص28.

صغيراً ضارعاً ولا كبيراً فانياً ولا تقطعن شــجرة ولا تعقرن نخلاً ولا تهدموا بيتاً] [1] ولا تغرقــوا نخلاً ولا تحرقوا زرعاً] [2] وفي البحار:]ولا تقطعن نخلاً ولا شجراً ولا تهدمن بناء] [3].

12ـ الرأفة بالعدو والعفو بعد التمكين منهم:

]قال رسول الله OaP في بني قريضة بعد مـا احترق النهار في يوم صائف"لا تجمعـوا عليهم حـر هذا اليوم وحـر السـلاح"][4] وقـال OaP، يـوم فتح مكة في أهلها حين اجتمعوا في المسجد]ما ترون اني صــانع بكم؟ قــالوا خــيرا، اخ كــريم وابن اخ كريم. قال: اذهبوا فانتم الطلقاء] [5].

13ـ عدم جواز قطع الماء عن الاعداء:

قال النـبي OaP]لاتمنعـوا احـداً مـاء] [6] ومن كلام لعلي OgP لما ملك الشريعة قسرا في صفين وقال له جنده إمنع المـاء عن معاويـة وجنـده كمـا منعــوك منه! فقــال OgP:]لا أفعــل مــا فعلــه

1) ـ السنن الكبرى ج9 ص91.
2) ـ كنز العمال ج4 ص475.
3) ـ بحار الانوار ج21 ص60.
4) ـ السير الكبير ج3 ص1029.
5) ـ السنن الكبري ج9 ص118.
6) ـ المبسوط للسرخسى ج23 ص169.

الجـاهلون، سـنعرض عليهم كتـاب اللـه ونـدعوهم إلىٰ الهُـدىٰ فـإن أجـابوا وإلا ففي حـد السـيف مـا يغني إن شاء الله] [1]]ولا تغوروا عيناً] [2] و]لايحل منع الماء] [3] وقد تقدم نهيه OaP عن القـاء السـم في آبارهم.

14ـ النهي عن عقر حيوانهم وقطع اشجارهم والتخريب:

اذا غنم المسلمون خيلاً للمشركين ومواشيهم ثم ادركهم المشركون وخافوا اخذها منهم لم يجـز عقرهـا وقتلهـا لمـا روي عن النـبي OaP انه:]نهىٰ عن ذبح الحيـوان لغـير مأكلـه كمـا نهىٰ عن قتـل الحيـوان صـبراً] [4] وفي وصـايا النـبي OaP:]ولا تقطعوا شجرة مثمـرة ولاتعقـروا البهـائم] [5] قـال ابو بكر لأحد قواده اني موصيك بعشـر خلال، وعـد منها:]ولا تقطع شجرا مثمراً ولا تخـرب عـامراً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكله] [6].

15ـ معاملة الاسير وحرمة قتله ووجوب الرفق به:

---

1) ـ نهج السعادة ج 2 ص154.
2) ـ مسند زيد بن علي OgP ص351.
3) ـ رياض المسائل ج 1 ص488.
4) ـ الخلاف ج 5 ص519، وكشاف القناع ج 3 ص53.
5) ـ منتهىٰ المطلب ج 2 ص908.
6) ـ نيل الاوطار ج 8 ص74.

قـال رسـول اللـه OaP في الأسـرىٰ يـوم بـدر [استوصـوا بالاسـارىٰ خـيراً] [1] و[نهىٰ النـبي عن قتـل الاسـرىٰ] [2] وقـد تـواتر عنـه OaP: [اتخـاذه الأسرىٰ من اليهود وأهل الكتاب يشترط عليهم أن يعلموا أهل المدينـة الخـط والكتابـة فكـان الاسـير الكتـابي اذا علّم الكتابـة عشـرة من المسـلمين أطلق سراحه مكافأة لعمله][3].

وقال OaP لما أتاه خبر قتل خالـد لأسـراه من بني جذيمة: [اللهم إني أبرأ إليـك ممـا صـنع خالد، ثم ارسـل عليـاً ومعـه مـال وأمـره أن ينظـر في أمرهم فودي لهم النساء والاموال حـتىٰ انـه ليـدي ميلغة الكلب، ففضل معه من المـال فضـلة فقـال لهم علي OgP هـل بقىٰ لكم مـال أو دم لم يـؤد؟ قـالوا لا، قـال: اني اعطيكم هـذه البقيـة احتياطـاً لرسول الله OaP، ففعل ثم رجـع إلىٰ رسـول اللـه OaP فأخبره، فقال: أصبت وأحسنت] [4] وعن ابي جعفر الباقر OgP قـال: ان رسـول اللـه OaP سـار

---

1) ـ مجمع الزوائد ج6 ص86.

2) ـ الارشاد ج1 ص150.

3) ـ أوائل المقالات ص225.

4) ـ بحار الانوار ج21: ص140.

في امتـه بـالمن] [1] وعن ابي عبداللـه OgP قـال
[إطعام الاسير حق علىٰ من أسره وإن كـان يـراد
من الغد قتله فإنه ينبغي أن يطعم ويسـقىٰ ويظـل
ويرفـق بـه كـافراً كـان أو غـيره] [2] وعن عمـربن
سعد: [وكان عليOgPينهىٰ عن قتل الاسير الكاف]
[3] وعن ابي جعفر البـاقرOgP: [كـان عليOgP اذا
أُتي بأسير يوم صفين أخذ دابته وأخذ سلاحه وأخـذ
عليه أن لا يعود وخلىٰ سبيله][4] وعن الصادقOgP:
[لمـا التقىٰ امـير المؤمـنين وأهـل البصـرة، نشـر
الراية ـ راية رسول الله OaP ـ فزلـزلت أقـدامهم
فما اصـفرت الشـمس حـتىٰ قـالوا آمنـا يـابن ابي
طالب فعند ذلك قال: لا تقتلوا الأسرىٰ ولا تجهـزوا
علىٰ الجـرحىٰ ولا تتبعـوا موليـاً ومن القىٰ سِـلاحه
فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن] [5]
وفي وصية علي OgP إلىٰ الحسن والحسـين)
c) لمـــا ضـــربه ابن ملجم: [اطعمـــوه واســـقوه
واحسنوا اساره وان أصح فأنا ولي دمي إن شـئت

1) ـ كتاب الغيبة ص231.
2) ـ الكافي للكليني ج5 ص35.
3) ـ بحار الانوار ج32 ص522.
4) ـ المصنف ج7 ص674.
5) ـ كتاب الغيبة ص307.

اعفو وإن شئت استقدت منه، وإن انا هلكت فبــدا لكم ان تقتلــوه فلا تمثلــوا به] [1] وفي مســتدرك الوســائل انهOgP قــال للحسن: "بحقي عليــك فاطعمه يا بُني مما تأكـل واسـقه ممـا تشـرب ولا تقيد له قدماً ولا تغل له يداً "[2] وقال: "يابني عبـد المطلب لا ألفينكم تخوضــون دمــاء المســلمين خوضاً تقولون: قتل أمير المؤمنين ألا لايقتل بي إلا قــاتلي، انظــروا إذا أنــا مت من هــذه الضــربة فاضــربوه ضــربة بضــربة... ثم أقبــل علىٰ ابنــه الحسنOgP فقال: يابني أنت ولي الأمر وولي الدم فإن عفوت فلك، وإن قتلت فضـربة مكـان ضـربة ولا تأثم"[3] وعن علي بن الحسـينOgP: قـال: [إن أخـذت الاسـير فعجـز عن المشـي ولم يكن معـك محمـل فأرسـله ولا تقتلـه فإنـك لا تـدري مـا حكم الامام فيه] [4] وفي المصـنف عن عطـاء انـه كـان يقول: [لا يقتل الاسير] [5] وفيه أيضـاً: أن الحجـاج أُتيَ بأسـير فقـال لعبـد اللـه بن عمر: قم فاقتله، فقال ابن عمر: ما بهذا أمرنا، يقـول اللـه [حَتَّىٰ إِذَا

1) ـ روضة الواعظين ص137.
2) ـ مستدرك الوسائل ج18 ص256.
3) ـ وسائل الشيعة ج29 ص128.
4) ـ علل الشرائع ج2 ص565 ـ 566.
5) ـ المصنف ج7 ص674.

أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً] [1].

16ـ عدم التفريق بين الطفل وامه أو قريبه اذا اسروا:

ذكر الدارقطني بسـنده عن رسـول اللـه OaP انه قال: [لا تجمعوا عليهم بين السبي والتفريق ما لم يبلـــغ الغلام وتحض الجارية] [2] وفي ســـنن الدارمي: [أن أبا أيـوب كـان في جيش ففـرق بين الصبيان وبين امهاتهم، فرآهم يبكـون، فجعـل يـرد الصبي إلىٰ أمه ويقول: إن رسول اللـه OaP قـال: "من فرق بين الوالدة وولدها فرق اللـه بينـه وبين الاحباء يوم القيامة] [3].

---

[1]) ـ المصنف ج 7 ص674.

[2]) ـ المبسوط للسرخسى ج 13 ص 139.

[3]) ـ سنن الدارمي ج 2 ص 227.

17ـ لا تجوز المعاملة علىٰ جثث قتلى العدو:

فعن ابن عبــاس: [أن المشــركين أرادوا أن يشتروا جسـد رجـل من المشـركين، فـأبي النـبي OaP أن يـبيعهم] [1] وفي تحفـة الاحـوذي عن ابن اسحاق في المغازي: [أن المشركين سـألوا النـبي OaP أن يـبيعهم جســد نوفــل بن عبــد اللــه بن المغيرة، وكان اقتحم الخندق، فقال النـبي OaP: لا حاجة لنا بثمنه ولا جسده] [2] ويقال أنهم بذلوا فيه عشــرة آلاف. وفي رواية: "هــو لكم لا نأكـل ثمن الموتىٰ"[3].

18ـ مراعاة الامور الاخلاقية:

قال عليOgP لجنده في صـفين: [اذا وصـلتم إلىٰ رجال القوم فلا تهتكوا ستراً ولاتـدخلوا داراً ولا تأخــذوا شــيئاً من أمــوالهم إلا مــا وجــدتم في عســكرهم، ولاتهيجــوا امــرأة بــأذىٰ وإن شــتمن أعراضــكم وســببن أمــراءكم وصــلحاءكم فــإنهن ضعاف القوىٰ والانفس والعقـول] [4] وكـانت هـذه وصيته أيضاً في الجمـل فقـد نقـل عنـه انـه قـال:

---

1) ـ سنن الترمذي ج3 ص129.

2) ـ تحفة الاحوذى ج5 ص307.

3) ـ البداية والنهاية ج4 ص122.

4) ـ الكافي للكليني ج5 ص39.

[ولا تكشـفوا عـورة ولا تمثلـوا بقتيـل ولا تهتكـوا سترا ولا تربوا شيئاً من أمـوالهم إلا أن تجـدوه في معسكرهم من سلاح أو كراع...] [1].

ولقد جسد OgP أرقىٰ الخلق في معاركه سواء مع المشركين أو أهل القبلة فقد نقـل عن مكـارم أخلاقه في الحـرب انه OgP [لمـا قتـل عمـرو بن عبد ود، في معركة الخندق كان عليه سـلب بـألف دينار فلم يأخذه، بل وهبه لـه لأن الـذي كـان عليـه درع قيمتها ذلك، فقيل له: ألا تسلب درعه؟ فليس للعرب مثلها! فقال: كرهت أن أكشـف سـوأة ابن عمي] [2]. وقـال علي OgP: [قتلت مرحبـاً وتـركت سلبه، وكنت أقتل ولا آخذ السلب] [3].

وعن ابن عبـاس قـال: " تعـرض عمـرو بن العاص لعلي OgP يوماً من أيـام صـفين، وظن أنـه يطمع منه في غرة فيصيبه، فحمل عليـه علي OgP فلما كاد ان يخالطه أذرىٰ نفسه عن فرسـه ورفـع ثوبه وشغر برجله فبدت عورته فصرف OgP وجهه عنه، وقـام معفـراً بـالتراب هاربـاً علىٰ رجليـه معتصـماً بصـفوفه، فقـال أهـل العـراق: يـا أمـير

1) ـ كتاب الجمل ص121.

2) ـ عوالي اللئالى ج2 ص239.

3) ـ مستدرك الوسائل ج11 ص109.

المؤمـنين، أفلت الرجل! فقـال أتـدرون من هو؟ قـالوا: لا، قـال: فإنـه عمـرو بن العـاص، تلقّاني بسـوءته فصـرفت وجهي عنه، ورجـع عمـرو إلىٰ معاوية، فقال: مـا صـنعت يـا أبـا عبـد الله؟ فقـال لقيـــني علي فصـــرعني، فقـــال: إحمـــد اللـــه وعورتك"[1].

[1]) ـ شرح نهج البلاغة ج8 ص60.

ـ الثالث: في وصايا قادة الاسلام

لقد كان قادة الاسلام يؤكـدون علىٰ مقـاتليهم وأمراء جنـدهم بـالالتزام الكامـل بقـوانين الاسـلام اثناء الحرب والقتال مع الاعداء، ونقـف علىٰ بعض تلـك القـوانين من خلال التوصـيات الـتي قـدمها أولئك القادة لجندهم، وفيمايلي بعضها منقولـة من الكتب المعتمدة:

1ـ توصيات الرسول OaP:

عن جعفر الصادقOgP: [كان رسول الله OaP إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديـه ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سـبيل اللـه وعلىٰ ملـة رسـول الله، لا تغلـوا ولا تمثلـوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امـرأة، ولا تقطعواً شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنىٰ المسـلمين أو أفضـلهم نظـر إلىٰ رجـل من المشـركين فهـو جـار حـتىٰ يسـمع كلام الله، فـإن تبعكم فأخوكم في الـدين وإن أبي فـأبلغوه مأمنـه واستعينوا بالله عليه] [1].

وعنه OgP: [ان النبي إذا اراد ان يبعث أمـيراً علىٰ سرية أمره بتقوىٰ الله (U) في خاصـة نفسـه

---

1) ـ الكافي للكليني ج5 ص27، تهذيب الاحكام ج8 ص 138، البحار ج18ص177.

ثم في أصحابه عامـة ثم يقـول: اغـزوا بسـم اللـه وفي سـبيل الله، قـاتلوا من كفـر باللـه ولاتغـدروا ولاتغلوا ولاتمثلوا ولاتقتلوا وليداً ولامتبتلاً في شاهق ولاتحرقـوا النخـل ولاتغرقـوه بالمـاء ولاتقطعـوا شـجرة مثمـرة ولاتحرقـوا زرعـاً لأنكم لا تـدرون لعلكم تحتاجون إليه ولاتعقروا من البهـائم مايؤكـل لحمـه إلامالابـد لكم من أكلـه وإذا لقيتم عـدوا من المشـركين فـادعوهم إلىٰ إحـدىٰ ثلاث فـإن هم اجابوكم إليهـا فاقبـل منهم وكـف عنهم...إلىٰ آخـر وصاياه [OaP [1] وفي وصـيته للسـرية الـتي بعثهـا لمؤتة قال: [اغـزوا باسـم اللـه فقـاتلوا عـدو اللـه وعـدوكم بالشـام، وسـتجدون فيهم رجـالا في الصـوامع معـتزلين من النـاس فلا تعرضـوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفـاحص فافلقوهـا بالسـيف ولا تقتلـوا امـرأة ولا صـغيرا ضارعا ولا كبيرا فانيا ولا تقطعن شجرة ولا تعقـرن نخلا ولا تهدموا بيتاً] [2].

وفي وصـية لـه عليـه الصـلاة والسـلام: [إن رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلن أحـداً] [3].

---

1) ـ تهذيب الاحكام ج6 ص138 ـ 139.

2) ـ السنن الكبري ج9 ص91.

3) ـ كتاب المسند للشافعى ص208.

وعن الرضا عن آبائه (b): [أن رسول الله OaP بعث علياً OgP إلىٰ اليمن فقال له وهو يوصيه: يا علي أوصيك بالدعاء فان معه الاجابة وبالشكر فإن معه المزيد، وأنهاك عن المكر فإنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله وأنهاك عن البغي فإنه من بُغيَ عليه لينصرنه الله] [1]. وقد مرَّ قول عليOgP " ان النبي OaP قد عهد إلىٰ عهداً وكان فيما عهد فيه: ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك... الخ " وقد تأسي خلفاؤه OaP بهديه في تقديم النصح لقادة الجند والمقاتلين عند بعثهم إلىٰ جبهات القتال، والملاحظ أنهم سعوا في انتخاب نفس الكلمات التي استعملها الرسول في هذا المجال، وإليك نماذج من توصيات الخلفاء الراشدين:

2 ـ وصايا الخليفة ابي بكر**:**

في وصية له لأسامة بن زيد حين بعثه إلىٰ الشام: [لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبير، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيرا، إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له][2].

1) ـ مستدرك سفينة البحار ج10 ص345.

2) ـ فقه السنة ج2 ص656 ـ 657.

وفي رواية أن أبا بكر لما بعث الجنود نحو الشام أمر يزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، فلما ركبوا مشي ابو بكر مع أمراء جنوده يودعهم حتىٰ بلغ ثنية الوداع، فقالوا يا خليفة رسول الله أتمشي ونحن ركبان؟ قال: إني أحتسب خطاي في هذا سبيل الله، ثم جعل يوصيهم فقال: [أوصيكم بتقوىٰ الله، اغزوا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، فإن الله ناصر دينه، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تجبنوا ولا تفسدوا في الارض، ولا تعصوا ما تؤمرون فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلىٰ ثلاث، فإن أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ادعوهم إلىٰ الاسلام... الخ] [1]. وفي رواية: [وستجدون أقواما قد حبسوا أنفسهم في هذه الصوامع فاتركوهم وما حبسوا أنفسهم وستجدون أقواما قد اتخذ الشيطان علىٰ رؤسهم مقاعد يعني الشمامسة فاضربوا تلك الاعناق ولا تقتلوا كبيرا هرما ... الخ] [2].

3 ـ وصايا الخليفة عمر بن الخطاب:

جاء في كتاب له: [لا تغلوا ولا تغدروا ولا

---

[1]) ـ كنز العمال ج4 ص473.

[2]) ـ كنز العمال ج4 ص474.

تقتلـوا وليـداً، واتقـوا اللـه في الفلاحين][1] وفي رواية: [اتقوا اللـه في الفلاحين فلا تقتلـوهم إلا أن ينصبوا لكم الحـرب] [2] وكـان من وصـاياه لأمـراء الجنـود: [ولا تقتلـوا هرمـاً، ولا امـرأة، ولا وليـداً، وتوقــوا قتلهم إذا التقىٰ الزحفــان، وعنــد شــن الغارات] [3].

4 ـ وصايا أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب OgP:

في وصيته لمعقل بن قيس أحد قواده قال له وهو يودعه: [يا معقل إتق الله مـا اسـتطعت فإنـه وصية اللـه للمؤمـنين. لا تبـغ علىٰ أهـل القبلة، ولا تظلم أهــل الذمة، ولا تتكــبر فــإن اللــه لا يحب المتكبرين] [4].

وفي عهــده لجاريـــة بن قدامـــة الســـعدي: [أوصيك يا جاريـة بتقـوىٰ اللـه فإنها جمـوع الخـير وسر علىٰ عون الله، فالق عدوك الذي وجهتك له، ولا تقاتـل إلا من قاتلـك ولا تجهـز علىٰ جـريح، ولا تسـخرن دابـة وإن مشـيت ومشـىٰ أصـحابك، ولا تسـتأثر علىٰ أهـل الميـاه بميـاههم ولا تشـربن إلا

---

1) ـ فقه السنة ج2 ص 657.

2) ـ كنز العمال ج4 ص 477.

3) ـ فقه السنة ج2 ص 657.

4) ـ الغارات ج1ص351، الطبري ج4ص94.

فضلهم عن طيب نفوسهم، ولا تشتمن مسـلماً ولا مسلمة فتوجب علىٰ نفسك ما لعلك تؤدب غـيرك عليه، ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة واذكر اللـه ولا تفتر ليلاً ولا نهاراً، واحملوا رجـالتكم، وتواسـوا في ذات ايـديكم واجـدد السـير واجـل العـدو من حيث كان، واقتله مقبلاً، واردده بغيضه صاغراً، واسـفك الدم في الحق واحقنه في الحق، ومن تاب فاقبـل توبته، وأخبارك في كـل حين بكـل حـال، والصـدق الصدق فلا رأي للكذوب] [1].

وكان OgP يوصي جنده عنـد الحـرب بـالتقوىٰ ومن كلامـه في ذلك: [اصـبروا وصـابروا واسـألوا النصر ووطنوا أنفسكم علىٰ القتال واتقوا اللـه (U) فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] [2].

وفي أخـرىٰ: [عبـاد اللـه اتقـوا اللـه وغضـوا الابصار واخفضـوا الاصـوات وأقلـوا الكلام ووطنـوا أنفســكم علىٰ المنازلــة والمجاولــة والمبــارزة والمنابذة والمعانقة وأنيبوا إلىٰ ربكم واذكـروا اللـه لعلكم تفلحون ...][3].

وقد تقدم نهيـه OgP عن المثلـة بقتيـل وهتـك

---

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج2 ص200.

2) ـ الكافي للكليني ج5 ص38.

3) ـ الكافي للحلبي ص253.

الستر وكشـف العـورة وقتـال النسـاء وإن شـتمن الأمراء والصلحاء وغيرها من المنكرات.

ـ الرابع: في كلمات الفقهاء

لقد تعرض الفقهاء بتفصيل اكبر لمسألة مراعاة الاسلام حدود الاخلاق والمنطق في ساحة الحرب واهتمامه بالمسائل الانسانية، وكتبوا في ذلك أبوابا في كتاب الجهاد ننقل بعض كلماتهم في هذا الموضوع ليسترشد من خلالها من أراد إلىٰ نظرية الاسلام في هذا القسم من قانون الحرب:

الف) ـ الجهاد أو دخول الحرب:

ذكرنا سابقاً أن الحرب هي المكروه الذي لابُد منه أحياناً، وفي وجوب دخول القتال في محله اجماع علماء الاسلام، ولهم في وجوبه شروط منها: وجود الامام العادل أو من نصبه لذلك، ولا يجوز مع الجائر إلا أن يدهم المسلمين من يخشي منه علىٰ بيضة الاسلام[1]. وقال الشيخ الطوسي: والجهاد مع أئمة الجور أو من غير إمام، خطأ يستحق فاعله به الاثم وإن أصاب لم يؤجر عليه وإن أصيب كان مأثوما، اللهم إلا أن يدهم المسلمين أمر من قبل العدو يخاف منه علىٰ بيضة الاسلام ويخشي بواره أو يخاف علىٰ قوم منهم، وجب حينئذ أيضاً جهادهم ودفاعهم، غير أنه يقصد المجاهد الدفاع عن نفسه وعن حوزة

---

1) ـ المختصر النافع ص109.

الاسلام وعن المؤمنين ولا يقصد الجهاد مع الامـــام الجائر... الخ[1]. وقال ابن زهرة في غنيـة الـنزوع: [وشرط وجوبه الحريـة والـذكورة والبلـوغ وكمـال العقل والاستطاعة له بالصحة والقدرة عليه وعلىٰ ما يفتقـر إليـه فيـه من ظهـر ونفقـة وأمـر الامـام العادل به أو من ينصبه الامـام، أو مـا يقـوم مقـام ذلـك من حصـول خـوف علىٰ الاسـلام أو علىٰ الانفس والامـوال ومـتىٰ اختـل شـرط من هـذه الشروط سقط فرض الجهـاد بلا خلاف] [2]. وعلىٰ هـذا لا جهـاد علىٰ المـرأة ولا علىٰ الاطفـال ولا المجانين ولا المرضىٰ والعاجزين عنه.

ب) ـ الاعداء الذين يجب قتالهم:

قبل البدء ببيان قـول الفقهـاء في اقسـام من يجب قتـالهم ينبغي الاشـارة إلىٰ أن الاسـلام لم يقرر وجوب قتال الإخـرين ابتـداء ومن غـير سـبب معقـول، وإنمـا أمـر النـاس بالتعـايش السـلمي والابتعـاد عن الاقتتـال وسـفك الـدماء. وقـد اثبت التـاريخ أن دعـاة الاسـلام بـدأوا دعـوتهم في مكـة بـالحوار والمجادلـة الحسـنة ولم يجـبروا أحـداً من مشركي قـريش أو اليهـود والنصـارىٰ المتواجـدين

---

1) ـ النهاية ص290.

2) ـ غنية النزوع ص199.

في الحجاز علىٰ قبول الاسلام واستمرت الدعوة في حالتها السلمية إلىٰ حين تشكيل أول دولة اسلامية في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية وبعد استجابة أهل المدينة لدعوة النبي OaP طوعاً. ولن تجد في كتب التاريخ والسير أية اشارة إلىٰ استعمال القوة قبل ذلك. بل ويؤكد القرآن هذه الحقيقة في آيات كثيرة.

وقد أكدت المصادر أن المؤمنين بفكرة الاسلام والمروجين لها واجهوا معارضة شديدة منذ ابتداء الدعوة وتعرضوا لألوان التعذيب والمطاردة والاضطهاد من قبل مشركي مكة وبعض اليهود حدا لم يتمكنوا معه من البقاء والعيش بسلام واضطروا إلىٰ ترك الديار والاموال فرارا من الظلم والعدوان من غير جرم ارتكبوه سوي ايمانهم بالدين الجديد؛ حتىٰ ورد عنه OaP: ["ما أوذي أحد ما أوذيت" فقد أذاه قومه أذي لا يحتمل ولا يطاق حتىٰ رموه بالحجارة إلىٰ أن أدموا رجله فسال منهما الدم علىٰ نعليه ونسبوه إلىٰ السحر والكهانة والجنون إلىٰ غير ذلك][1] "ووطيء ابو بكر وضُرب ضرباً شديداً ودنامنه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما

---

1) ـ فيض القدير ج 5 ص 550.

لوجهه ونزا علىٰ بطن ابي بكر حتىٰ ما يعرف وجهه من أنفه"[1]

وذكر المؤرخون أن المشركين اخذوا عماراً واباه ياسر وامه سمية فعذبوهم في الرمضاء أشد العذاب، ومر النبي OaP بعمار وابيه وامه يعذبون فقال "اصبروا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة"[2]. واما سمية امه فقد "طعنها ابو جهل بحربة في قلبها فقتلها"[3]. وعمار "عُذب حتىٰ لا يدري ما يقول"[4]. واما سائر المؤمنين "فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصفروهم في الشمس وما منهم أحد إلا وقد واتاهم علىٰ ما أرادوا إلاّ بلال فانه هانت عليه نفسه في الله وهان علىٰ قومه، فأعطوه الولدان يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد"[5]. وفي خبر آخر: "كان موالي بلال يأخذونه فيضجعونه في الشمس ثم يأخذون الحجر فيضعونه علىٰ بطنه ويعصرونه ويقولون دينك اللات والعزي فيقول

---

1) ـ السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 439 ـ 440.

2) ـ تاريخ بغداد ج 1 ص 161.

3) ـ تاريخ بغداد ج 1 ص 161.

4) ـ الطبقات الكبري ج 3 ص 248.

5) ـ تاريخ مدينة دمشق ج 10 ص 439.

ربي الله ويقول أحد أحد" [6].

وهكذا كان الموقف بالنسبة للمسلمين يسير من سيء إلىٰ أسوأ وهم يشكون مايلاقوه إلىٰ رسول الله OaP، ولم يجد النبي بدا من أمر اتباعه بترك ديارهم والالتجاء إلىٰ اماكن آمنة فمنهم من هاجر إلىٰ الحبشة ومنهم من هاجر إلىٰ يثرب وضواحيها، وقد بلغ الأمر بأعداء المسلمين إلىٰ أن دبروا مكيدة لإغتيال الرسول نفسه، فهاجر هو الإخر إلىٰ المدينة ليستقر هناك بعد ايمان أهلها بالدين الجديد، والتحق به جمع كبير ممن هاجر قبله أو بعده OaP ليجتمع الشمل في القاعدة الجديدة، وقام OaP باعمال اصلاحية كثيرة في المدينة كمؤاخاته بين المهاجرين والانصار وبناء المسجد والهدنة مع القبائل المجاورة للمدينة وتشكيل قوة دفاعية تحسباً للعدوان المحتمل.

لم يكن المسلمون يفكرون قط إلىٰ هذا الحين في دخول حرب مع أحد أو خوض قتال من أجل فرض الاسلام، ولولا اصرار اعدائهم في النيل منهم مع ابتعادهم عن مركز الشرك لما وقع ما وقع بين المسلمين واعداء الاسلام من وقائع، إلا أن المشركين أبوا إلا مطاردة الدين الجديد بأي شكل

---

[6]) ـ تاريخ مدينة دمشق ج10 ص439.

وفي أي مكان فبدأوا بالكيد وتحريض القبائل واتباع الاديان وحثهم علىٰ معارضة الدعوة الاسلامية والوقوف ضدها والتعرض لأتباعها.

تحسس المسلمون بقيادة الرسول OaP الخطر المحدق بدولتهم الفتية وهو ما دعاهم إلىٰ تشكيل نواة جيش مؤلف اول الأمر من سرايا تضم المهاجرين دون الانصار تقوم بعمل الدورية والاستطلاع والترصد لكي لا يؤخذوا علىٰ حين غرة، وتأهبوا لكل طارئ محتمل فلما بدأ العدو بتنفيذ خططه اضطر المسلمون إلىٰ استخدام السلاح ضد الاعداء. وفي هذه المرحلة أجاز الاسلام رسميا القتال دفاعاً عن النفس والنظام، ومنها بدأت المناوشات المسلحة بينهم وبين أعدائهم الذين جردوا السيف وقصدوا الاسلام والمسلمين. من هنا تعرض الفقهاء إلىٰ تشخيص الاعداء الذين وجب قتالهم ويجب متىٰ ماظهروا في كتبهم المفصلة وهم ثلاث طوائف يرىٰ الاسلام في وجودهم علىٰ ماهم عليه خطراً علىٰ المجتمع الانساني:

 الأولىٰ: الحربي: [وهو غير اليهود والنصارىٰ والمجوس من سائر أصناف الكفار سواء اعتقد معبودا غير الله تعالىٰ كالشمس والوثن والنجوم

أو لم يعتقـد كالـدهري، وهـؤلاء لا يقبـل منهم إلا الاسلام، فإن امتنعـوا قوتلـوا إلىٰ أن يسـلموا أو يقتلوا، ولا يقبل منهم بذل الجزية] [1].

 الثانية: الـذمي: [وهـو من كـان من اليهـود والنصـارىٰ والمجـوس إذا خرجـوا عن شـرائط الذمة الإتية، فإن التزموا بها لم يجز قتالهم] [2].

 الثالثة: البغـاة: وهم الخـارجون عن القـانون، وفي مصـطلح الفقهـاء البـاغي هو: [من خـرج علىٰ امام عادل وقاتله ومنع تسـليم الحـق إليه] [3]. وشروط الذمـة عبـارة عن بعض الالتزامـات يلتزم بها أهل الاديان في بلاد الاسلام وفي ظـل القـانون الإسـلامي فيحقن بـذلك دمـاؤهم وأموالهم ويتمتعون بالحرية التامة فيما عدا ذلـك لهم ما للمسلمين ومن تلك الالتزامات:

1 ـ بـذل الجزية: وهي ضـريبة علىٰ النفـوس تؤخـذ من القـادرين علىٰ حمـل السـلاح من الرجـال، ويعفىٰ منهـا النسـاء والاطفـال والشيوخ والمقعدين والمجانين.

2 ـ التزام أحكام المسلمين: والمراد احـترام قانون الدولة الاسلامية والالتزام بها

---

1) ـ قواعد الاحكام ج1 ص480.

2) ـ قواعد الاحكام ج1 ص480.

3) ـ الخلاف للطوسى ج5 ص335.

3 ـ ترك قتال المسلمين.
4ـ ترك الزنىٰ بالمسلمة.
5 ـ عدم افتان المسلم عن دينه واضلاله.
6 ـ لا يجوز له قطع الطريق علىٰ المسلم.
7 ـ لا يجوز له ايواء جاسوس المشركين.
8 ـ عدم معاونة العدو ضد المسلمين بدلالة العدو علىٰ عوراتهم أو اماكنهم.
9ـ ترك ما فيه الغضاضة علىٰ المسلمين؛ وهو ذكر ربهم أو نبيه OaP بسب ونحوه.
10ـ عدم التجاهر بالمنكرات في دار الاسلام[1]. فاذا التزم اصحاب الاديان بهذه الشروط فهم محترموا الشخصية محقونوا الدم يتمتعون بكامل حقوق المواطنة يتكفل حمايتهم المسلمون وقد افتىٰ الفقهاء بذلك بقولهم: [ويجب دفع المعتدي علىٰ أهل الذمة مسلماً كان أو كافراً، كالمسلمين][2].
ومع عدم الالتزام بالشروط المتقدمة يعدون من المخالفين للنظام والمعادين للدولة الاسلامية يجب ردعهم وتخييرهم بين امرين إما الالتزام بالقانون أو المحاربة.

---

1) ـ اقتبسنا الشروط من كتاب قواعد الاحكام للعلاّمة ج1 ص483.
2) ـ الجامع للشرائع: ص235.

ج) ـ قبول الصلح وعقد الهدنة اذا دعىٰ إليه العدو:

حث الاسلام علىٰ قبول الصـلح إذا جنح العـدو له، وأوجب الالتزام به ما لم ينقض أحـد الطـرفين المعاهدة.

 والصلح؛ معاهـدة علىٰ التعـايش السـلمي ضـمن شـروط متفـق عليهـا بين الطـرفين غـير محددة بزمن فتبقىٰ ما دام الالتزام بتلك الشـروط باقيـاً، وللطـرفين نقضـها، ويشـترط علىٰ النـاقض اعلام الطرف الإخر بـالنقض، فـإذا نقضـوا الصـلح عادت الحالة بين الفـريقين إلىٰ حالـة حـرب. ومـا تقدم من شروط الذمة هي الاساس في التعـايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من أهـل الاديـان. والصلح أكبر دائرة من الهدنة.

 والهدنة: [هي المعاهدة علىٰ ترك الحـرب مـدة من غـير عـوض وهي جـائزة مـع المصـلحة للمسلمين وواجبة مع حـاجتهم إليهـا إمـا لقلتهم أو لرجـاء إسـلامهم مـع الصـبر أو مـا يحصـل بـه الاستظهار] [1]. وهنا مسائل منها:

1 ـ لابُد من ان تكـون مـدة الهدنـة معلومة؛ فـإن عقدها مطلقة إلىٰ غير مـدة كـان العقـد بـاطلاً؛ لأن اطلاقهـا يقتضـي التأبيـد وذلـك لايجـوز في

[1]) ـ ايضاح الفوائد ج1 ص392.

الهدنة [1]

2 ـ اذا عقد الامام الهدنـة إلىٰ مـدة ومـات؛ وقـام غـيره مقامـه لم يكن لـه نقض تلـك الهدنـة إلىٰ انقضاء مدتها [2].

3 ـ ما يؤخـذ غيلـة من أهـل الحـرب إن كـان في زمان الهدنة أعيد عليهم [3].

4 ـ اذا عقد الامام الذمة للمشركين، كان عليه أن يذب عنهم كل من لو قصد المسـلمين لزمـه أن يذب عنهم، ولو عقد الهدنة لقوم منهم كان عليه أن يكــف عنهم من يجــري عليــه أحكامنــا من المسـلمين وأهـل الذمة، وليس عليـه أن يـدفع عنهم أهـل الحـرب [4]. وذلـك للفـرق بين عقـد الذمة والهدنـة فـإن عقـد الذمـة أو مـا اسـميناه الصلح والتعايش السلمي يقتضي جريان أحكامنا عليهم فهم كالمسـلمين أمـا الهدنـة فهي عقـد أمان يتضمن عدم الاعتـداء عليهم والكـف عنهم من قبل الحكومة الاسـلامية لا مسـاعدتهم علىٰ عـدوهم، فـإذا هـوجم المهـادن من قبـل طـرف ثــالث لايلــزم علىٰ المســلمين الــدفاع بعكس

---

1) ـ المبسوط للشيخ الطوسي ج2 ص51.

2) ـ المبسوط للشيخ الطوسي ج2 ص56.

3) ـ شرائع الاسلام ج4 ص840.

4) ـ منتهىٰ المطلب ج2 ص981.

الذمي.

5 ـ إذا أغار أهل الحرب ـ جهة خارجية ـ علىٰ أهل الهدنـة وأخـذوا أمـوالهم، وظفـر الامـام بأهـل الحرب واستنقذوا أموال الهدنـة قـال الشـافعي يرده الامـام عليهم وكـذا لـو اشـترىٰ مسـلم من أهل الحرب ما أخذوه من أهل الهدنـة وجب رده عليهم [1].

6 ـ لو شرع المشركون في نقض العهـد لم يخـل إمـــا أن ينقض الجميـــع أو البعض: فـــإن نقض الجميع العهـد وجب قتـالهم ونقض عهـدهم، وإن نقض بعضهم دون بعض نظر فـإن كـان البـاقون أنكروا مافعلـه الناقضـون بقـول أو فعـل ظـاهر واعتزلوهم وأرسلوا إلىٰ الامام بأنا منكرون ممـا فعلوا وإنا مقيمون علىٰ العهـد كـان العهـد باقيـا في حقه. وإن سـكتوا علىٰ مـا فعـل الناقضـون ولم يوجـد انكـار ولا يـرىٰ من ذلـك كـانوا كلهم ناقضـين للعهـد ...لان سـكوتهم علىٰ ذلـك يـدل علىٰ الرضا به، كما لو عقـد بعضـهم الهدنـة مـع سكوت البـاقين فإنـه يكـون عقـداً لجميعهم لأن سكوتهم رضـاؤهم كـذلك هنا. اذا ثبت هـذا فـإن كـان النقض من الجميـع غـزاهم الامـام وبينهم وأغار عليهم ويصيروا أهل حـرب ليس لهم عقـد

---

[1]) ـ منتهىٰ المطلب ج 2 ص 81.

هدنة، وإن كان بعضهم دون بعض قضىٰ الامـام الناقضين دون الباقين علىٰ العهد[1].

7 ـ لو خاف الامام من خيانـة المهـادنين وغـدرهم بسـبب أو أمـارة دلتـه علىٰ ذلـك جـاز لـه نقض العهد، قال الله تعالىٰ وإما تخافن من قوم خيانة فانبـــذ إليهم علىٰ ســـواء يعـــني أعلمهم بنقض عهدهم حتىٰ تصير أنت وهم سـواء في العلم ولا يكفي وقوع ذلك في قلبه حتىٰ يكون عن أمـــارة تـــدل علىٰ مـــا خافـــه ولا تنتقض الهدنـــة بنفس الخـوف ... وهـذا بخلاف الـذمي إذا خيـف منـه الخيانة فإن عقد الذمة لا ينتقض بـذلك لأن عقـد الذمة يعقد لحـق أهـل الكتـاب ولهـذا يجب علىٰ الامـــام إجـــابتهم عليه، وعقـــد الهدنـــة والامـــان لمصلحة المسلمين لا لحقهم فافترقا، ولان عقد الذمة آكد لأنه عقد معاوضة ومؤبد بخلاف الهدنة والامان ولهذا لو نقض بعض أهل الذمـة وسـكت الباقون لم ينتقض عهدهم، ولو كـان في الهدنـة إنتقض[2].

د ـ دخول أفراد العدو لبلد الاسلام:

الحربي إذا أراد أن يدخل بلاد الاسـلام رسـولاً أو مستأمناً، فإن كان لقضاء حاجة من نقـل مـيرة

---

[1]) ـ منتهىٰ المطلب ج2 ص980.

[2]) ـ منتهىٰ المطلب ج2 ص980.

أو تجـارة أو أداء رسـالة ولم يطلب مـدة معلومـة جاز أن يدخلها يوما ويومين وثلاثة إلىٰ العشــرة[1].

ولو دخل الحـربي دار الاسـلام بتجـارة معتقـدا إنـه أمان، فهو آمن حتىٰ يرجع إلىٰ مأمنه ويعامل بالبيع والشراء ولا يسأل عن شيء[2].

ه ـ الدعوة قبل القتال:

اكثر علماء الاسـلام علىٰ وجـوب دعـوة العـدو قبل القتال إلىٰ قبول الاسلام أو الصـلح بالشـرائط المتقدمة أو اختيار الحـرب، قـال مالـك "لاأرىٰ أن يقاتـل المشـركون حـتىٰ يـدعوا، ولا يـبيتون حـتىٰ يدعوا، وسواء إن غزوناهم نحن أو أقبلـوا هم إلينـا غزاة فدخلوا بلادنـا لا نقـاتلهم حـتىٰ نـدعوهم" [3].

وعن السرخسي: "أنه يحسـن أن لا يقـاتلهم فـور الـدعوة، بـل يـتركهم يـبيتون ليلـة يتفكـرون فيهـا ويتـدبرون مـا فيـه مصـلحتهم"[4]. وقـال الشـهيد الاول: " ولايجوز القتال إلا بعد الدعاء إلىٰ الاسـلام باظهـار الشـهادتين، والـتزام احكـام الاسـلام"[5]

---

1) ـ المبسوط للشيخ الطوسي ج2 ص51.

2) ـ تذكرة الفقهاء ج1 ص417.

3) ـ المدونة الكبري ج2 ص2.

4) ـ فقه السنة ج2 ص646.

5) ـ الدروس ج2 ص31.

وقال الشهيد الثاني في تعليقه علىٰ قول المحقـق الحلي في الشرائع [ويسقط اعتبـار الـدعوة فيمن عرفها] قـال: "ومـع ذلـك يسـتحب الـدعاء قبـل القتال كما فعل علي OgP بعمرو وغيره مع علمهم بالحال"[1] وقال ابن براج، الافضـل تقـديم الانـذار علىٰ عقد الالوية وتسليم الرايات[2]. ويرىٰ الفقهاء أن أمير الجيش اذا بدأ بالقتال قبل الانـذار بالحجـة والدعاء إلىٰ إحدىٰ الامور الثلاثة ـ يعني الاسـلام أو الصلح أو القتال ــ وقتـل من الاعـداء غـرة وبياتـاً، ضمن ديات نفوسهم"[3].

وفي سـنن الترمـذي: " أن جيشـاً من جيـوش المسلمين كان أميرهم سـلمان الفارسـي حاصـروا قصرا من قصور فارس، فقـالوا يـا أبـا عبـد اللـه الا ننهـد إليهم، قـال: دعـوني أدعـوهم كمـا سـمعت رسول الله OaP يدعوهم، فأتاهم سلمان فقال لهم: إنما أنا رجل منكم فارسي ترون العـرب يطيعـوني، فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا، وعليكم مثل الـذي علينا، وإن أبيتم إلا دينكم تركنـاكم عليـه وأعطونـا الجزيـة عن يـد وأنتم صـاغرون، قـال: ورطن إليهم

1) ـ مسالك الافهام ج3 ص23.

2) ـ المهذب البارع ج1 ص299.

3) ـ فقه السنة ج2 ص646.

بالفارسـية وأنتم غـير محمـودين وإن أبيتم نابـذناكم علىٰ سواء. قالوا ما نحن بالذي يعطي الجزية ولكنـا نقاتلكم. فقالوا أيا أبا عبد الله ألا ننهـد إليهم؟ قـال: لا، قال فـدعاهم ثلاثـة أيـام إلىٰ مثـل هـذا ثم قـال: انهدوا إليهم ففتحنا ذلك القصر"[1].

و ـ كراهة تبييت العدو:

وهـو الاغـارة علىٰ العـدو ليلاً ومبـاغتتهم: فقـد ذهب جمهور علماء الاسـلام إلىٰ كراهتـه مـع عـدم الضرورة. قال العلامة يكره تبييت العـدو ليلاً وإنمـا يلاقون بالنهار إلا مع الحاجة إلىٰ التبييت، ويستحب أن يلاقوا بالنهار ويبدأوا بالقتال بعد الزوال، ويكـره قبلـــه إلا مـــع الحاجة[2]. وقـــال الجـــواهري في الاسـتدلال علىٰ كراهـة الـنزول عليهم ليلاً، بخـبر الصادقOgP [ما بيت رسـول اللـه OaP عـدواً قـط ليلا] [3] مضـافا إلىٰ مـا في ذلـك من قتـل النسـاء والاطفال ونحوهم ممن لايجوز قتلهم.

ز ـ اعطاء الامان:

قـال الفقهـاء: عقـد الامـان جـائز للمشـركين لقوله تعالىٰ P وَإِنْ أَحَـدٌ مِّنَ الْمُشْـرِكِينَ اسْـتَجَارَكَ

---

1) ـ سنن الترمذي ج3 ص52.

2) ـ تذكرة الفقهاء ج9 ص84 ط ج.

3) ـ جواهر الكلام ج21 ص82.

فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ O [(1)]،
وعقد النبي OaP الامان للمشركين عام الحديبية فإذا ثبت جوازه نظر، فإن كان العاقد الامام جاز أن يعقده لأهل الشرك كلهم في جميع البقاع والاماكن لأن إليه النظر في مصالح المسلمين وهذا من ذلك. وإن كان العاقد خليفة الامام علىٰ إقليم فانه يجوز له أن يعقد لمن يليه من الكفار دون جميعهم لأن إليه النظر في ذلك دون غيرها، وإن كان العاقد آحاد المسلمين جاز أن يعقد لإحادهم والواحد والعشرة، ولايجوز لأهل بلد عام ولا لأهل اقليم لأنه ليس له النظر في مصالح المسلمين فإذا ثبت جوازه لآحاد المسلمين فإن كان العاقد حراً مكلفاً جاز بلا خلاف وإن كان عبداً صح سواء كان مأذوناً له في القتال أو غير مأذون لقوله OaP يسعىٰ بذمتهم أدناهم وأدناهم عبيدهم. وأما المرأة فيصح أمانها بلا خلاف لأن أم هاني بنت أبي طالب أجارت رجُلاً من المشركين يوم فتح مكة فأجاز النبي OaP أمانها[(2)]. ولو أذم المراهق أو المجنون لن ينعقد لكن يعاد إلىٰ مأمنه وكذا كل حربي دخل دار الاسلام بشبهة الامان كأن يسمع لفظا فيعتقده أماناً أو يصحب رفقة

---

1) ـ سورة التوبة، الآية 6.

2) ـ المبسوط للشيخ الطوسي ج2 ص14.

فيتوهمها أماناً [1].

ولـو اشـرف جيش الاسـلام علىٰ الظهـور فاستذم الخصم جاز [2]. ولـو ادعىٰ الحـربي علىٰ المسلم الامان فأنكر المسلم فالقول قوله، ولـو حيل بينه وبين الجـواب بمـوت أو إغمـاء لم تسمع دعوىٰ الحربي وفي الحالين يرد إلىٰ مأمنـه ثم هـو حـرب [3]. وفي كتـاب المهـذب البـارع: " إذا ضـل مسلم عن الطريـق ومعـه أسـير من المشـركين، فجعل لـه الامـان إن دلـه علىٰ الطريق، فلما دلـه عليهـا ولاح لـه الجيش خـاف المسـلم من أن لا يطلقـه صـاحب الجيش، كـان عليـه اطلاقـه قبـل وصوله إلىٰ الجيش، فـإن أدركـه المسـلمون قبـل اطلاقه، كان علىٰ صاحب الجيش اطلاقه له" [4].

ح ـ حرمة الغدر:

الغـدر في الاسـلام محضـور علىٰ الاطلاق ولم يستثن من عموم الحرمة حتىٰ العدو الحربي، لهذا أجمع العلمـاء علىٰ حرمته، واستدلوا علىٰ حرمتـه بالنسـبة إلىٰ العـدو بوصـية الرسـول OaP [ولا

---

1) ـ شرائع الاسلام ج 1 ص 238.

2) ـ شرائع الاسلام ج 1 ص 239.

3) ـ شرائع الاسلام ج 1 ص 239.

4) ـ المهذب البارع ج 1 ص 310.

تغدروا]. ورتبوا علىٰ ذلك أحكاماً. قال العلامـة في التذكرة: "قد بينـا أن من عقـد أمانـاً للكـافر وجب عليه الوفاء ولا يجوز الغدر، فإن نقضه كـان غـادراً وآثما، ويجب علىٰ الامـــام منعـــه عن النقض إن عـرف الامـان. إذا عـرفت هـذا فلـو عقـد لحـربي الامان ليسكن دار الاسلام وجب الوفـاء لـه ودخـل ماله تبعا له في الامان، لأن الأمـان يقتضـي الكـف عنه، وأخذ ماله يوجب دخول الضـرر عليـه فيكـون نقضاً للامان وهو حرام[1]. ولو كـان للحـربي أمـان فترك ماله ونقض الامان ولحق بـدار الحـرب فـإن الامـان بـاق في حاله"[2]. وإذا دخـل المسـلم دار الحـرب بأمـان حـرم تعرضـه لشـيء منهم، وانمـا حرم عليه لأنه ضمن بالاستئمان أن لا يتعرض لهم، فالتعرض بعد ذلك يكون غدراً والغدر حـرام، إلا إذا غدر به ملكهم فأخذ مالـه أو حبسـه أو فعـل غـيره بعلم الملـــك ولم يمنعـــه لأنهم هم الـــذين نقضـــوا العهد[3].

ط ـ استحباب عدم الشروع في القتال حتىٰ يبدأ العدو:

قال صاحب غنية النزوع بعـد ذكـره أمـوراً من

---

1) ـ تذكرة الفقهاء ج1 ط ق ص417.

2) ـ تذكرة الفقهاء ج1 ط. ق ص417.

3) ـ البحر الرائق ج5 ص167.

آداب الحرب: " فينبغي أن يمسك عن الحرب بعد ذلك كله حتىٰ يبدأ العدو ليتحقق الحجة عليه ويتقلد بذلك البغي"[1].

ي ـ كراهة أو حرمة استخدام بعض أنواع السلاح:

يجوز قتال الكفار بسائر أنواع القتل وأسبابه إلا بتغريق المساكن ورميهم بالنيران وإلقاء السم في بلادهم فإنه لا يجوز أن يلقىٰ السم في بلادهم[2]. " وكذا يكره ارسال الماء عليهم، ومنعه عنهم وأرسال النار وإلقاء السم علىٰ الاقوىٰ إلا أن يؤدي إلىٰ قتل نفس محترمة فيحرم "[3].

ك ـ عدم جواز قتل النساء والاطفال والشيوخ:

فعن ابن الجنيد: "لا يقتل منهم شيخ فان ولا صبي ولا امرأة ولا راهب في صومعة أوحيث قد حبس نفسه فيه، إلا أن يكون أحد منهم قتل أحداً من المسلمين، أو يكون منهم قتال يخاف مع ترك قتلهم النكاية في المسلمين"[4].

وفي اللمعة الدمشقية: "لا يجوز قتل الصبيان والمجانين والنساء وإن عاونوا إلا مع الضرورة ولا

---

1) ـ غنية النزوع ص200.
2) ـ السرائر ج2 ص7.
3) ـ شرح اللمعة الدمشقية ج2 ص392.
4) ـ مختلف الشيعة ج4 ص392.

الشيخ الفاني والخنثىٰ المشكل"[1].

وقال العلامة في التحرير: " الأولىٰ إلحاق الزمن والاعمىٰ بالشيخ الفاني، أما العبيد فإن قاتلوا مع ساداتهم قتلوا، وإلاّ فلا "[2].

وفي المدونة الكبرىٰ: "قلت هل كان مالك يكره قتل النساء والصبيان والشيخ الكبير في أرض الحرب؟ قال: نعم؛ قلت: فهل كان مالك يكره قتل الرهبان؟ قال: نعم كان يكره قتل الرهبان المحبسين في الصوامع والديارات. قلت أرأيت الراهب هل يقتل؟ قال: سمعت مالكاً يقول لا يقتل الراهب، قال مالك وأري أن يترك لهم من أموالهم مايعيشون به لا يأخذون منهم أموالهم كلها فلايجدون ما يعيشون به فيموتوا"[3].

ل ـ عدم جواز قتل الرسل:

قال في المجموع: " ولا يقتل رسولهم لما روىٰ أبو وائل قال: لما قتل عبد الله بن مسعود ابن النواحة قال: إن هذا وابن أثال قد كانا أتيا رسول الله OaP رسولين لمسيلمة، فقال لهما رسول الله OaP أتشهدا أني رسول الله؟ قالا

---

1) ـ اللمعة الدمشقية ص73.

2) ـ تحرير الاحكام ج2 ط. ج ص144.

3) ـ المدونة الكبري ج2 ص6.

نشهد أن مسيلمة رسول الله، فقـال رسـول اللـه OaP: لـــو كنت قـــاتلاً رســـولاً لضـــربت أعناقكما، فجرت سنة أن لا تقتـل الرسل"[1] وقـال كاشـف الغطاء: "وينبغي شدة المحافظـة علىٰ تـرك قتـل النساء... ومهما أمكن التحرز من قتلهم لزم"[2].

م ـ عدم جواز التمثيل بقتلى العدو:

وهو قطع إليد والاصبع والإذان والانـوف ونحـو ذلك من شق البطن وقطع اللحم وقد اجمع فقهاء الاسـلام علىٰ حرمته، "فلايجـوز التمثيـل بالكفـار ولاتعـذيبهم ولا الغلـول منهم"[3] لقـول النـبي OaP في توصيته لجنده [ولاتمثلوا]. وقال الشهيد الثـاني في المسالك: لا يجوز التمثيـل بالكفـار حين قتلهم كجـــدع أنـــوفهم وآذانهم وإن فعلـــوا ذلـــك بالمسلمين[4].

وقال البهوتي: ولا يجـوز التمثيـل ولا التعـذيب لقول النبي OaP في حديث بريـدة: [ولا تعـذبوا ولا تمثلوا][5].

---

[1]) ـ المجموع ج19 ص296.

[2]) ـ كشف الغطاء ج2 ص406.

[3]) ـ منتهىٰ المطلب ج2 ط ق ص912.

[4]) ـ مسالك الافهام ج3 ص26.

[5]) ـ كشف القناع ج3 ص69.

وفي المحلي: " قال على: وأما جلد الانسان فقد صح نهي رسول الله OaP عن المثلة، والسلخ أعظم المثلة، فلا يحل التمثيل بكافر ولا مؤمن. وصح أمره OgP بإلقاء قتلىٰ بدر في القُليب، فوجب دفن كل ميت كافر ومؤمن"[1].

ن ـ عدم جواز المعاملة علىٰ جثث قتلى العدو:

قال في كشاف القناع: "ويكره نقل رأس كافر من بلد إلىٰ بلد، ورميه بمنجنيق بلا مصلحة لما روي عقبة بن عامر: أنه قدم علىٰ أبي بكر الصديق برأس بنان البطريق. فأنكر ذلك، فقال: يا خليفة رسول الله فإنهم يفعلون ذلك بنا قال: فأذن بفارس والروم: لا يحمل إلىٰ رأس، إنما يكفي الكتاب والخبر[2].

وفيه أيضاً: ويحرم أخذ الامير مالاً ليدفع الرأس إلىٰ الكفار لحديث ابن عباس إن المشركين أرادوا أن يشتروا جسد رجل من المشركين، فأبىٰ النبي OaP أن يبيعهم... ورواه أحمد وفيه: ادفعوا إليهم جيفته فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية فلم يقبل منهم شيئاً. وله في رواية

---

1) ـ المحلي ج1 ص124.

2) ـ كشاف القناع ج3 ص69.

حنبل: فخلي بينهم وبينه"[1].

س ـ عدم جواز هدم المساكن واغراق النخل من غير ضرورة:

فلا ينبغي تغريق المساكن والدور ولا قطع الاشجار المثمرة في أرض العدو والاضرار بهم إلا عند الحاجة الشديدة إلىٰ ذلك[2].

ع ـ معاملة الاسرى:

وأكد الفقهاء تبعاً للادلة الشرعية الواردة في المقام بلزوم التلطف بالأسرىٰ وحسن معاملتهم فقالوا:

1) "يجب أن يُطعم الاسير ويسقىٰ وإن أريد قتله بعد لحظة، لقول الصادق OgP: الاسير يطعم وإن كان يقدم للقتل"[3]. كأن يكون قتل مسلماً.

2) "لو عجز الاسير عن المشي احتمل، فإن أعوز ـ أي لم يكن مع المسلم ما يركبه ـ لم يحل قتله. وأمر باطلاقه في النهاية "[4].

3) "إذا أسلم الاسير فقد يتعين المن عليه واطلاق سراحه، نسب الشهيد الثاني ذلك إلىٰ

---

1) ـ كشاف القناع ج3 ص69.

2) ـ السرائر ج2 ص21.

3) ـ تذكرة الفقهاء ج9 ط. ج ص168.

4) ـ الدروس ج2 ص36.

بعض الاصحاب واختاره السيد الطباطبائي"[1].

4) يجوز المن علىٰ الاسير، ولو منَّ الامام علىٰ بعض من حكم بقتلهم جاز"[2]. واستدلوا علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: P فضرب الرقاب حتىٰ إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداءاً O [3] وعنه OaP قال في أسارىٰ بدر: [لو كان مطعم بن عدي حياً وكلمني في هؤلاء النتنىٰ لأطلقتهم له][4]، لأنه كان له عنده يد.

5) يجوز مفاداة الاسرىٰ بالاسرىٰ أو ما يسمىٰ بتبادل الاسرىٰ، قال الشيخ الطوسي في الخلاف: "أما الدليل علىٰ جواز المفاداة بالرجال ما رواه أبو قلابة، عن أبي المهلب عن عمران بن الحصين: أن النبيOaP فادىٰ رجُلاً برجلين"[5]

6) يجوز مفاداة الأسرىٰ بالمال، قال في الخلاف: "أما الدليل علىٰ جواز المفادة بالمال

---

1) ـ الموسوعة الفقهية الميسرة ج2 ص158.
2) ـ قواعد الاحكام ج1 ص506.
3) ـ سورة محمد الآية 40.
4) ـ الخلاف ج4 ص192.
5) ـ الخلاف ج4 ص193.

ما فعله النبي OaP يوم بدر، فانه فادىٰ جماعة من كفار قريش بمال"[1].

7) إذا قتل العدو اسرىٰ المسلمين لا يجوز المقابلة بالمثل، قال الشيخ في المبسوط: "وإن قتلوا الاسارىٰ لم يقتل أساراهم لأن القاتل غيرهم"[2].

8) إذا وقعت المرأة وولدها في الاسر فلا يجوز للامام أن يفرق بينهما[3].

ف ـ التوصية برعاية القوانين الاخلاقية اثناء القتال:

ينبغي للامام أن يوصي الامير بتقوىٰ الله، والرفق بالمسلمين، وأن لا يحملهم علىٰ مهلكة، ولا يكلفهم نقب حصن يخاف من سقوطه عليهم ولا دخول مطمورة يخشي من قتلهم تحتها[4]. كما يجب عليه أن يوصيه بكل ما يقدر عليه من طاعة الله والرفق وحسن السياسة وجودة السيرة[5]. والتأكيد علىٰ رعاية القانون بالنسبة للعدو تأسيا برسول الله OaP فلا يغدروا ولا يغلوا ولا يقتلوا

---

1) ـ الخلاف ج 4 ص 193 ـ 194.

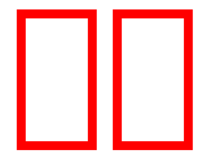
2) ـ المبسوط للشيخ الطوسي ج 7 ص 272.

3) ـ المبسوط للشيخ الطوسي ج 2 ص 21.

4) ـ تحرير الاحكام ج 2 ط. ج ص 142.

5) ـ الاحكام ج 2 ص 495.

امرأة ولا صبيا ولا شيخا فانيا، وقـد تأسىٰ الخلفـاء الراشـــدون بـــالنبي OaP في التأكيـــد علىٰ أمـــراء جندهم بالتقيد بـأمور نص عليهـا النـبي في وصـيته وقد مرت كلماتهم فيما تقدم.



أخلاق الحرب في السيرة العملية للمسلمين

رغم ضرورة الحرب احياناً ومـا ورد في فضـل الجهاد في سبيل اللـه والحث علىٰ خوضـها بثبـات اذا وجبت نرىٰ أن الحرب في الاسلام علاج أخير لا يلجأ إليها إلا بعد نفاذ السبل الأخرىٰ، كما نرىٰ أيضاً حرص الاسلام الشديد علىٰ توقيها ما أمكن ويحـدد معالمها باحتياط كبير حين لا مناص منها، وقـد مـرّ في توصيات قادة الاسـلام وساسـتهم عنـد توجيـه جيش لملاقـاة العـدو حيث أمـروا برعايـة جميـع الشؤون الانسانية ونهوا عن كل ما لا يليق بسـاحة

الاسلام من تصرفات، وكانت تلك التوصيات نصب عين المقـاتلين في سـاحات الـوغىٰ، وفيمـا يلي بعض تلـك الاخلاق من خلال التوصـيات والسـيرة العملية لحروب المسلمين في الصدر الاول:

 ـ النهي عن تمني لقاء العدو:

في سنة احدىٰ عشرة للهجرة أمر رسول الله OaP بالتهيؤ لغزو الروم، وأمرهم بالجد وعقـد بيـده لـواء لأمـير الجيش أسـامة بن زيد، ثم قـال: [أُغـز بِسـم اللـه في سـبيل اللـه فقاتـل من كفـر بالله، اغـزوا ولا تغـدروا ولا تقتلـوا وليـداً ولا امـرأة، ولا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ولكن قولـوا: اللهم أكفنـاهم بمـا شـئت واكفـف بأسهم عنا...][1]. فقوله OgP [ولاتتمنوا لقاء العدو] يكشـف بوضـوح عن الرغبـة الواقعيـة في تجنب الحرب وتمني عدم وقوعها ما أمكن، ولا يمكن أن يصدر ذلك ممن يهوىٰ الحرب ويتخذها سبيلاً وحيداً للوصول إلىٰ هدف.

 ـ الرغبة في التعايش السلمي وامضاء معاهدات صلح:

1 ـ الهدنة مع مشركي ويهود المدينة:

ذكـر المؤرخـون أن النـبيOaP قـدم المدينـة وفيهـا اخلاط " منهم المسـلمون الـذين تجمعهم

---

1) ـ سبل الهدي والرشاد ج6 ص248.

دعـوة رسـول اللـه OaP ومنهم المشـركون الـذين يعبدون الاوثان ومنهم اليهود أهل الحلقة والحصون وهم حلفاء الحيّين الاوس والخزرج، فـأراد رسـول الله OaP حين قدم استصلاحهم وموادعتهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشـركاً والرجـل يكـون مسلماً وأخوه مشركاً.

وكـان المشـركون واليهـود من أهـل المدينـة حين قدم رسول الله OaP يؤذونـه وأصـحابه أشـد الاذىٰ، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصبر علىٰ ذلـك والعفـو عنهم وفيهم أنـزل اللـه تبـارك وتعـالىٰ P وَلَتَسْـمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْـرَكُوا أَذًىٰ كَثِـيراً وَإِن تَصْـبِرُوا وَتَتَّقُـوا فَـإِنَّ ذَٰلِـكَ مِنْ عَـزْمِ الْأُمُـورِO[1]. لكن الرسـول OaP هادنهم وكتب في ذلك كتاباً يعد مشروع سـلام بين الفئـات المختلفـة القاطنـة في يـثرب وضـواحيها، ننقلـه كمـا وجـدناه منقـولاً في كتـاب موسـوعة التاريخ الإسلامي:

" كتب رسـول اللـه كتابـاً بين المهـاجرين والانصار، وادع فيـه يهـود وعاهـدهم وأقـرهم علىٰ دينهم وأمـوالهم وشـرط لهم واشـترط عليهم: "بسم الله الرحمن الرحيم. هـذا كتـاب من محمـد

---

[1]) ـ تاريخ المدينة ج2 ص459 ـ 460.

النـــبي بين المؤمـــنين والمســـلمين من قـــريش ويثرب، ومن تبعهم فلحـق بهم وجاهـد معهم: أنهم أمة واحدة من دون الناس: المهاجرون من قريش علىٰ ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم"[1] بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عـوف علىٰ ربعتهم يتعــاقلون معــاقلهم الأولىٰ، وكــل طائفــة منهم تفـــدي عانيهـــا بـــالمعروف والقســـط بين المؤمــنين. وبنـــو ســـاعدة علىٰ ربعتهم يتعــاقلون معـاقلهم الاولي، وكـل طائفـة منهم تفـدي عانيهـا بالمعروف والقسـط بين المؤمـنين؛ وبنـو الحـارث علىٰ ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولىٰ، وكل طائفة تفدي عانيهـا بـالمعروف والقسـط بين المؤمـنين. وبنو جشم علىٰ ربعتهم يتعاقلون معــاقلهم الأولىٰ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسـط بين المؤمـنين؛ وبنـو النجـار علىٰ ربعتهم يتعـاقلون معـاقلهم الأولىٰ، وكـل طائفـة منهم تفـدي عانيهـا بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنـو عمـرو بن عوف علىٰ ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولىٰ، وكــل طائفــة تفــدي عانيهــا بــالمعروف والقســط بين المؤمـــنين؛ وبنـــو النـــبيت علىٰ ربعتهم يتعــاقلون معـاقلهم الأولىٰ، وكـل طائفـة منهم تفـدي عانيهـا

[1]) ـ العاني: الاسير.

بالمعروف والقسط بين المؤمـنين؛ وإن المؤمـنين لا يـتركون مفرحـاً[1] بينهم ان يعطـوه بـالمعروف في فــداء أو عقل، وأن لا يحــالف مــؤمن مــولىٰ مـؤمن دونه؛ وان المؤمـنين المتقين علىٰ من بغىٰ منهم أو ابتغىٰ دسـيعة ظلم[2] أو إثم أو عـدوان أو فساد بين المؤمنين؛ وإن أيديهم عليـه جميعـا ولـو كان ولد أحدهم. ولايقتل مـؤمن مؤمنـا في كـافر. ولاينصر كافرا علىٰ مـؤمن. وإن ذمـة اللـه واحـدة يجير عليهم أدناهم. وإن المؤمنين بعضـهم مـو الي بعض دون الناس؛ وإنه من تبعنا من يهـود فـإن لـه النصــر والاســوة غــير مظلــومين ولا متناصــرين عليهم. وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا علىٰ ســواء وعـدل بينهم، وإن كـل غازيـة معنـا يعقب بعضـها بعضا بالمعروف والقسـط بين المسـلمين. وإنـه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها؛ وإن الجار كالنفس، غـير مضار ولا آثم؛ وحرمة الجار علىٰ الجار كحرمة أمه وأبيه، وإن المؤمنين يبئ[3]بعضـهم علىٰ بعض بمـا

---

1) ـ المفرح: المثقل بالدين الكثير العيال.

2) ـ دسيعة ظلم: ما ينال من الظلم.

3) ـ يبئ: يرجع.

نــال دمــاءهم في ســبيل الله[1]؛ وإن المؤمــنين المتقين علىٰ أحسـن هـدي وأقومه. وإنـه لا يجـير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه علىٰ مؤمن. وإنه من اعتبط مؤمنا قتلاً[2] عن بينة فانـه قود به، إلا أن يرضي ولي المقتول، وإن المؤمـنين عليه كافة، ولايحل لهم إلا قيام عليه. وإنـه لا يحـل لمـؤمن أقـر بمـا في هـذه الصـحيفة وآمن باللـه واليوم الإخر أن ينصر محـدثاً أو أن يؤويه، وإن من من نصـره أو آواه فعليـه لعنـة اللـه وغضـبه يـوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شئ فإن مرده إلىٰ اللـه (U) وإلىٰ محمد. وإن اليهود ينفقون مع المؤمـنين مـا دامـوا محاربين، وإن يهود بني عوف امـة مـع المؤمـنين، لليهـــود دينهم وللمســـلمين دينهم، مـــو إليهم وأنفسهم، إلامن ظلم وأثم فانه لا يوتغ[3] إلا نفسه وأهل بيته. وإن ليهود بني الحـارث مثـل مـا ليهـود بني عوف. وإن ليهود بني سـاعدة مثـل مـا ليهـود بني عوف. وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بـني عوف، وإن ليهود بـني الاوس مثـل مـا ليهـود بـني

---

[1]) ـ أي يتساوون ويتناوبون في الغزو في سبيل الله.

[2]) ـ. اعتبط مؤمن قتلا: أي قتله بالباطل

[3]) ـ يوتغ: يهلك.

عوف، وإن ليهـود بـني ثعلبـة مثـل مـا ليهـود بـني عـوف، إلا من ظلم وأثم فانــه لا يوتــغ الا نفســه وأهـل بيته. وإن جفنـة بطن من ثعلبـة كأنفسـهم. وإن مـوالي ثعلبـة كأنفسـهم، وإن لبـني الشـطيبة مثل م اليهود بني عوف. وإن بطانة يهود كأنفسهم وإنـه لا يخــرج منهم أحــد إلا بـإذن محمد. وإنـه لا ينحجز عن ثار جرح[1]. وإنه من فتك فبنفسه فتـك وأهـل بيتـه ألا من ظلم. وإن علىٰ اليهـود نفقتهم، وعلىٰ المســلمين نفقتهم. وإن بينهم النصــر علىٰ من حارب أهـل هـذه الصـحيفة. وإن بينهم النصـح والنصـيحة والـبر، دون الاثم. وإنــه لم يــأثم امــرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلـوم، وإن اليهـود ينفقـون مع المؤمنين ما داموا محـاربين. وإن يـثرب حـرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضـار ولا آثم، وإنـه لا تجـار حرمـة إلا بـإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهـل هـذه الصـحيفة من حـدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلىٰ الله (U) وإلىٰ محمد رسول الله؛ وإن الله علىٰ أتقي ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها. وإن بينهم النصــر علىٰ من دهم يــثرب. وإذا دعــوا إلىٰ صـلح يصـالحونه ويلبسـونه، فـانهم يصـالحونه

---

[1]) ـ أي لايترك قصاص جراحة فضلا عن قتل.

ويلبسونه. وانهم [اليهود] إذا دعـوا إلىٰ مثـل ذلـك فانه لهم علىٰ المؤمـنين إلا من حـارب في الـدين. علىٰ كل أنـاس حصـتهم من جـانبهم الـذي قبلهم. وإن يهود الاوس ـ مو اليهم وأنفسهم ــ علىٰ مثـل ما لأهل هذه الصـحيفة مـع الـبر المحض من أهـل هـذه الصـحيفة. لا يكسـب كاسـب إلا علىٰ نفسه. وإن الله علىٰ أصدق ما في هذه الصـحيفة وأبـره. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم. وإنـه من خرج من المدينـة آمن ومن قعـد آمن، إلا من ظلم أو أثم. وإن الله جار لمن بر واتقي، ومحمد رسول الله "[1].

2ـ المصالحة مع نصارىٰ نجران:

قال اليعقوبي: [قدم أهل نجران ورئيسهم أبـو حارثـة الاسـقف، ومعـه العـاقب والسـيد وعبـد المسيح وكـوز وقيس والايهم فـوردوا علىٰ رسـول الله. فلما دخلوا أظهروا الـديباج والصـلب ودخلـوا بهيئة لم يدخل بها أحد، فقال رسول الله: دعوهم، فلقوا رسول اللـه فدارسـوه يـومهم وسـاءلوه مـا شاء الله. فقال أبـو حارثة: يامحمد! مـا تقـول في المسيح؟ قال: هو عبد الله ورسوله. فقال: تعـالىٰ الله عما قلت، يا أبا القاسم هـو كـذا وكـذا. ونـزل

[1]) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج2 ص60 ـ 64.

فيهم: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُـرَابٍ" إلىٰ قوله: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيـهِ مِنْ بَعْـدِ مَـا جَـاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُـلْ تَعَـالَوْا نَـدْعُ أَبْنَاءَنَـا وَأَبْنَـاءَكُمْ وَنِسَـاءَنَا وَنِسَـاءَكُمْ وَأَنْفُسَـنَا وَأَنْفُسَـكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِـلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَىٰ الْكَاذِبِينَ". فرضـوا بالمباهلة، فلمـا أصـبحوا، قـال أبـو الحارثة: انظـروا من جـاء معه. وغدا رسول الله آخذا بيد الحسـن والحسـين تتبعه فاطمة وعلي بن ابي طـالب بين يديـه وغـدا العاقب والسـيد بـابنين لهمـا عليهمـا الـدر والحلي وقد حفوا بأبي حارثة. فقال أبـو حارثة: من هـؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمه وهذه ابنته وهذان ابناها. فجثـا رسـول اللـه علىٰ ركبتيـه ثم ركع. فقـال أبـو حارثة: جثا والله كما يجثو النـبيون للمباهلة. فقـال له السيد: ادن يا أبا حارثة للمباهلة. فقال إني أرىٰ رجُلاً حريـاً علىٰ المباهلـة وإني أخـاف أن يكـون صادقا فإن كان صادقا لم يحل الحـول وفي الـدنيا نصـراني يطعم الطعـام. قـال أبـو حارثة: يـا أبـا القاسم لا نباهلك ولكنا نعطيـك الجزية. فصـالحهم رسول الله علىٰ ألفي حلة من حلل الاواقي، قيمة كـل حلـة أربعـون درهمـا فما زاد أو نقص فعلىٰ حساب ذلك.

وكتب لهم رسول الله كتابا: بسم الله الرحمن

الرحيم، هـذا كتـاب من النـبي محمـد رسـول اللـه لنجران وحاشيتها إذ كان له عليهم حكمـة في كـل بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق كان أفضل ذلـك كلـه لهم غير ألفي حلة من حلل الاواقي قيمة كل حلـة أربعـــون درهما، فمـــا زاد أو نقص فعلىٰ هـــذا الحساب ألـف في صـفر وألـف في رجب، وعليهم ثلاثون دينارا مثواة رسلي شهرا فما فـوق. وعليهم في كل حرب كانت بـاليمن دروع عاريـة مضـمونة لهم بذلك جوار الله وذمـة محمد، فمن أكـل الربـا منهم بعـد عـامهم هـذا فـذمتي منهم بريئة. فقـال العاقب: يا رسول الله إنا نخـاف أن تأخـذنا بجنايـة غيرنا. قال فكتب: ولا يؤخذ أحد بجناية غيره. شهد علىٰ ذلـك عمـرو بن العـاص والمغـيرة بن شـعبة وكتب علي بن ابي طالب] [1].

3 ـ عقد الهدنة مع قريش [صلح الحديبية]:

في آخر سنة ست للهجرة خـرج رسـول اللـه بمن معه من المهـاجرين والانصـار ومن لحقـه من العرب يريـد العمـرة، وسـاق معـه الهـدي وأحـرم ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه إنما خـرج زائرا لبيت الله الحرام معظما له. وسمعت قريش

---

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج2 ص82 ـ 83.

بمسيره فخرجوا وقد لبسـوا جلـود النمـور ونزلـوا بـذي طـوىٰ وقـد عاهـدوا اللـه علىٰ أن لا يـدخلها عليهم ابداً . وعلم رسول الله OaP بخروج قــريش، فاختـار طريقـا بين الشـعاب منحرفـاً عن منطقـة تواجد قريش. فافضوا إلىٰ ارض سهلة عند منقطع الـوادي. فـأمر رسـول اللـه OaP النـاس فقـال: اسلكوا ذات اليمين في طريق تخـرجهم علىٰ ثنيـة المرار مهبط الحديبيـة من أسـفل مكة. فلمـا رأت خيل قـريش فـترة المسـلمين علمـوا أنهم خـالفوا عن طريقهم فرجعوا مسـرعين إلىٰ قـريش. نـزل المســلمون في ثنيــة المــرار، فلقيهم بشــر بن سفيان وبـديل بن ورقـاء الخُـزاعي في رجـال من خزاعة فسألوا النبي ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربـا وإنمـا جـاء زائـرا للـبيت، فرجـع هؤلاء إلىٰ قـريش فقـالوا: يـا معشـر قـريش إنكم تعجلون علىٰ محمد إن محمدا لم يأت لقتال وإنمـا جاء زائرا هذا الـبيت، فـاتهموهم، وقـالوا وإن كـان جاء ولايريد قتالا، فوالله لا يدخلها علينا عنـوة أبـدا، ولا تحدث بذلك عنا العرب. وبعثت قـريش رسـولا تلو رسول للتفاوض واستعلام الأمـر فبعثـوا مكـرز بن حفص بن الاخيــف ثم الحليس بن علقمــة ثم عروة بن مسعود الثقفي، فكلمهم رسـول اللهOaP

بكلام واحد هو أنـه لم يـأت يريـد حربا. وقيل: "أن قريشـا كـانوا بعثـوا أربعين رجُلاً منهم أو خمسـين رجُلاً وأمروهم أن يطيفـوا بعسـكر رسـول اللهOaP ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا، فأخـذوا أخـذا، فـأتي بهم رسول اللهOaP، فعفا عنهم وخلي سبيلهم"[1].

"ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلىٰ رسـول اللـه OaP وقالوا له: ائت محمدا فصالحه ولا يكن صـلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فو اللـه لا تُحـدث العـرب عنا أنه دخلها علينا عنـوة أبـداً... فلما انتهىٰ سـهيل بن عمرو إلىٰ رسول الله OaP تكلم فأطـال الكلام، وتراجعا، ثم جرىٰ بينهما الصلح "[2]

ثم دعا رسول الله OaP علي بن ابي طـالب o gP ليكتب الصـحيفة، فقـال لـه الرسـول اكتب: [بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب: بسمك اللهم، فقـال رسـول اللـه OaP: اكتب باسـمك اللهم، فكتبها، ثم قـال: اكتب: هذا ما صـالح عليـه محمـد رسـول اللـه سـهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن أكتب اسـمك واسـم أبيك، فقـال رسول الله OaP: أكتب: هذا ما صالح عليـه محمـد

[1]) ـ سيرة النبي لابن هشام ج3 ص779.
[2]) ـ سيرة النبي لابن هشام ج3 ص781.

بن عبدالله سهيل بن عمـرو، اصـطلحا علىٰ وضـع الحرب عن الناس عشر سنين يـأمن فيهن النـاس ويكف بعضهم عن بعض، علىٰ أنه من أتىٰ محمــدا من قـريش بغـير إذن وليـه رده عليهم، ومن جـاء قريشـاً ممن مـع محمـد لم يـردوه عليه، وأن بيننـا عيبـة مكفوفة، وأنـه لا إسـلال ولا إغلال، وأنـه من أحب أن يدخل في عقد محمـد وعهـده دخـل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه... فلما فرغ رسول اللهOaP من الكتاب أشهد علىٰ الصــلح رجــالاً من المســلمين ورجــالا من المشركين"[1].

4ـ مصالحات أخرىٰ:

"وصالح رسول الله OaP أهل أذرح علىٰ مئـة دينـار في كـل رجب. وصـالح أهـل الجربـاء علىٰ الجزية وكتب لهم كتابـا "[2]. وذكـر صـاحب فتـوح البلدان نسخة كتاب الصلح وفيما يلي نصه: "بسم الله الرحمن الـرحيم. من محمـد رسـول اللـه إلىٰ بني حبيبة وأهـل مقنـا سـلم انتم. فإنـه أنـزل علىٰ أنكم راجعون إلىٰ قريتكم، فإذا جاءكم كتـابي هـذا فإنكم آمنون، ولكم ذمـة اللـه وذمـة رسـوله. وإن

1) ـ سيرة النبي لابن هشام ج3 ص782.
2) ـ فتوح البلدان ج1 ص71.

رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم وكـل دم اتبعتم، لا شريك لكم في قريتكم إلا رسـول اللـه أو رسـول رسـول اللـه وإنـه لا ظلم عليكم ولا عـدوان. وإن رسول الله OaP يجيركم مما يجير منه نفسه فـإن لرسول الله بـزتكم ورقيقكم والكـراع والحلقـة إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسـول الله، وإن عليكم بعد ذلك ربع مـا أخـرجت نخيلكم، وربـع مـا صادت عرككم، وربع مـا اغـتزلت نسـاؤكم. وإنكم قد برئتم بعـد ذلكم ورفعكم رسـول اللـه OaP عن كـل جزيـة وسـخرة فـإن سـمعتم وأطعتم فعلىٰ رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسـيئكم، ومن ائتمـــر في بـــني حبيبـــة وأهـــل مقنـــا من المسلمين خـيرا فهـو خـير له، ومن أطلعهم بشـر فهو شر له. وليس عليكم أمـير إلا من أنفسـكم أو من أهل بيت رسـول اللـه OaP وكتب علي بن أبي طالب في سنة تسع ”[1].

5 ـ صلح الإمام الحسن بن علي OgP معاوية:

بعد مقتل الامام علي بن ابي طالب OgP، بـايع الناس ولده الحسن بن عليOgP، وكان معاويـة بن ابي سفيان وإلىٰ الشام آنذاك، ما زال علىٰ تمرده كما كان علىٰ عهد الامام عليOgP، فسـار الحسـن

[1]) ـ فتوح البلدان ج1 ص72.

بن علي بالجيش الذي جهزه أبوه لحرب معاوية بعد كشف زيف التحكيم قبيل استشهاده، قاصداً الوالي المتمرد، إلا أنه عدل عن الحرب إلىٰ الصلح بعد تقدير دقيق للموقف وتحسس لنتائج الاضرار التي يمكن أن تصيب الاسلام والمسلمين فيما لو وقع الحرب، سيما مع بوادر المؤامرات التي دبرها العدو في صفوف جيشه، وسخت نفسه الكريمة عن الخلافة وآثر التضحية بها من أجل الحفاظ علىٰ دماء المسلمين ووحدتهم، فأتفق مع معاوية علىٰ عقد الصلح بشروط قبلها معاوية أول الأمر لكنه غدر آخره بعد أن استقرت الاوضاع لصالحه وفيما يلي نص معاهدة الصلح المعبرة عن مدىٰ مراعاة القادة الحقيقيين للاسلام لحقوق الانسان وحرصهم علىٰ اجتناب الكوارث والحروب ما أمكن ذلك: "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن ابي سفيان، صالحه علىٰ أن يسلم إليه ولاية المسلمين علىٰ أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة رسول الله OaP وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلىٰ أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شوري بين المسلمين وعلىٰ أن الناس آمنون

حيث كـــانوا من أرض اللـــه تعـــالىٰ في شـــامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وعلىٰ أن أصحاب علي وشيعته آمنـون علىٰ أنفسـهم وأمـوالهم ونسـائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلىٰ معاوية بن ابي سـفيان بذلك عهـد اللـه وميثاقـه وأن لا يبتغي للحسـن بن علي ولا لأخيـه الحسـين ولا لأحـد من بيت رسـول الله OaP غائلة سراً ولا جهراً، ولا يحيف أحدا منهم في أفق من الإفاق أشهد عليـه بـذلك وكفىٰ باللـه شهيداً.

ولما انـبرم الصـلح التمس معاويـة من الامـام الحسن OgP أن يتكلم بمجمع من النـاس ويعلمهم أنه قد بـايع معاويـة وسـلم الأمـر إليه، فأجابـه إلىٰ ذلك، فخطب وقد حشـد النـاس خطبـة حمـد اللـه تعـالىٰ وصـلىٰ علىٰ نبيـه محمـد OaP وقـال: أيهـا النـــاس إن أكيس الكيس التقي وأحمـــق الحمـــق الفجور، وانكم لـو طلبتم مـا بين جـابلق وجـابرس رجُلاً جده رسول الله OaP ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وقـد علمتم أن اللـه هـداكم بجـدي محمـد وأنقـذكم بـه من الضـلالة ورفعكم بـه من الجهالة وأعزكم به بعد الذلة وكثركم بعد القلة. ان معاوية نازعني حقـا هـو لي دونـه فنظـرت لصـلاح الامـة وقطـع الفتنة، وقـد كنتم بـايعتموني علىٰ أن

تسالموا من سالمت وتحاربون من حاربت، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعته ورأيت حقن الدم خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلىٰ حين"[1].

وهذا نموذج سجله التاريخ للاجيال تبين بوضوح الجانب العملي من سيرة الاسلام في ارادة السلام وحقن الدماء كما تفضح المتلبسين الذين اتخذوا من الاسلام ذريعة للتسلط علىٰ رقاب الناس والجلوس علىٰ كراسي الملك. وقد علم القاصي والداني مقالة معاوية في الكوفة بعد استلامه زمام الامور: " اني منيت الحسن وأعطيته أشياء جعلتها تحت قدمي ولا أفي بشئ منها له"[2]. وفي خبر انه قال: "يا أهل الكوفة أتروني قاتلتكم علىٰ الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وأليَ رقابكم وأنتم كارهون، ألا ان كل مال أو دم أصبت في هذه الفتنة مطلول وكل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين"[3].

---

1) ـ كشف الغمة ج2 ص193 ـ 194.

2) ـ إعلام الوري بأعلام الهدي ج1 ص403.

3) ـ النصائح الكافية ص194.

 ـ اجتناب الغدر بالعدو:

كان المغيرة بن شعبة أجيرا لثقيف فأقبل قومه من مضر حتىٰ كانوا ببساق عدا عليهم ـ وهم نيام ـ فقتلهم، ثم أقبل بأموالهم حتىٰ أتىٰ رسول الله OaP فقال: أخمس مالي هذا؟ قال وما نبأه؟ قال: كنت أجيرا لثقيف فلما سمعت بك قتلتهم، وهذه أموالهم، فقال رسول الله OaP: "إنا لسنا بغدَّر" وأبىٰ أن يخمس ما معه[1]. ونموذج آخر يجلي بوضوح عن حقيقة كراهة الغدر في الاسلام والتزام قادة الاسلام باجتنابه، ننقله عن مسلم بن عقيل سفير الحسين OgP إلىٰ أهل الكوفة، فقد ورد مسلم الكوفة وأخذ البيعة من أهلها وصادف ذلك مجئ عبيد الله بن زياد إلىٰ الكوفة أميرا منتخبا من قبل الخليفة الاموي يزيد بن معاوية، فجد عبيد الله في طلب مسلم، والبحث عنه. وكان مسلم قد تحول إلىٰ دار هاني بن عروة أو دار شريك بن الاعور علىٰ اختلاف الروايات.

تمرض شريك بن الاعور وكان من الأمراء الاكابر في بيت هانئ فأرسل إليه عبيد الله بن زياد أنه يرغب في عيادته، فأخبر شريك مسلما بخبر عيادة ابن زياد وقال له: كن انت في الخباء فإذا

[1]) ـ تاريخ المدينة ج 2 ص 502.

جلس عبيد اللـه فـإني أطلب المـاء وهي اشـارتي إليك فاخرج واقتله. فلمـا جـاء عبيـد اللـه بن زيـاد جلس علىٰ فراش شريك فتحـدث سـاعة ثم قـال شريك اسقوني! فلم يخرج مسلم، ثم كرر شريك طلبه وقـال اسـقوني ولوكـان فيـه ذهـاب نفسـي أتحمونني من الماء؟ ففهم غلام لعبيد الله يقال له مهران الغـدر فغمـز مـولاه فنهض سـريعاً وخـرج. فخرج مسلم فقال لـه شـريك مامنعـك من قتله؟ قال خصلتان؛ أما أحدهما، فكراهة هـاني أن يقتـل في داره. وأما الأخـرىٰ فحـديث حدثـه النـاس عن النبي OaP: أن الايمان قيد الفتك ولايفتك مؤمن[1].

مثـال آخر: صـالح سـعيد بن عثمـان أهـل سمرقند، ففتحها قتيبة بن مسلم الباهلي بعـده ولم يكونوا نقضوا ولكنه استقل صلحهم، فلما استخلف عمر بن عبـد العزيز، قـال أهـل سـمرقند لعـاملهم سليمان بن ابي السري: إن قتيبـة بن مسـلم غـدر بنـا وظلمنـا وأخـذ بلادنا، وقـد أظهـر اللـه العـدل والانصـاف، فـأذن لنـا فليفـد منـا وفـد إلىٰ أمـير المؤمنين يشكوا ظلامتنا، فإن كان لنا حق أعطيناه، فإن بنا البذلك حاجة، فأذن لهم، فوجهوا منهم قوماً

---

[1]) ـ البدايـة والنهايـة ج8 ص165 و تـاريخ الطـبري ج4 ص271.

إلىٰ عمر بن عبـد العزيز، فلمـا علم عمـر ظلامتهم كتب إلىٰ سليمان يقول له: إن أهـل سـمرقند، قـد شكوا إلىٰ ظلما أصـابهم، وتحـاملا من قتيبـة عليهم حتىٰ أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فـأجلس لهم القاضي فلينظر في أمـرهم، فـإن قضـي لهم، فأخرجهم إلىٰ معسكرهم كما كانوا وكنتم، قبـل أن ظهر عليهم قتيبة. فأجلس لهم سليمان "جميـع بن حاضر" القاضي، فقضىٰ أن يخرج عـرب سـمرقند إلىٰ معسكرهم وينابذوهم علىٰ سواء، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة. فقالوا: بل نرضىٰ بما كان ولا نجدد حرباً[1].

 ـ حُسن معاملة الاسرى:

وقع ثماقة بن أثال أسيرا في أيدي المسلمين، فجـاءوا بـه إلىٰ النـبي OaP فقـال: أحسـنوا إسـاره وقال: اجمعوا ما عندكم من طعام فـابعثوا بـه إليه. فكانوا يقدمون إليـه لبن لقحـة الرسـول OaP غـدوا ورواحا، ودعاه النبي OaP إلىٰ الاسلام فـأبى، وقـال له: إن أردت الفـداء فاسـأل مـا شـئت من المـال. فمن عليـه الرسـول OaP وسـلم وأطلـق سـراحه بـدون فـداء، فكـان ذلـك من أسـباب دخولـه في

---

1) ـ فقـه السـنة ج2 ص687 و فتـوح البلـدان ج3 ص 519.

الاسلام[1]. وعن الشعبي قـال: لمـا أسـر عليٌ OgP أسرىٰ يوم صفين فخلىٰ سـبيلهم أتـوا معاوية، وقـد كان عمرو بن العاص يقول لأسرىٰ أسـرهم معاوية: اقتلهم، فمـا شـعروا إلا بأسـراهم قـد خُلي سـبيلهم علي OgP. فقال معاوية: يـا عمـرو لـو أطعنـاك في هؤلاء الاسرىٰ لوقعنا في قبح من الأمر، ألا ترىٰ قـد خلىٰ سبيل أسـرانا، فـأمر بتخليـة من في يديـه من أسرىٰ علي، وقد كان OgP إذا أخذ أسـيراً من أهـل الشـام خلي سـبيله إلا أن يكـون قتـل من أصـحابه أحدا فيقتلـه به، فـإذا خلي سـبيله فـإن عـاد الثانيـة قتله[2].

 ـ مراعاة الجانب الانساني ومقابلة الاساءة بالاحسان:

في معركة صفين، استولىٰ جيش معاوية علىٰ المشـرعة الوحيـدة للفـرات، فلمـا وصـل جيش العـراق بقيـادة الامـام علىOgP، وأرادوا الـورد من الفـرات منعـوهم، وقـال معاوية: "هـذا والله أول الظفر، لا سـقاني اللـه من حـوض الرسـول إن شربوا منه حتىٰ يغلبوني عليه"[3]. ولمـا غلب أهـل العراق علىٰ الماء وطردوا عنـه أهـل الشـام، بعث

---

1) ـ فقه السنة ج2 ص687.

2) ـ بحار الانوار ج97 ص39.

3) ـ الامامة والسياسة ج1 ص125؛ ووقعـة صـفين ص 151.

علي إلىٰ معاوية: "إنـا لا نكافيـك بصـنعك، همّ إلىٰ الماء فنحن وأنتم فيه سواء"[1]

وخرج الحسين بن علي OgP متوجهـا إلىٰ الكوفة، فتلقـاه فـوج من جيش يزيـد بقيـادة حـر بن يزيـد الرياحي المـأمور بمتابعـة ركب الحسـين واجبـاره علىٰ التوجه إلىٰ الكوفة وتسليمه إلىٰ اميرها عبيـد الله بن زياد، وقد نـال من جيش حـر العطش بعـد مسير طويل في صحراء قاحلة، ولمـا دنىٰ الجيش من معسـكر الحُسـين وعليهـا آثـار ضـر العطش" قـال الحسـين لفتيانـه اسـقوا القـوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشـيفاً فقـام فتيانـه وسـقوا القـوم من المـاء حـتىٰ أرووهم، يقـول أحـد جنـود الحر: جئت في آخر من جاء فلما رأىٰ الحسين مـا بي وبفرســــي من العطش قـــال: أنخ الراوية، والراويــة عنــدي الســقاء ثم قــال يــابن أخي أنخ الجمل، فأنخته فقال: اشرب. فجعلت كلما شربت سـال المـاء من السـقاء، فقـال الحسـين: اخنث الســقاء أي اعطفه، قــال فجعلت لا أدري كيــف أفعل، قال فقام الحسين فخنثه فشـربت وسـقيت

---

[1]) ـ وقعة صـفين ص193؛ والامامـة والسياسـة ج1ص 125.

فرسي"[2]. هذا موقف قائد اسلامي من عدو يريد قتله، وفي المقابـــل نـــرىٰ تصـــرف ألمتلبســـين بالاسلام وكيفية ردّهم هذا الجميل، فقد منـع جيش الخليفة المزيف يزيد بن معاوية الماء عن الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء حـتىٰ مـاتوا عطشـاً جنب الفــرات وإليــك مــا نقلــه الاربلي في كتابــه كشف الغمة: "زحف خيـل عمـر بن سـعد بن ابي وقاص ـ وهو من قواد يزيد ـــ حـتىٰ نزلـوا شـاطئ الفـــرات، وحـــالوا بين المـــاء وبين الحســـين وأصحابه ... فاشـتد عليهم الأمـر والعطش. فقـال انسان من أصحاب الحسين OgP يقال له يزيـد بن حصين الهمداني وكان زاهدا: إئذن لي يابن رسول اللـه لآتي هـذا ابن سـعد فأكلمـه في أمـر المـاء فعساه يرتدع! فقال له ذلك إليك. فجاء الهمـداني إلىٰ عمـر بن سـعد فـدخل عليـه فلم يسـلم عليه، قـال يـا أخـا همـدان مـا منعـك من السـلام عليَّ، ألســتُ مُســلماً أعــرف اللــه ورســوله؟ فقــال الهمداني: لو كنت مسلماً كمـا تقـول لمـا خـرجت إلىٰ عترة الرسول OaP تريد قتلهم، وبعد هـذا مـاء الفرات تشرب منه كلاب السـواد وخنازيرهـا وهـذا الحســين بن علي وأخوتــه ونســاؤه وأهــل بيتــه

---

[2]) ـ مقتل الحسين OgP ص82.

يموتون عطشاً قد حلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشـربوه وأنت تـزعم أنـك تعـرف اللـه ورسـوله. فأطرق عمر بن سعد ثم قال: والله يا أخا همــدان إني لأعلم حرمة أذاهم ولكن:

دعاني عبيد الله من دون قومه إلىٰ خطة فيها خرجت لحينــي

فو الله لا أدري وإني لواقــــف علىٰ خطـــــــر لا أرتضيـه ومين

أ أتـــرك ملك الري والري رغبة أم أرجـع مأثوماً بقتل حسين"[1]

ويخرج الحسين نحو المسناة يريد الفـرات، فيقـول رجل من بني أبان بن دارم: "حولوا بينه وبين المـاء فعرضـوا لـه فحـالوا بينـه وبين المـاء"[2] ثم أبـادوا رجالهم وبعض صبيانهم وسبوا النسـاء فسـاروا بهن من بلد إلىٰ بلد حتىٰ أدخلوهن علىٰ يزيـد بن معاويـة في الشام.

 ـ الاخلاص لله والترفع عن أخذ السلب

في وقعـة الاحـزاب ـ معركـة الخنـدق ـ عـبر رأس الكفـر عمـرو بن عبـد ود العـامري الخنـدق يـدعو مبـارزا فخـرج إليـه علي بن ابي طـالب من جيش المسلمين، فأقبـل عمـرو نحـو علي مغضـباً

---

1) ـ كشف الغمة ج2 ص258 ـ 259.

2) ـ الامام الحسين لابن عساكر ص332.

سالاً سيفه " واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي علىٰ حبل عاتقه فسقط "[1]
"وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون: قُتل علي بن ابي طالب! ثم انكشفت العجاجة فإذا أمير المؤمنينOgP علىٰ صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلم يضربه [ليذبحه] فوقع المنافقون في عليOgP فرد عنه حذيفة بن اليمان فقال له النبي: مه ياحذيفة فإن علياً سيذكر سبب وقفته.

وقال له عمرو: يابن عم، إن لي إليك حاجة: لا تكشف سوأة ابن عمك ولا تسلبه سلبه. فقال عليOgP: ذلك أهون شئ عليّ. ثم ذبحه وأخذ رأسه وأقبل إلىٰ رسول الله OaP والدماء تسيل علىٰ رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم والرأس بيده... فسأله النبي عن سبب وقفته؟ فقال: قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي! فتركته حتىٰ سكن ما بي ثم قتلته في الله"[2]. وفي خبر، أن عمر بن الخطاب قال لعليOgP: " هلا استلبته درعه، فانه ليس للعرب درع خير منها؟ فقال:

[1]) ـ البداية والنهاية ج4 ص122.
[2]) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج2 ص495.

ضربته فاتقاني بسـوءته، فاسـتحييت ابن عمي أن أسلبه "[1].

 ـ العفو والصفح بعد الغلبة:

لما كان يوم فتح مكة، دخل جيش المسـلمين مكة وكانت معقل مناوئي النبي OaP، فقـال سـعد بن عبادة في بعض النـاس " اليـوم يـوم الملحمـة اليـوم تسـتحل الحرمة"[2]. "فـأتىٰ العبـاس إلىٰ النبي بمقالة سعد، وقيـل أتـاه أبـو سـفيان، وقـال فداك أبي وأمي أتسمع ما يقول سعد، يقول اليوم يـوم الملحمـة اليـوم تسـبىٰ الحرمة. فقـال لا بـل اليوم يـوم المرحمة، ثم قـال يـا علي أدرك سـعداً وخذ الراية منه وادخلها إدخـالاً رفيقـاً، فقـال سـعد لعلي: لولاك ياأبا الحسن ما أُخِذت الراية مني"[3].

ولما دخل الرسول OaP بيت اللـه الحـرام واجتمـع الناس قال: "يا معشـر قـريش ويـا أهـل مكـة مـا ترون أني فاعل بكم؟ قـالوا خـيراً، أخ كـريم وابن أخ كريم. ثم قـال اذهبـوا فـأنتم الطلقـاء فـأعتقهم رسول الله OaP، وقد كان اللـه أمكنـه من رقـابهم عنـوة وكـانوا لـه فيا، فبـذلك يسـمي أهـل مكـة

---

1) ـ البداية والنهاية ج4 ص122.

2) ـ تاريخ الطبري ج2 ص334.

3) ـ الانوار العلوية ص201.

الطلقــاء“[1]. وفي فتــوح البلــدان قــال: “مــاذا تظنـون، قـالوا نظن خـيرا ونقـول خـيرا، أخ كـريم وابن أخ كريم وقد قدرت، قـال: فـإني أقـول كمـا قال أخي يوسف OgP P لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمينO، ألا كل دين ومأثرة كـانت في الجاهليـة فهي تحت قـدمى، إلا سـدانة البيت وسقاية الحاج”[2].

 ـ جور حاكم وعدل حاكم:

لمـا وليَ معاويـة بن أبي سـفيان أراد أن يزيـد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فـأبىٰ النصـارىٰ ذلك، فأمسك. ثم طلبها عبد الملك بن مـروان في أيامه للزيادة في المسجد، وبذل لهم مالا فـأبوا أن يسلموها إليه. ثم إن الوليد بن عبـد الملـك جمعهم في أيامه وبـذل لهم مـالا عظيمـا علىٰ أن يعطـوه إياها فـأبوا. فقـال: لئن لم تفعلـوا لأهـدمنها فقـال بعضهم: يا أمير المؤمنين! إن من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة. فأحفظه قوله، ودعا بمعـول وجعـل يهدم بعض حيطانها بيده وعليه قباء خز أصــفر. ثم جمـع الفعلـة والنقاضـين فهـدموها، وأدخلهـا في المسجد. فلما استخلف عمر بن عبد العزيـز شـكا

---

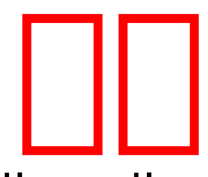
1) ـ تاريخ الطبري ج2 ص337.

2) ـ فتوح البلدان ج1 ص47.

النصارىٰ إليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم. فكتب إلىٰ عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم. فكره أهل دمشق ذلك وقالوا: يهدم مسجدنا بعد أن أذنّا فيه وصلينا ويرد بيعة؟ وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء. وأقبلوا علىٰ النصارىٰ فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت في أيدي المسلمين، علىٰ أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها. فرضوا بذلك وأعجبهم. فكتب به إلىٰ عمر فسره وأمضاه[1]

---

1) ـ فتوح البلدان ج 1 ص 149.



حروب الصدر الاول

منذ السنة الثانية للهجرة وحتىٰ العاشرة خاض النبي OaP والمسلمون معارك مختلفـة مـع أعـداء الاسلام، واجهوا فيهـا الشـرك، والجهل، وانحـراف أهـل الاديـان. وقـد حـاول أعـداؤهم من اليهـود والنصارىٰ وأهل الاهواء في هجوم إعلامي استغلال ما وقـع من أحـداث في تلـك الفـترة بتفسـير غـير واقعي للتشـهير بالاسـلام طـول التـاريخ، وإشـاعة الاقاويل الباطلة من قبيل أن الاسلام دين قام بحد السيف وانه يفضل الحرب علىٰ المنطـق ومـا إلىٰ ذلك.

إن الانصـاف يحكم بالتـدبر في تلـك الاحـداث ودراسةظروفها وملابسـاتها والتحقـق من أهـدافها في دراسة موضـوعية بعيـدة عن العصـبية الدينية، أو السياسية، لمن أراد معرفة الحقيقة، لهذا ارتأينا تقـديم خلاصـة تتضـمن إشـارة إلىٰ ظهـور أول

حكومة إسلامية، ومراحل تشكيل الجيش في هذه الحكومـة والحـروب الـتي خاضـها المسـلمون في عهد النبي OaP، باعتبـاره زمن الاصـالة الاسـلامية، اقتبسناها من كتب التاريخ المعتمدة نقدمها لطلاب الحقيقة ليقفوا بأنفسـهم علىٰ جـوانب من حقيقـة الاحداث الواقعة.

1 ـ تشكيل الحكومة الاسلامية في يثرب:

تشكلت الحكومة الاسلامية بعـد هجـرة النـبي OaP إلىٰ المدينـة المنـورة، حيث قـام بإصـلاحات واسعة بعد أن وحد كلمة النـاس فيهـا بالصـلح بين القبيلتين المتنازعتين الاوس والخـزرج، والمؤاخـاة بين المهـاجرين والانصـار، فبـنىٰ المسـجد واتخـذه مركـزاً عباديـاً وثقافيـاً وقانونيـاً، فكـان المسـجد مدرسـة يتعلم فيهـا النـاس قـانون الحيـاة بجميـع ابعادها، ومحكمـة عـدل يعرضـون فيهـا قضـاياهم ومنازعـاتهم فتُحـل بمـا يُرضـي الخصـوم، ومجمـع علمي يتعرفـون من خلالـه علىٰ ارقىٰ النظريـات، ومركز دولة يتلقون فيه الاوامر والنـواهي مباشـرة من قيادتهم العليا، كما صـار المسـجد بعـد ارسـاء القـانون مركـزاً عسـكرياً تـدرس فيـه الخطـط العسكرية الدفاعية والهجومية، وتصدر منها الاوامر بتحـرك السـرايا نحـو وجهتها، فأصـبحت المدينـة المنـورة بعـد هـذا التحـول دولـة مسـتقلة رئيسـها النبي الاكـرم OaP، وقانونهـا الاسـلام المتمثـل في القرآن وكلام النبي، وشعبها المتشكل من الغالبيـة المسـلمة من المهـاجرين والانصـار وأقليـة من أصحاب الاديان داخـل المدينـة وضـواحيها اختـاروا العيش تحت ظـل الحكومـة الجديـدة بعـد عقـد

اتفاقيـات وعهـود تشـخص حقـوقهم وواجبـاتهم كمواطنين، وأهم تلك المعاهدات تلك التي عقـدت مع اليهود والمتضمنة لما علىٰ الطـرفين ومـا لهمـا وهي كمايلي:

1 ـ إذا حارب أحـد أهـل هـذه الصـحيفة أو دهم يثرب فعلىٰ اليهود النصح والنصر بنفقتهم علىٰ كل أناس حصتهم التي من جانبهم.

2 ـ إذا دُعي المسـلمون إلىٰ الصـلح فـدعىٰ المسلمون اليهود إليه كان عليهم أن يستجيبوا لذلك.

3 ـ أن لا يجيروا قريشاً ولا من نصرها.

4 ـ أن لا يجـيروا حرمـة من غـير قـريش والمحاربين إلا بإذن أهلها.

5 ـ إذا اختلفـوا في شـئ فمـرده إلىٰ محمـد رسول الله.

كما اشترطت المعاهدة لهم:

1 ـ أن من تبعنا من اليهود فان له اسوة بغيره من المسلمين ولـه النصـر علىٰ المسـلمين بنفقتهم ولا يتناصر عليه.

2 ـ أن لهم أن يجيروا غير قريش والمحاربين بشرط أن يكون الجـوار بـإذن أهـل الـداخل في الجوار.

3 ـ أن لهم أن يصـــالحوا غـــير قـــريش والمحاربين، ولهم ذلك علىٰ المؤمنين[1].

هكذا نقلت كتب التاريخ والسير كيفية تشكيل نواة الدولة الاسلامية الأولىٰ في عصر صدر الاسلام.

2 ـ تشكيل الجيش الإسلامي ومهامه:

لا ريب في أن حـــق الـــدفاع عن النفس في مقابل العدو حق مشروع، يرشد إليـه العقـل قبـل القانون والعرف، ولم تهمـل القيـادة الجديـدة هـذا الجـانب المهم من جـوانب الحكومة، فقـد وضـع الاســلام الحجـــر الاســاس في تشــكيل القـــوة المطلوبة للدفاع بالاذن في الجهاد، كما لم يقتصــر في تجنيــده علىٰ طبقــة خاصــة من النــاس دون طبقة، بل عبأ كل قـادر علىٰ القتـال من الجمـاهير المســلمة شــيبا وشــبابا، فــزرع فيهم روح الابــاء، وشــوقهم علىٰ التطــوع في الــدفاع عن الاســلام ورغبهم في ذلـك أشـد تـرغيب حـتىٰ بـات الجهـاد فرعا مفروضـا من فـروع الـدين، وكـان يكفي في تحشيد العدد المطلوب من المقاتلين رفع الصـوت بنداء "الجهاد "، ليتسـابق المؤمنـون إلىٰ المسـجد ينتظرون الاوامر.

وإذا علمنا بأن "المشركين قد استمروا يغزون

1) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 67.

المسلمين، والمسلمون يدافعون عن أنفسهم إلىٰ ما قبل صلح الحديبية"[1] علمنا بأن خطـوة الـدفاع والاسـتعداد لكـل طـارئ كـانت من الخطـوات الاساسية الحقة التي يحـق للدولـة الفتيـة اتخاذها، ولا يعني إعداد القوة ـ بتشـكيل الجيش وبث روح الشجاعة وحث المقاتلين علىٰ ملاقات الحتـوف ـ وجود روح عدوانية أو رغبة في بسط النفـوذ بقـوة السـيف، كمـا اسـاء تأويلهـا البعض للنيـل من الاسـلام. ومراجعـة تحقيقيـة لكتب السـير تـبين بوضـوح ثبـات الاسـلام علىٰ مبدئـه المنطقي في المجادلة مـع الخصـم بـالتي هي أحسـن كمـا كـان قبل الهجرة، ومـا كـانت الوقـائع الـتي وقعت بعـد الهجـرة إلا عمليـات دفاعيـة محضـة فرضـها الاضطرار بعد اصرار اعـداء الاسـلام علىٰ المضـي في حـرب المسـلمين والتـآمر عليهم، ممـا أجـبر النـبي OaP والجمـاهير المسـلمة معـه إلىٰ منازلـة العدو المهاجم داخل حـدود دولتهم كمـا حـدث في معركتي الاحزاب وأحد، أو السـير إلىٰ العـدو حـال الاعـداد للحـرب لإجهاضـهم ومنـازلتهم في عقـر دارهم كمـا في كثـير من الغـزوات. ومـا كـان المسلمون ليهاجمون فئة أو طائفـة إلا بعـد التأكـد

---

[1]) ـ الصحيح من السيرة ج4 ص326.

من نوايا الخصم العدوانية.
لقــد كــان المســلمون في دولتهم الجديــدة يراقبون بشدة كل تحركات الاعداء ويعيشون حالة يقضـة وحـذر، لم تغب عن أنظـارهم قـوة صـغيرة ترافق قافلة تجارية تمر شمالاً أو جنوبـاً، ومن هنـا بــدأت ســراياهم بعمــل الــدوريات والاســتطلاع ومراقبة التحركات التجارية والعسكرية، ومـا كـان الغرض من عمل تلـك الوحـدات العسـكرية الغـزو لإغتنام أموال النـاس وقطـع الطـرق كمـا فسـرها بعض الجهلـة والمغرضـون، وانمـا كـانت دوريـات قتاليـة وكمـائن محضـة تـراقب عن كثب تحركـات العدو، وربما اشتبكت معها في قتـال فتـارة غالبـة وأخرىٰ مغلوبة، ولا يعني الاستيلاء علىٰ غنائم العدو بعـد انتصـار في معركـة مسـلحة كونهـا عدوانية، وفيما يلي نماذج من عمليات تلـك السـرايا: [روي الواقدي: أن عـير قـريش جـاءت من الشـام تريـد مكة في شهر رمضان علىٰ رأس سبعة أشـهر من مهاجرة النبي ـ OaP ـ وفيها أبو جهل ـ بن هشام ـ في ثلاثمئة راكب من أهل مكة. فعقد رسـول اللـه لواء [أبيض] لحمـزة بن عبـد المطلب، وكـان أول لواء عقده بعد أن قدم المدينـة [وكـان يحملـه أبـو مرثد الغنـوي] بعثـه في ثلاثين راكبـاً ... يعترضـون لعـير قـريش فبلغـوا سـيف البحـر والتقـوا هنـاك

واصطفوا للقتال] [1].

قال الطبري: فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني فافترقوا ولم يكن بينهم قتال[2]. وعقد علىٰ رأس ثمانية أشهر من مهاجره في شوال لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف لواء أبيض وأمره بالمسير إلىٰ بطن رابغ ـ ورابغ علىٰ عشرة أميال من الجحفة إلىٰ قديد ـ وأن لواءه كان مع مسطح بن أثاثة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري[3] فلقي أبا سفيان بن حرب، وأبو سفيان يومئذ في مئتين[4]. لم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال بل تراشقوا بالنبال ثم انصرفوا. وفي الشهر التاسع من مهاجره في ذي القعدة عقد لسعد بن أبي وقاص إلىٰ الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن عمرو في عشرين رجُلاً وكان الرسول OaP قد عهد إليه أن لا يجاوز الخرار[5]فرجع ولم يلق كيدا. [6]. وبعث النبي OaP

---

[1]) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص52.

[2]) ـ تاريخ الطبري ج 2 ص120.

[3]) ـ تاريخ الطبري ج 2 ص120.

[4]) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج2ص53.

[5]) ـ تاريخ الطبري ج 2 ص120.

[6]) ـ كتاب المحبر ص117.

غـالب بن عبـد اللـه الليـثي في سـرية فلقـوا بـني سليم فقتلـوا فيهم ورجعـوا غـانمين[1]. وفي سـنة ثلاث بعث OaP محمــد بن مســلمة وســلكان بن ســلامة في كمين للكعب بن الاشــرف اليهــودي المحارب فقتلاه[2]. وفيهـا بعث OaP أبـا سـلمة بن عبد الاسد المخـزومي إلىٰ قطن، فاستشـهد فيهـا عروة بن مسعود الفزاري[3]. وفي سنة أربع خـرج المنـذر بن عمـرو السـاعدي في ثلاثين رجُلاً منهم أربعة من المهاجرين وستة وعشـرون من الانصـار إلىٰ بـئر معونة، فقتلـوا جميعـا إلا عمـرو بن أميـة الضمري أطلقه عامر بن الطفيل حين انتسب إلىٰ كنانة[4].

وقــد تتــابعت العمليــات الاســتطلاعية هــذه والمسماة بالسرايا لسـنوات عديـدة ليس الغـرض منهـا إلاّ رصـد تحركـات العـدو والاسـتطلاع وقـد وقعت في بعضــها مصــادمات بالســلاح، ويؤكــد الهدف الاستخباري للسرايا تلك رسـالة النـبي OaP لعبـد اللـه بن جحش قائـد سـرية من سـراياه إلىٰ نخلة: قـال الطـبري: وكتب رسـول اللهOaP لعبـد

[1]) ـ كتاب المحبر ص 117.

[2]) ـ كتاب المحبر ص 117.

[3]) ـ كتاب المحبر ص 117.

[4]) ـ كتاب المحبر ص 118.

الله بن جحش وأمره أن لا ينظـر فيـه حـتىٰ يسـير يومين ثم ينظر فيه فيمضي له أمره به ولايستكره أحـداً من أصـحابه فلمـا سـار عبـد اللـه بن جحش يومين فتح الكتاب ونظر فيه فـإذا فيه: إذا نظـرت في كتـابي هـذا فسـر حـتىٰ تـنزل نخلـة بين مكـة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبد الله في الكتاب قال: سـمع وطاعة، ثم قـال لاصـحابه قـد أمـرني رسـول اللـه OaP أن أمضي إلىٰ النخلة فأرصد بها قريشاً حتىٰ آتيه منهم بخبر وقد نهاني أن أستكره أحـداً منكم، فمن كـان منكم يريـد الشـهادة ويـرغب فيهـا فلينطلـق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسـول اللـه OaP، فمضىٰ معـه أصـحابه فلم يتخلـف عنـه منهم أحد[1]. وهــذه العمليــة الاخــيرة تثبت بوضــوح ان هـدف التحركـات العسـكرية المحـدودة من قبـل الــدوريات الاســتطلاعية الاســلامية كــان الترصــد ومتابعة حركات العدو ليس إلا.

ـ الغزوات والسرايا:

الغزوة: هي الحـرب الـتي يحضـرها رسـول الله OaP بنفسه كما أن السرية كـانت تطلـق علىٰ البعث الذي يكلفهـا النـبي مهمـة دون أن يحضـرها

---

[1]) ـ تاريخ الطبري ج2 ص125.

بنفسه وقد اشرنا إلىٰ بعض السرايا ومهامها، وفيما يلي خلاصة من أهم الغزوات التي دخلها الجيش الإسلامي بقيادة النبي OaP وهي:

1 ـ غزوة بدر الكبرىٰ. 5 ـ غزوة خيبر.
2 ـ غزوة أحد. 6 ـ فتح مكة.
3 ـ غزوة الخندق (الاحزاب). 7 ـ غزوة حنين.
4 ـ غزوة بني المصطلق. 8 ـ غزوة تبوك.

وكان OaP قد خرج في غزوات أخرىٰ قبل بدر وبعدها أقل حجما وأهمية، لم يلق في بعضها كيدا وهادن في بعضها العدو، نشيرباختصار لبعضها قبل التعرض لمهمات الوقائع، وقد حدثت كل تلك الحركات العسكرية المحدودة بعد ورود الانباء بتحشدات عسكرية ونوايا عدوانية للاعداء سبق المسلمون فيها الحدث لإجهاض عمليات العدو، فمنها:

أولها من سنة اثنتين [استهل رسول الله OaP غازيا لليال مضت من صفر فوادع بَني ضمرة وكتب لهم كتابا وبلغ ودان والابواء ورجع ولم يلق كيداً. وفيها خرج يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر ربيع الإخر حتىٰ بلغ إلىٰ بواط علىٰ ثلاث مراحل

من المدينة في طريق الشأم ثم رجع يـوم الاثـنين لعشـر بقين من شـهر ربيـع الإخـر ولم يلـق كيـداً. وفيهـا غــزوات ذات العشــيرة لمســتهل جمــادىٰ الأولىٰ ووادع فيهـا بَـني مـدلج وحلفـاءهم من بَـني ضــمرة وكتب لهم كتابــا ورجــع لثمــان بقين من جمادىٰ الإخـرة ولم يلـق كيـداً][1] [ثم بـدر الأولىٰ خـرج إليهـا يـوم الاثـنين لإثنـتي عشـرة خلت من جمادىٰ الإخرة ورجع لأيام بقين منه ولم يلق كيداً. ثم ينبـع خـرج OaP يـوم الخميس لليلـتين خلتـا من شعبان حتىٰ بلغ ينبع ورجع ولم يلق كيداً.

وبعد بدر الكبرىٰ خرج إلىٰ قرقـرة الكـدر يـوم الجمعة غرة شوال ورجع لعشـر بقين منـه فسـاق النعم والرعاء ولم يلق كيدا] [2] ثم غـزوة السـويق كان أبو سفيان بن حرب اقبل إلىٰ المدينـة فخـرج النـبي OaP يـوم الاحـد لثمـان بقين من ذي الحجـة فهرب أبو سفيان واصحابه وتركوا ازوادهم فأخذها المسـلمون فقـالت قـريش انمـا يخـرج اصـحاب محمد ليشربوا السويق ورجع OaP لسـبع بقين من ذي الحجة ولم يلق كيداً [3].

---

1) ـ كتاب المحبر ص110.

2) ـ كتاب المحبر ص111.

3) ـ كتاب المحبر ص111.

[ثم سنة ثلاث فيها اجلىٰ رسول الله OaP بَـني الفطيون عن غير قتـال فلحقـوا بالشـام. ثم خـرج OaP في عقب المحــرم إلىٰ بَــني انمــارين بغيض بذي امر، فغنم فقسـم فيهـا للفـارس ثلاثـة أبعـرة وللراجل بعيراً ورجع لخمس خلـون من صـفر ولم يلق كيـداً. وحاصـر بَـني قينقـاع يـوم الاحـد لسـبع خلون من صفر فاجلاهم ووهب دماءهم لعبـد اللـه بن أبي ابن سلول وكانوا حلفـاءه ورجـع في صـفر ولم يلق كيداً. ثم غزوة بحران خرج لمستهل شهر ربيع الاخر حتىٰ بلغ بحران بناحية الفرع ورجــع ولم يلق كيـداً] [1] [وفي سـنة خمس فيهـا تهيـأ النـبي OaP لغزوة دومة الجندل وكان تجار العـرب شـكوا إليـه ظلم اكيـدر بن عبـد الملـك السـكوني فخـرج OaP مستهل المحرم يوم الاثنين فبلغ اكيدر إقباله فهرب وخلي السوق ورجـع OaP من الطريـق في صدر صفر ولم يلق كيـداً. وغـزوة بَـني لحيـان من هـذيل خـرج OaP إليـه يـوم الثلاثـاء غـرة جمـادىٰ الأولىٰ ثائراً بخبيب بن عمـرو واصـحابه فاعتصـموا برؤوس الجبال. وهجم علىٰ طائفة منهم علىٰ مـاء لهم يقال له الكـدر فهـزمهم اللـه (U) وغنم النـبي OaP اموالهم ومضىٰ منها حتىٰ نزل عسـفان وبعث

1) ـ كتاب المحبر ص112.

منهـا خيلاً إلىٰ الهـدرة وهي منهـا علىٰ سـتة اميـال إلىٰ مكة فاخطأته عير قريش فرجع ولم يلق كيداً . وغزوة ذي قـرد وهي علىٰ ثلاثـة ايـام من المدينـة فرجـع ولم يلـق كيـداً . ثم سـنة سـت فيهـا غـزوة المريسـيع وهـو مـاء لبَـني المصـطلق من خزاعـة خـرج إليهـا OaP يـوم السـبت غـرة شـعبان فغنم وانصرف][1].

1 ـ غزوة بدر الكبرى:

كانت وقعة بدر يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلـة بقيت من شهر رمضـان، بعـد مقدمـه OaP بثمانيـة عشرشهرا، وكان سـببها أن أبـا سـفيان بن حـرب قدم من الشام بعير لقريش تحمل تجارات وأموالا يصحبهم حرس، فخرج رسول اللـه يعارضه، وجـاء الصريخ إلىٰ قريش بمكة يخبرهم الخـبر، فخرجـوا نافرين مستعدين، وخالف أبو سفيان الطريق فنجا بالعير وأقبلت قريش مستعدة لقتـال رسـول اللـه وعـدتهم ألـف رجل، وقيـل تسـعمائة وخمسـون، وكانوا ينحرون كل يوم من الجزور عشرا وتسعاً .

وخرج رسـول اللـه في ثلاثمائـة وثلاثـة عشـر رجلاً ، منهم من المهـاجرين واحـد وثمـانون، ومن الانصار مائتان واثنان وثلاثون رجلاً ، ومعه فرسـان

---

[1]) ـ كتاب المحبر ص114.

فرس للزبير بن العوام وفرس للمقـداد بن عمـرو البهراني، ويقال فرس لمرثد ابن أبي مرثد الغنوي ومعه سـبعون راحلة، فـالتقوا يـوم الجمعـة لعشـر خلون من شهر رمضان[1].

فلمـا التقي الجمعـان، خــرج من المشــركين عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، فنادي عتبـة رسـول اللـه OaP وقـال: يامحمـد أخـرِج إلينـا أكفاءنـا من قريش. فبدر إليهم ثلاثة من شبان الانصـار، فقـال لهم عتبة من أنتم؟ فانتسبوا له فقالوا: لا حاجة لنا إلىٰ مبـارزتكم إنمـا طلبنـا أكفاءنـا من بـني عمنا، فقــال رســول اللــه OaP للانصـــار ارجعـــوا إلىٰ مــواقفكم. ثم قــال: قم يــا علي قم يــاحمزة قم ياعبيدة قاتلوا عن حقكم الذي بعث اللـه بـه نـبيكم إذ جاؤا بباطلهم ليطفئوا نـور الله، فقـاموا ووقفـوا قبالهم، فقال عتبة تكلموا إن كنتم أكفاءنا قاتلنـاكم فقال حمزة أنا حمزة بن عبد المطلب، فقال عتبة كفؤ كريم. وقال علي OgP: أنا علي بن أبي طـالب بن عبــد المطلب، وقــال عبيــدة: أنــا عبيــدة بن الحارث بن عبد المطلب، فقالوا نعم الاكفاء. فبرز امير المؤمنين علي بن ابي طالب إلىٰ الوليد وكان OgP أصغر القوم سـناً، واختلفـا ضـربتين أخطـأت

---

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج2 ص45.

ضـربة الوليـد أمـير المؤمـنين، واتقىٰ ضـربة أمـير المؤمنينOgP بيده إليسرىٰ فأبانها ثم ضـربه ضـربة أخرىٰ فصرعه، ثم بارز حمزة فقتل عتبة، ومشــي عبيدة وكان أسن القوم إلىٰ شيبة فاختلفا ضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة سـاق عبيـدة فاسـتنقذه علي OgP وحمزة منه وقتلا شيبة وكان قتل هـؤلاء أول وهن لحق المشـركين، فأقبـل أبـو جهـل علىٰ أصـحابه يحرضـهم علىٰ القتـال ويقـول لا يهـولنكم مقتل عتبة وشيبة والوليـد فـانهم عجلـوا وبطـرروا، قــاتلوا وأيم اللــه لا نرجــع حــتىٰ نقــرن محمــداً وأصحابه في الجبال. وخرج النبي OaP وهـو يقـول Pسيهزم الجمع ويولون الدبرO وحرض المســلمين علىٰ القتال؛ وأخـذ رسـول اللـه حفنـة من الـتراب ورمي بهـا قريشـاً وقـال: شـاهت الوجـوه وقـال لأصــحابه: شــدوا عليهم، واقتتــل النــاس قتــالاً شديداً[1]. فقتل من المسـلمين أربعـة عشـر رجُلاً وقتل من المشركين من سـادات قـريش سـبعون رجُلاً وأُسـر منهم سـبعون رجُلاً فـأمر رسـول اللـه برجلين من الاساري فضربت أعناقهما وهما عقبـة بن أبي معيط بن أبي عمـرو ابن أميـة والنضـر بن

[1]) ـ الانـوار العلويـة ص77 ـ 82 اقتبسـنا منـه مـورد الحاجة.

الحارث بن كلدة بن عبـدمناف بن عبدالـدار وأخـذ الفداء من ثمانية وستين رجلاً [1]

2 ـ غزوة أحد:

وهي تلت بدراً، في شوال سنة ثلاث من الهجـرة، وسميت أحداً نسبة إلىٰ جبل أحد. لما أصـيب يـوم بدر من كفار قـريش أصـحاب القليب ورجـع فلهم إلىٰ مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشي عبـد اللـه بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهـل وصـفوان ابن أمية، في رجـال من قـريش ممن أصـيب آبـاؤهم وأبناؤهم وإخـوانهم يـوم بـدر، فكلمـوا أبـا سـفيان ومن كانت لـه في تلـك العـير من قـريش تجـارة، فقـالوا: يـا معشـر قـريش، إن محمـداً قـد وتـركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال علىٰ حربه لعلنـا ندرك منه ثأرا، ففعلوا ... فاجتمعت قريش لحـرب رسول الله OaP حين فعل ذلك أبوسفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهـل تهامــة [2]. وكتب العبــاس بن عبــد المطلب إلىٰ رسول الله بخبرهم، وبعث بالكتـاب مـع رجـل من جهينة. فخبر رسول الله أصـحابه بخـبرهم، وخـرج المشــركون وعــدتهم ثلاثــة آلاف ورئيســهم أبــو

---

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج2 ص45 ـ 46.

2) ـ السيرة النبوية ج3 ص19 ـ 20.

سفيان بن حرب. وكان رأي رسول اللـه ألا يخـرج من المدينة لرؤيا رآها في منامه ....

فأشارت عليه الانصار بالخروج، فخـرج وخـرج المسلمون، وعـدتهم ألـف رجـل حـتىٰ صـاروا إلىٰ أحـد [1]. وعامـة من أشـار عليـه وأخرجـوا معهم النسـاء يحرضـنهم علىٰ حـرب رسـول اللـه OaP، بالخروج رجـال لم يشـهدوا بـدراً [2]. والمشـركون ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل وأخـرج أبـو سـفيان هند بنت عتبـة [3] وكـانت هنـد قـد أعطت وحشـياً عهداً لئن قتلت محمـداً أو عليـاً أو حمـزة لأعطيـك رضاك، وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم حبشـياً [4].

ومضىٰ رسول الله OaP حتىٰ نزل الشعب من أحد، في عدوة الـواديٰ وفي الجبل، وجعـل ظهـره وعسكره إلىٰ أحد، وقال: لا يقاتلن أحد حتىٰ آمـره بالقتال، وقد سـرحت قـريش الظهـر والكـراع في زروع كانت بالصمغة من قناة كانت للمسلمين [5]

---

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج 2 ص47.

2) ـ السيرة النبوية ج3 ص25.

3) ـ الانوار العلوية ص182.

4) ـ الانوار العلوية ص184.

5) ـ السيرة النبوية ج3 ص29.

تعبـأت قــريش وهم ثلاثــة آلاف ومعهم مائتـا فرس قد جنبوها، فجعلوا علىٰ ميمنـة الخيـل خالـد بن الوليد وعلىٰ ميسرتها عكرمـة بن أبي جهـل بن هشام [1] وكان لواء الفرسان مع عثمان بن طلحة ولم يكن مـع المسـلمين فــرس واحــدة[2] وتعبـأ رسول الله OaP للقتال وهو في سـبعمائة رجـل ــ بعد أن رجـع عنـه عبـد اللـه بن أبي في ثلثمائـة ــ وأمّر علىٰ الرماة يومئذ عبد الله بن جبير أخـا بـني عمــرو بن عــوف وهــو معلّم يومئــذ بثيــاب بيض والرماة خمسون رجُلاً فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونـا من خلفنـا إن كـانت لنـا أو علينـا فـاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك [3]. وكـانت رايـة رسـول الله OaP مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب Og Pكما كانت بيـده يـوم بـدر [4] "فلما التقي النـاس ودنا بعضـهم من بعض، قـامت هنـد بنت عتبـة في النسوة اللاتي معها، وأخـذن الـدفوف يضـربن بهـا خلف الرجـال ويحرضـن علىٰ القتـال فقـالت هنـد فيما تقول:

---

[1]) ـ السيرة النبوية ج3 ص30.
[2]) ـ السيرة النبوية ج3 ص26.
[3]) ـ البداية والنهاية ج4 ص17.
[4]) ـ الانوار العلوية ص182.

ويهاً بني عبد الدار   ويهاً حماة الديار   ضربا بكل بتار[1]

فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت قريش وولت الدبر، وأكب المسلمون علىٰ الغنائم، فلما رأي أصحاب الشعب ــ الرماة الذين وكلهم النبي بحراسة الثغرة ـ قالوا يذهب هؤلاء بالغنائم ونبقىٰ نحن، فقالوا لعبد الله الذي كان رئيساً عليهم: نريد أن نغنم كما غنم الناس، فقال: ان رسول الله OaP أمرني أن لا أبرح من موضعي هذا. فقالوا أمرك بهذا وهو لايدري ان الأمر يبلغ إلىٰ ما ترىٰ، ومالوا إلىٰ الغنائم وتركوه، فلم يبرح هو من موضعه وحمل عليه خالد بن الوليد فقتله[2]. وكان علىٰ ميسرة المشركين جاء من ظهر جيش المسلمين فباغتوهم وانهزم المسلمون حتىٰ بقي رسول الله وما معه إلا ثلاثة نفر: علي والزبير وطلحة وقال المنافقون: قتل محمد، ورماه عبد الله بن قمئة فأثر في وجهه[3].

وقتل في هذه المعركة حمزة بن عبد المطلب، أسدالله وأسد رسوله، رماه وحشي،

---

[1]) ـ السيرة النبوية ج3 ص32.

[2]) ـ الانوار العلوية ص183.

[3]) ـ تاريخ اليعقوبي ج2 ص47.

عبد لجبير بن مطعم بحربة، فسقط ومثلت به هند بنت عتبة بن ربيعة وشقت عن كبده فأخـذت منهـا قطعة فلاكتها، وجدعت أنفه، فجـزع عليـه رسـول الله جزعـاً شـديداً وقـال: لن أصـاب بمثلك، وكـبر عليه خمسا وسبعين تكبيرة[1]. وأقبـل أبـو سـفيان حـتىٰ أشـرف عليهم، فلمـا نظـر المسـلمون إليـه نسـوا مـا هم فيـه من آلام وأهمهم صـعود قـريش الجبل، [فقال رسول الله OaP ليس لهم أن يعلونا، اللهم إن تقتــل هــذه العصــابة لا تعبد. ثم نــدب أصحابه فرموهم بالحجارة حتىٰ أنزلوهم، فقال أبو سـفيان يومئـذ حنظلـة بحنظلـة ويـوم بيـوم بـدر، وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب غسيل الملائكـة ــ من جند المسلمين ـ، وكان حنظلة بن أبي سـفيان قتل يوم بدر] [2].

قـال اليعقـوبي: وقتـل من المسـلمين ثمانيـة وسـتون رجلاً، ومن المشــركين اثنـان وعشــرون رجلاً، ثم رجع المشـركون وفـرق اللـه جمعهم[3]. ولما انصرف أبو سفيان وأصـحابه من أحـد وبلغـوا الروحـاء ــ وهي علىٰ أربعين ميلاً من المدينـة إلىٰ

---

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 47.

2) ـ تاريخ الطبري ج2ص202.

3) ـ تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 48.

مكــة ــ نــدموا علىٰ انصــرافهم عن المســلمين وتلاومــوا، فقــالوا: لا محمــداً قتلتم، ولا الكــواعب أردفتم، قتلتموهم حتىٰ إذا لم يبق منهم إلّا الشريد تركتمــوهم. فــارجعوا فاستأصلــوهم[1]. وبلـغ ذلـك الخــبر رســول اللــه OaP فــأراد أن يــرهب العــدو ويريهم من نفســه وأصـحابه قــوة. فنـدب أصـحابه للخــروج في طلب أبي ســفيان وقــال: ألا عصــابة تشدد لأمر اللـه تطلب عــدوها؟ فإنهــا أنكىٰ للعــدو وأبعـــد للســـمع. وامـــر مناديـــاً ينـــادي يامعشـــر المهاجرين والانصار من كانت به جراحــة فليخــرج، ومن لم تكن به جراحة فليقم[2].

وعن مجمع البيان: ونادىٰ منـادي رسـول الله: ألا لايخرجن إلا من حضـر يومنـا بـالامس، فانتـدب عصــابة مــع مــا بهم من القــراح والجــراح الــذي أصابهم يوم أحد. فخرج في سبعين رجُلاً حـتىٰ بلـغ حمراء الاسد وهي من المدينـة علىٰ ثمانيـة أميـال والتقي بأبي سفيان؛ معبد الخُزاعي قادماً من جهة المدينة فقــال لــه أبوســفيان: مــا وراءك يــا معبد؟ فقال معبد: قد والله تركت محمــداً وأصـحابه وهم يحرقون عليكم، وهذا علي بن أبي طالب قد أقبـل

---

1) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج2 ص349.

2) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج2 ص350.

علىٰ مقدمته في الناس، وقد اجتمع عليه من كـان تخلف عنه، وقـد دعـاني ذلـك إلىٰ أن قلت شـعراً في ذلك. فانصــرف القــوم ســراعاً خــائفين من الطلب لهم. وارســل معبــد رجُلاً من خزاعــة إلىٰ رسول الله OaP يعلمه أن قد انصـرف أبـو سـفيان وأصـحابه خـائفين وجلين. فانصـرف رسـول اللـه راجعا إلىٰ المدينة[1].

3 ـ غزوة الخندق [الاحزاب]:

وكـانت وقعـة الخنـدق في السـنة الرابعـة أو الخامسة بعد الهجرة، فقد اختلف أهـل السـير في تاريخهـا كمـا اختلفـوا في كـون المحـرض عليهـا قـريش أم اليهـود، ونحن ننقـل أهم وقائعهـا من تـاريخ الطـبري بعـد حـذف الاسـناد ومـاخرج عن الموضوع قال: [وكان الذي جر غزوة رسـول اللـه OaP الخندق فيما قيـل مـا كـان من إجلاء رسـول الله OaP بـني النضـير عن ديـارهم وأنـه كـان من حديث الخندق أن نفـرا من اليهـود منهم سـلام بن أبي الحقيــق النضــري وحُــيي بن أخطب النضــري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري وهوذة بن قيس الوائلي وأبوعمـار الـوائلي في نفـر من بَـني

1) ـ موســوعة التــاريخ الإســلامي ج 2 ص 352 ـ 358 اقتبسنا منها مورد الحاجة.

النضـير ونفـر من بَـني وائـل هم الـذين حزبـوا الاحزاب علىٰ رسول الله OaP خرجوا حتىٰ قـدموا علىٰ قريش بمكة فدعوهم إلىٰ حرب رسـول اللـه OaP وقالوا إنا سنكون معكم عليه حـتىٰ نستأصـله فقالت لهم قريش يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلـف فيـه نحن ومحمـد أفديننا خير أم دينه قـالوا بـل دينكم خـير من دينـه وأنتم أولىٰ بـالحق منه. فلمـا قـالوا ذلـك لقـريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله OaP فأجمعوا لذلك واتعدوا له.

ثم خـرج أولئـك النفـر من يهـود حـتىٰ جـاؤا غطفـــان من قيس عيلان فـــدعوهم إلىٰ حـــرب رسول اللـه OaP وأخـبروهم أنهم سـيكونون معهم عليه وأن قريشاً تـابعوهم علىٰ ذلـك وأجمعـوا فيـه فأجابوهم فخرجت قريش وقائـدها أبـو سـفيان بن حرب وخرجت غطفـان وقائـدها عيينـة بن حصـين بن حذيفـة بن بـدر في بَـني فـزارة والحـارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بَني مرة ومســعود ابن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سـحمة بن عبـد اللـــه بن هلال بن خلاوة بن أشـــجع ابن ريث بن غطفـان فيمن تابعـه من قومـه من أشـجع. فلمـا سـمع بهم رسـول اللـه OaP وبمـا أجمعـوا لـه من

الأمر ضرب الخندق علىٰ المدينة وكان الذي أشـار علىٰ رسول الله OaP بالخنـدق سـلمان وكـان أول مشهد شـهده سـلمان مـع رسـول اللـه OaP وهـو يومئذ حر وقال يا رسـول اللـه إنـا كنـا بفـارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل رسول الله OaP ترغيباً للمسلمين في الاجر وعمل فيه المسلمون فـدأب فيه ودأبو ا حتىٰ أحكموه.

وخط رسول الله OaP الخنـدق عـام الاحـزاب من أجم الشـيخين طـرف بَـني حارثـة حـتىٰ بلـغ المـذاد ثم قطعـه أربعين ذراعـاً بين كـل عشـرة فاحتق المهاجرون والانصار في سـلمان الفارسـي وكان رجُلاً قويا فقالت الانصار سلمان منـا وقـالت المهـاجرون سـلمان منـا فقـال رسـول اللـه OaP سلمان منا أهل البيت قال عمـرو بن عـوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقـرن المزني وستة من الانصار في أربعين ذراعا فحفرنا تحت ذوباب حتىٰ بلغنا النـدىٰ فـأخرج اللـه (U) من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسـرت حديـدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلىٰ رسـول اللـه OaP فأخبره خبر هذه الصخرة فإما أن نعـدل عنهـا فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجـاوز خطـه فـرقىٰ سـلمان حـتىٰ أتىٰ

رسول الله OaP وهو ضارب عليه قبة تركية فقــال يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة فكسـرت حديـدنا وشـقت علينـا حتىٰ ما نحيك فيها قليلاً ولا كثيراً فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك.

هبط رسول الله OaP مع سـلمان في الخنـدق ورقينا نحن التسعة علىٰ شقة الخندق فأخذ رسول اللـه OaP المعـول من سـلمان فضـرب الصـخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتيها يعني لابتي المدينة حتىٰ لكـأن مصـباحاً في جـوف بيت مظلم فكبر رسول اللـه OaP تكبـير فتح وكـبر المسـلمون ثم ضـربها رسـول اللـه OaP الثانيـة فصدعها وبرق منها برقة أضاء منهـا مـا بين لابتيهـا حـتىٰ لكـأن مصـباحاً في جـوف بيت مظلم فكـبر رسـول اللـه OaP تكبـير فتح وكـبر المسـلمون ثم ضربها رسول الله OaP الثالثة فكسرها وبرق منهـا برقة أضاء مـا بين لابتيهـا حـتىٰ لكـأن مصـباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله OaP تكبــير فتح وكبر المسلمون ثم أخذ بيده سلمان فـرقىٰ فقـال سـلمان بـأبي أنت وأمي يارسـول اللـه لقـد رأيت شيئاً مـا رأيتـه قـط فـالتفت رسـول اللـه OaP إلىٰ القوم فقال هل رأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا

رسـول اللـه بأبينـا أنت وأمنـا قـد رأينـاك تضـرب فيخرج برق كـالموج فرأينـاك تكـبر فنكـبر ولانـري شيئاً غير ذلك قال صدقتم ضـربت ضـربتي الأولىٰ فبرق الذي رأيتم أضـاءت لي منهـا قصـور الحـيرة ومدائن كسرىٰ كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظـاهرة عليهـا ثم ضـربت ضـربتي الثانيـة فبرق الـذي رأيتم أضـاءت لي منهـا قصـور الحمـر من أرض الــروم كأنهــا أنيــاب الكلاب فــأخبرني جبريل أن أمتي ظـاهرة عليهـا ثم ضـربت ضـربتي الثالثـة فـبرق منهـا الـذي رأيتم أضـاءت لي منهـا قصور صنعاء كأنها أنيـاب الكلاب فـأخبرني جبريـل أن أمــتي ظــاهرة عليهــا فأبشــروا يبلغهم النصــر وأبشــروا يبلغهم النصــر وابشــروا يبلغهم النصــر فاستبشــر المســلمون وقــالوا الحمــد للــه موعــد صــادق بــار وعــدنا النصــر بعــد الحصر. فطلعت الاحــزاب فقــال المؤمنــون هــذا مــا وعــدنا اللــه ورسوله وصدق الله ورسـوله ومـا زادهم إلا إيمانـا وتســليما وقــال المنــافقون ألا تعجبــون يحــدثكم ويمـنيكم ويعـدكم الباطـل يخـبركم أنـه يبصـر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرىٰ وأنها تفتح لكم وأنتم تحفـرون الخنـدق ولا تسـتطيعون أن تـبرزوا وأنـزل القـرآن P وَإِذْ يَقُـولُ الْمُنَـافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي

قُلُـوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَـدَنَا اللَّهُ وَرَسُـولُهُ إِلَّا غُـرُوراً O وكان أهل الخندق ثلاثة آلاف.

ولما فرغ رسول اللـه OaP من الخنـدق أقبلت قريش حتىٰ نزلت بمجتمع الاسـيال من دومـة بين الجـرف والغابـة في عشـرة آلاف من أحابيشـهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفـان ومن تابعهم من أهل نجد حـتىٰ نزلـوا بـذنب نقمي إلىٰ جانب أحد وخرج رسول الله OaP والمسلمون حتىٰ جعلوا ظهورهم إلىٰ سـلع في ثلاثـة آلاف من المسلمين فضرب هنالـك عسـكره والخنـدق بينـه وبين القـوم وأمـر بالـذراري والنسـاء فرفعـوا في الإطام وخرج عدو اللـه حـيي بن أخطب حـتىٰ أتىٰ كعب بن أسد القرظي صـاحب عقـد بَـني قريظـة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله OaP علىٰ قومه وعاهده علىٰ ذلك وعاقده فلمـا سـمع كعب بحـييٰ بن أخطب أغلق دونه حصنه فاسـتأذن عليـه فـأبىٰ أن يفتح له فناداه حُيي يا كعب افتح لي قال ويحك يا حُيي إنك امرؤ مشـؤم إني قـد عاهـدت محمـداً فلست بناقض ما بيـني وبينـه ولم أر منـه إلا وفـاءً وصـدقاً قـال ويحـك افتح لي أكلمـك قـال مـا أنـا بفاعـــل قـــال واللـــه إن أغلقت دوني إلا علىٰ جشيشتك أن آكل معك منها فاحفـظ الرجـل ففتح

له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقـريش علىٰ قادتها وسـادتها حـتىٰ أنـزلتهم بمجتمع الاسـيال من دومـة وبغطفـان علىٰ قادتهـا وسادتها حتىٰ أنزلتهم بـذنب نقمي إلىٰ جـانب أحـد قد عاهدوني وعاقدوني ألا يبرحوا حـتىٰ يستأصـلوا محمـداً ومن معـه فقـال لـه كعب بن أسـد جئتـني والله بذل الدهر بجهام قد هراق ماءه يرعد ويـبرق ليس فيه شـي ء ويحـك فـدعني ومحمـداً ومـا أنـا عليه فلم أر من محمـد إلا صـدقاً ووفـاء فلم يـزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حـتىٰ سـمح لــه علىٰ أن أعطــاه عهــدا من اللــه وميثاقــا لئن رجعت قــريش وغطفــان ولم يصــيبوا محمــدا أن أدخل معـك في حصـنك حـتىٰ يصـيبني مـا أصـابك فنقض كعب بن أسد عهده وبـرئ ممـا كـان عليـه فيما بينه وبين رسول الله OaP.

فلمـا إنتهىٰ إلىٰ رسـول الله OaP الخـبر وإلىٰ المسلمين بعث رسول الله OaP سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بَني عبد الاشهل وهو يومئذ سـيد الاوس وسـعد بن عبـادة بن دليم أحـد بَني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهـو يومئـذ سـيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحارث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بَني عمـرو بن عـوف

فقال انطلقوا حتىٰ تنظروا أحق ما بلغنا عن هـؤلاء القوم أولاً فإن كـان حقـا فـالحنوا لي لحنـا نعرفـه ولاتفتوا في أعضـاد النـاس وإن كـانوا علىٰ الوفـاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للنـاس فخرجـوا حـتىٰ أتوهم فوجدوهم علىٰ أخبث مـا بلغهم عنهم ونـالوا من رسول الله OaP وقالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولاعهد فشـاتمهم سـعد بن معـاذ وشـاتموه وكـان رجُلاً فيـه حـد فقـال لـه سـعد بن معـاذ دع عنـك مشاتمتهم فما بيننـا وبينهم أربىٰ من المشـاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلىٰ رسـول الله OaP فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقـارة كغـدر عضـل والقارة بأصحاب رسول الله OaP أصحاب الرجيـع خـبيب بن عـدي وأصـحابه فقـال رسـول الله OaP الله أكبر أبشروا يا معشـر المسـلمين وعظم عنـد ذلـك البلاء واشـتد الخـوف وأتـاهم عـدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتىٰ ظن المؤمنـون كـل ظن.

ونجم النفـاق من بعض المنـافقين حـتىٰ قـال معتب بن قشـير أخـو بَـني عمـرو ابن عـوف كـان محمد يعدنا إن نأكل كنوز كسرىٰ وقيصر وأحـدنا لا يقـدر أن يـذهب إلىٰ الغائـط وحـتىٰ قـال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث يا رسول الله إن

بيوتنـا لعـورة من العـدو وذلـك عن ملا من رجـال فاذن لنا فلنرجع إلىٰ دارنا فإنها خارجة من المدينة فأقـام رسـول اللـه OaP وأقـام المشـركون عليـه بضعاً وعشرين ليلـة قريبـاً من شـهر ولم يكن بين القــوم حــرب إلا الــرمي بالنبــل والحصــار إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبـد ود بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميـان ونوفـل بن عبـد اللــه وضــرار بن الخطــاب بن مــرداس أخــو بن محارب بن فهـر قـد تلبسـوا للقتـال وخرجـوا علىٰ خيلهم ومروا علىٰ بَني كنانة فقالوا تهيئوا للحرب يا بَني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلـوا نحو الخندق حتىٰ وقفوا عليه فلما رأوه قالوا واللـه إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيـدها ثم تيممـوا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فـاقتحمت منـه فجـالت بهم في السـبخة بين الخنـدق وسـلع وخرج علي بن أبي طالب في نفـر من المسـلمين حتىٰ أخذ عليهم الثغـرة الـتي أقحمـوا منهـا خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وقد كـان عمـرو بن عبـد ود قاتـل يـوم بـدر حـتىٰ أثبتتـه الجراحـة فلم يشهد أحداً فلما كان يوم الخندق خرج مُعلَّما لـيرىٰ مكانه. فلما وقف هو وخيله قال له علي يـا عمـرو

إنك كنت تعاهد اللـه ألا يـدعوك رجـل من قـريش إلىٰ خلتين إلا أخذت منه إحداهما قال أجل قال لـه علي بن أبي طالب فإني أدعوك إلىٰ الله (U) وإلىٰ رسوله وإلىٰ الاسلام قـال لا حاجـة لي بـذلك قـال فإني أدعوك إلىٰ الـنزال قـال ولم يـا ابن أخي فـو الله ما أحب أن أقتلك قال علي ولكني والله أحب أن أقتلك قال فحمىٰ عمرو عند ذلـك فـاقتحم عن فرسه فعقره أو ضـرب وجهـه ثم أقبـل علىٰ علي فتنـازلا وتجـاولا فقتلـه علي OgP وخـرجت خيلـه منهزمة حتىٰ اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مــع عمرو رجلان منبه بن عثمـان بن عبيـد بن السـباق بن عبد الدار أصـابه سـهم فمـات منـه بمكـة ومن بَني مخزوم نوفل بن عبـد اللـه بن المغـيرة وكـان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجـارة فقـال يا معشر العرب قتلة أحسـن من هـذه فـنزل إليـه علي فقتله فغلب المسلمون علىٰ جسـده فسـألوا رسول اللـه OaP أن يـبيعهم جسـده فقـال رسـول الله OaP لا حاجة لنا بجسـده ولاثمنـه فشـأنكم بـه فخلىٰ بينهم وبينه][1]. وبعث اللـــــــــــه (U)، علىٰ المشركين ريحاً وظلمة فانصرفوا هاربين لا يلـوون علىٰ شــيء حــتىٰ ركب أبــو ســفيان ناقتــه وهي

---

[1]) ـ تاريخ الطبري ج2 ص233.

معقولة. فلما بلغ رسول الله ذلك، قال: عوجل الشيخ[1] وقد ذكرنا كيفية قتل علي OgP لعمرو بن عبد ود عن مصادر أخرىٰ كما مر.

4 ـ غزوة بني المصطلق:

واختلف في تاريخها أيضاً والمشهور انها كانت في السنة الخامسة من الهجرة، وسميت غزوة المصطلق نسبة إلىٰ اسم القبيلة التي قصدت في الغزو بسبب تحشدها القوىٰ لغزو المسلمين في المدينة، وسميت بغزوة المريسيع أيضا نسبة إلىٰ الماء الذي وقع عنده القتال. [وكان شعار المسلمين يومئذ "يا منصور أمت"] [2]، وإليك خلاصة قصة الغزو اقتبسناها من كتاب موسوعة التاريخ الإسلامي: أن بني المصطلق من خزاعة كانوا ينزلون بناحية الفرع، وبدأ الركبان يأتون من ناحيتهم فيخبرون رسول الله أن الحارث بن أبي ضرار رأس المصطلق وسيدهم قدسار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلىٰ حرب رسول الله. فلما بلغ ذلك رسول الله OaP بعث بريدة بن الحصيب الاسلمي يعلم علم ذلك، فاستأذن النبي أن يقول ما شاء فأذن له. فخرج

---

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج2 ص50.

2) ـ إعلام الوري بأعلام الهدي ج1 ص197.

حتىٰ ورد ماءهم فوجد قوماً مغـرورين قـد جمعـوا الجموع. فقالوا له: من الرجل؟ قال: رجـل منكم، قدمت لما بلغني عن جمعكم لهـذا الرجل، فأسـير في قومي ومن أطاعني، فتكون يدنا واحـدة حـتىٰ نستأصـلـه. فقـال لـه الحـارث: فنحن علىٰ ذلـك فعجل علينا. فقال بريدة: اركب الإن فأتيكم بجمـع كـثيف من قـومي ومن أطـاعني. فـركب... ورجـع إلىٰ رسول الله فأخبره خبر القوم. فنـدب رسـول الله الناس وأخبرهم خبر عـدوهم، فأسـرع النـاس للخـــروج. وفيهم ثلاثـــون فارســـاً، عشـــرة من المهاجرين: رسـول اللـه OaP وعلي OgP والمقـداد والزبـير وطلحـة وأبـو بكـر وعمـر وعثمـان وعبـد الرحمان بن عـوف. وعشـرون من الانصـار منهم: ابي بن كعب واسيد بن حضير والحبـاب بن المنـذر وسـعد بن زيـد وسـعد بن معـاذ ومعـاذ بن جبل. وخرج مع رسول الله بشر كثـير من المنـافقين لم يخرجـوا في غـزاة مثلهـا قط، ليس لهم رغبـة في الجهـــاد، ولكن قـــرب الســـفر عليهم، وأرادوا أن يصيبوا من عرض الدنيا. وسـلك رسـول اللـه علىٰ الحلائق فنزل بها. وفي بقعاء ـ موضـع علىٰ أربعـة وعشـــرين ميلاً من المدينـــة ــــ صـــادفوا رجُلاً من المشـــركين فســـألوه: مـــا وراءك؟ وأين النـــاس؟

فقال: لا عِلم لي بهم. فقال له عمر بن الخطـاب: لتصدقن أو لأضربن عنقك! فقال: أنا رجل من بني المصطلق، تركت الحارث بن أبي ضرار قـد جمـع لكم الجموع وجلب إليه ناساً كثـيراً، وبعثـني إليكم لإتيه بخبركم وهل تحركتم من المدينة. فأتىٰ عمـر إلىٰ رسول الله فأخبره الخبر.

وذهب خبره إلىٰ بني المصـطلق فسـاء بـذلك زعيمهم الحـارث بن أبي ضـرار ومن معـه وخـافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنه من كـان قـد اجتمـع إليـه من أفناء العرب حتىٰ ما بقي منهم أحد سوي بَـني المصطلق. وفي المريسيع: حتىٰ إنتهىٰ رسول الله إلىٰ ماء المريسيع فنزله، وضربت له قبـة من أدم. وقد اجتمع بنو المصطلق علىٰ الماء وأعدوا وتهيأوا للقتـال. فصـف رسـول اللـه أصـحابه، ودفـع رايـة المهاجرين ـ فيما قيل ـ إلىٰ عمار بن ياسر، ورايــة الانصار إلىٰ سـعد بن عبـادة. فـروي الواقـدي عن ابن عمر: أن النبي أغار علىٰ بـني المصـطلق وهم غــارون ونعمهم تُسـقىٰ علىٰ المــاء. ولكنــه روىٰ بسنده عن زيد بن طلحة: أن رسول الله أمر عمر فنــادىٰ فيهم: قولــوا: لا إلــه إلا الله، تمنعــوا بهــا أنفســكم وأمــوالكم! فــأبوا. ورمىٰ رجــل منهم المسلمين فرمـاهم المسـلمون بالنبـل سـاعة. ثم

أمر رسـول اللـه أصـحابه أن يحملـوا عليهم حملـة رجـل واحد، فمـا أفلت منهم إنسـان، قتـل منهم عشرة واسر سائرهم، فقتـل أمـير المؤمـنين OgP رجلين من القوم هما مالك وابنه. واصـاب رسـول الله منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين.

وبعـد إسـلام بقيـة القـوم جـاء الحـارث أبـو جويريـة إلىٰ النـبي OgP فقـال: يارسـول اللـه إن ابنـتي لا تُسـبىٰ، إنهـا امـرأة كريمة. قـال: اذهب فخيرها. قـال: قـد أحسـنت وأجملت. وجـاء إليهـا أبوها فقال لها: يا بنيـة لا تفضـحي قومك! فقـالت له: اخترت الله ورسوله! فقال لها أبوها: فعل الله بك وفعل! وأعتقها رسول الله، وجعلهـا في جملـة أزواجه، فلمـا بلـغ النـاس أن رسـول اللـه تـزوج جويريـة بنت الحـارث قـالوا: أصـهار رسـول الله! فأرسلوا ما كان في أيديهم منهم.

ومما وقـع في أثنـاء القتـال: أن رجُلاً من بـني عمرو بن عوف من الانصار أو هشام بن صـبابة أو هاشم بن صبابة ـ كما في الواقدي ـ تلقّىٰ في ريح شديدة وعجاج رجُلاً آخر من الانصار يقال له أوس، فظن أنه من المشركين، فحمل عليه فقتله، فعلم بعد أنه مسـلم؛ فـأمر رسـول اللـه أن تخـرج ديته. وأمر رسول الله بالأسرىٰ والذرية فكتفـوا وجعلـوا

ناحية، واستعمل عليهم بريـدة بن الحصـيب. وأمـر بما وجـد في رحـالهم من المتـاع والسـلاح فجمع، وكان السبي مئتي أهل بيت فاعتق مئـة أهـل بيت منهم بـتزويج رسـول اللـه بجويريـة بنت زعيمهم الحارث وضـمنهم من من عليـه رسـول اللـه بغـير فداء، ومنهم من صار في أيدي الرجـال، فافتـديت المرأة بست نياق، وقـدموا المدينـة ببعض السـبي فقدم عليهم أهلهم فافتدوهم، فلم تبـق امـرأة من بـني المصـطلق إلا رجعت إلىٰ قومها. وكـان أبـو سعيد الخدري يقول: قدمت علينا وفودهم فافتـدوا النسـاء والذريـة ورجعـوا بهم إلىٰ بلادهم، وخـير بعضهن أن تقيم عند من صارت في سـهمه فـأبين إلا الرجـوع إلا مـا كـان من جويريـة بنت زعيمهم الحارث بن أبي ضرار فإنها لما خيرها رسـول اللـه أبت الرجوع مع أبيها[1]

وفي هذه الغزوة سـعىٰ المنـافقون في ايقـاع الفتنة بين المسـلمين فعن ابن اسـحاق قوله: بينـا النـاس علىٰ المـاء وردت واردة النـاس فـازدحم جهجاه من بني غفار وسنان بن وبر الجهني حليـف بـني عـوف علىٰ المـاء فـاقتتلا، فصـرخ الجهـني: يامعشـر الانصـار، وصـرخ جهجـاه: يامعشـر

[1]) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 577 وما بعدها.

المهـاجرين. فغضـب عبـد اللـه بن ابي بن سـلول وعنده رهط من قومـه فقـال: أوَ قـد فعلوها؟ قـد نافرونا وكاثرونا في بلادنا؟ والله ما أعـدنا وجلابيب قـريش هـذه إلا كمـا قـال الاول: "سـمن كلبـك يأكلك" أما والله لئن رجعنـا إلىٰ المدينـة ليخـرجن الاعز منها الاذل. ثم أقبل علىٰ قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتمـوهم بلادكم وقاسـمتموهم أموالكم، أما واللـه لـو أمسـكتم عنهم مـا بأيـديكم لتحولوا إلىٰ غير داركم.

فبلغ مقولته رسول اللـه OaP وعنـده عمـر بن الخطاب فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله. فقـال رسول الله OaP: فكيف يا عمـر إذا تحـدث النـاس أن محمـدا يقتـل أصـحابه، لا ولكن أذن بالرحيل. وذلـك في سـاعة لم يكن يرتحـل فيها. فارتحـل الناس. فلما استقل رسول الله وسـار لقيـه أسـيد بن خضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليـه وقـال يـا رسول الله، والله لقد رحت في سـاعة منكـرة مـا كنت تروح في مثلها؟ فقـال OaP: أوَ مـا بلغـك مـا قال صـاحبكم؟ قـال: أي صـاحب يـا رسـول الله؟ قال: عبد الله بن أبي. فقال يا رسـول اللـه أرفق، فوالله لقد جاءنا الله بـك وإن قومـه لينظمـون لـه الخرز ليتوجوه، فإنه لـيرىٰ أنـك اسـتلبته ملكـاً. ثم

مشىٰ رسـول اللـه بالنـاس يـومهم حـتىٰ أمسـىٰ وليلتهم حتىٰ أصبح وصدر يـومهم ذلـك حـتىٰ آذتهم الشـمس، ثم نـزل بالنـاس فلم يلبثـوا أن وجـدوا مس الارض فوقعوا نياما. وإنما فعل ذلـك ليشـغل الناس عن الحديث الذي كـان بـالامس من حـديث عبدالله بن أبي[1]. وقد مشىٰ عبداللـه بن أُبي إلىٰ الرسـول فحلـف باللـه مـا قلت ولا تكلمت. فـنزل الوحي بنفاقه وفضحه.

5 ـ غزوة خيبر:

وقد وقعت خيبر من المدينة إلىٰ سمت الشام علىٰ مسـافة ثمانيـة بريـدات، كـل بريـد أربعـة فراسخ، لها مزارع معمورة وحصون موفورة، بناها خيـبر أخـو يـثرب من العمالقـة الـذي بنـا المدينة، فسمىٰ كل بإسم بانيه. وقيل: خيبر في لغة اليهـود بمعـنىٰ الحصن، فيقـال لتلـك الحصـون خيـابر من هذه الجهة. وكـان حصـونها مسـماة بثلاثـة أسـماء نوعية؛ الاول: حصـن نطـاة، وهي ثلاثـة حصـون: حصـن النـاعم وحصـن الصـعب، وحصـن القلة، الثـانى: حصـن الشق، وهي حصـن ابي وحصـن البراء، والثالث: حصن الكتيبة ـ بصـيغة التصـغير ـ وهي حصن قموص، وحصن وطيح، وحصن سلام ـ

[1]) ـ السيرة النبوية ج3 ص299 ـ 300.

بضم السين ـ ويقال له "سلالم" أيضا، والمجمـوع ثمانية حصون[1]. وكانت الوقعـة في أوائـل السـنة السابعة للهجـرة النبوية، وسـببها عـزم يهـود خيـبر علىٰ تحشيد القوي لحرب النـبي OaP، وقـد صـرح كبيرهم أسير بن زارم بنواياه بعد توليه زعامة يهود خيـبر بعـد مقتـل رئيسـهم السـابق سـلام بن أبي الحقيق، إذ [قام فيهم فقـال: إنـه واللـه مـا سـار محمد إلىٰ أحد من اليهود الا بعث احدا من أصحابه فأصـاب منهم مـا أراد، ولكـني اصـنع مـا لا يصـنع اصحابي. قـالوا: وماعسـيت ان تصـنع مـالم يصـنع أصحابك؟ قـال: أسـير في غطفـان فـأجمعهم، ثم نسير إلىٰ محمد في عقر داره، فانـه لم يغـز أحـد في داره الا ادرك من عدوه بعض مـا يريد. قـالوا: نعم ما رأيت. فسـار في غطفـان فجمعهم. وقـدم خارجـة بن حسـيل الاشـجعي علىٰ رسـول اللـه فاستخبره عما وراءه فقال: تـركت اسـير بن زارم يسير إليك في كتائب اليهود. فـروي عن عـروة بن الزبير: أن النبي بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثـة نفـر في شـهر رمضـان إلىٰ خيـبر ليخـبر عن حـال اهلها وما يتكلمون به وما يريدون. فلما وصـل إلىٰ خيبر فرق أصحابه الثلاثة في ثلاثة من آطام خيـبر:

---

[1]) ـ اللمعة البيضاء ص295.

الشق، والكتيبة، والنطاة، فأقـاموا فيهـا ثلاثـة أيـام حتىٰ وعوا ما سمعوه عن اسير وغيره، ثم خرجــوا بعد ثلاثة أيام فرجعوا إلىٰ النـبي OaP إلىٰ بقين من شهر رمضان، فأخبروه بما رأوا وسمعوا] [1].

وروىٰ الواقـدي: أن بـني سـعد كـانوا بفـدك ـ وهي قرية بينها وبين المدينة ست ليـال قريبـة من خيبر ـ وقد بلـغ رسـول اللـه أن لهم جمعـاً لإمـداد يهود خيبر فبعث إليهم علياً OgP في مئة رجل في شعبان سنة ست، فسار الليـل وكمن النهـار حـتىٰ إنتهىٰ إلىٰ الهمج ـ ماء قرب فدك بينها وبين خيبرـ فأصـابوا رجُلاً منهم فأخـذوه، فقـال لـه علي OgP: هل لك علم بما وراءك من جمع بني سـعد؟ قـال: لاعلم لي به، فشـــدوا عليه، فـــأقر أنـــه عينٌ لهم بعثـوه إلىٰ خيـبر يعـرض علىٰ يهـود خيـبر نصـرهم علىٰ أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم. فقالوا له: فأين القـوم؟ قـال: تـركتهم وقـد تجمـع منهم مئتا رجل ورأسهم وبر بن عليم. قالوا: فسـر بنا حتىٰ تـدلنا. قـال: علىٰ أن تؤمنـوني! قـالوا: إن دللتنـا عليهم وعلىٰ سـرحهم آمنـاك وإلا فلا أمـان لك! فخرج بهم وأوفي بهم علىٰ فدافد وآكام حـتىٰ ســاء ظنهم به، ثم أفضــي بهم إلىٰ ســهول فــإذا

---

[1]) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج2 ص595.

شـياه كثـيرة ونعم فقـال: هـذه شـياههم ونعمهم، فأرسلوني. قالوا: لا حتىٰ نـأمن الطلب، ثم أغـاروا فغنمـوا النعم والشـياه وهـرب راعيهـا فأنـذر أهلـه وحذرهم فتفرقوا وهربـوا، وانتهي المسـلمون إلىٰ محلهم فلم يـروا أحـدا، فأرسـلوا الرجل[1]. وأمـر رسول الله OaP أصحابه بالخروج فجـدوا في ذلك، واستنفر من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه، جاءه المخلفون عنه في غـزوة الحديبيـة ليخرجـوا معـه رجـاء الغنيمة، فقـال: "لا تخرجـوا معي إلا راغبين في الجهاد، فاما الغنيمة فلا"[2] و اسـتعمل علىٰ المدينة نميلة بن عبد الله الليثى، ودفع الرايـة إلىٰ علي بن أبي طالب0، وكـانت بيضـاء[3]. وكـان رسول الله OaP حين خـرج من المدينـة إلىٰ خيـبر سلك علىٰ عصر، فبـنىٰ لـه فيهـا مسـجد، ثم علىٰ الصهباء، ثم أقبـل رسـول اللـه OaP بجيشه، حـتىٰ نــزل بــواد يقــال لــه الرجيع، فــنزل بينهم وبين غطفان، ليحـول بينهم وبين أن يمـدوا أهـل خيـبر، وكانوا لهم مظاهرين علىٰ رسـول اللـه OaP. ولمـا سمعت غطفان بمنزل رسول الله OaP من خيـبر

---

1) ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ج2 ص573 ـ 574.

2) ـ سبل الهدي والرشاد ج5 ص115.

3) ـ سيرة النبى لابن هشام ج3 ص791.

جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتىٰ إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا علىٰ أعقابهم، فأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله OaP وبين خيبر[1]. وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأي أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم، قال ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بغنمه حتىٰ عمد لرسول الله OaP فقال إلىٰ ما تدعو؟ قال: أدعوك إلىٰ الاسلام، إلىٰ أن تشهد أن لا إله إلا الله؛ وأني رسول الله OaP وأن لا تعبدوا إلا الله. قال: فقال العبد: فماذا يكون لي إن شهدت بذلك وآمنت بالله. قال رسول الله OaP: الجنة إن مت علىٰ ذلك. فأسلم العبد فقال: يانبي الله إن هذه الغنم عندي أمانة. فقال رسول الله OaP أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا فإن الله سيؤدي عنك أمانتك. ففعل فرجعت الغنم إلىٰ سيدها فعرف اليهودي أن غلامه أسلم[2].

كان الرسول OaP]في ألف وأربعمائة راجل

---

[1]) ـ سيرة النبي لابن هشام ج3 ص793.

[2]) ـ البداية والنهاية ج4 ص217.

ومائتي فارس][1] [وبخيبر أربعة عشر ألف يهـودي في حصـــونهم][2] وفيمـــايلي تفاصــيل المعركـــة استخلصـــناها من كتـــاب ســـبل الهـــدي والرشــاد للشامي قال: [وفرق رسول الله ـ OaP ـ الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، وإنما كـانت الالوية؛ وكانت راية رسول الله OaP سوداء تدعىٰ العقاب، ولواؤه أبيض، دفعه إلىٰ علي بن أبي طالب0ودفـع رايـة إلىٰ الحبـاب بن المنـذر، ورايـة إلىٰ سـعد بن عبادة، وأذن رسـول اللـه OaP في القتـال، وحثهم علىٰ الصـبر، وأول حصـن حاصـره حصـن نـاعم، وقاتل OaP يومـه ذلـك أشـد القتـال، وقاتلـه أهـل النطاة أشـد القتـال، وتـرس جماعـة من أصـحاب رسول الله OaP يومئذ، وعليه OaP درعـان وبيضـة ومغفر، وهو علىٰ فرس يقال له الظرب، وفي يده قنـاة وتـرس. فقـال الحبـاب: يـا رسـول اللـه لـو تحولت؟ فقال: " إذا أمسينا ـ إن شاء الله ـ تحولنا ". وجعلت نبـل يهـود تخالـط العسـكر وتجـاوزه، والمســلمون يلتقطـــون نبلهم ثم يردونهـــا عليهم. فلمـا أمسـي رسـول اللـه OaP تحـول إلىٰ الرجيـع وأمر الناس فتحولوا، فكان رسول اللـه OaP يغـدو بالمسـلمين علىٰ رايـاتهم حـتىٰ فتح اللـه الحصـن

[1]) ـ تاريخ ابن خلدون ق 2ج2 ص38.
[2]) ـ إعلام الوري بأعلام الهدي ج1 ص207.

عليهم.

ثم توجه OaP إلىٰ حصن الصـعب بن معـاذ بن النطاة، ولم يكن بخيبر حصـن أكـثر طعامـا وودكـا وماشية ومتاعا منه، وكـان فيـه خمسـمائة مقاتل، وكان الناس قد أقاموا أيامـا يقـاتلون ليس عنـدهم طعام إلا العلق. فحاصروا حصن الصـعب بن معـاذ ثلاثـة أيـام، وكـان حصـنا منيعا، ودفـع اللـواء إلىٰ الحباب بن المنـذر0 ونـدب النـاس، فنهضـوا، فمـا غابت الشمس من ذلك اليوم حتىٰ فتحـوا الحصن، وكان عليه قتال شديد. وانفرجـوا ودخلـوا الحصن. فوجدوا في حصن الصعب من الطعام مالم يكونوا يظنـون أنـه هنـاك من الشـعير والتمـر والسـمن والعسل والزيت والودك. ونادىٰ منادي رسول الله OaP: كلوا واعلفوا ولاتحملوا، ثم تحـولت يهـود من حصـن نـاعم وحصـن الصـعب بن معـاذ إلىٰ قلـة الزبير فحاصرهم رسول الله OaP وهـو حصـن في رأس قلة، فاقام محاصرهم ثلاثة أيام، فجاء يهودي يُدعي غزال فقال: يا أبـا القاسـم تؤمنـني علىٰ أن أدلك علىٰ ما تستريح بـه من أهـل النطـاة وتخـرج إلىٰ أهل الشق، فان أهـل الشـق قـد هلكـوا رعبـاً منك؟ فامنـه رسـول اللـه OaP علىٰ أهلـه وماله، فقال اليهودي: إنك لو أقمت شـهرا مـا بـالوا، لهم

دبول تحت الارض يخرجون بالليل فيشـربون منها، ثم يرجعـــون إلىٰ قلعتهم فيمتنعـــون منك، فـــان قطعت عنهم شـربهم أصـحروا لك، فسـار رسـول اللـه OaP إلىٰ دبـولهم فقطعها، فلمـا قطـع عليهم مشـاربهم خرجـوا وقـاتلوا أشـد قتـال. وقتـل من المسلمين يومئذ نفر، وأصيب من اليهود في ذلــك اليوم عشرة، وافتتحه رسول اللـه OaP وكـان هـذا آخر حصون النطاة. فلما فرغ رسول الله OaP من النطاة تحول إلىٰ الشق. وبـه حصـون ذوات عـدد، فكان أول حصن بدأ بـه حصـن أبي، فقـام رسـول الله OaP علىٰ قلعة يقال لها سموان فقاتـل عليهـا أهل الحصن، قتـالا شـديداً، فكـبر المسـلمون، ثم تحاملوا علىٰ الحصن فدخلوه، يقـدمهم أبـو دجانة، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً، وهـرب من كان فيه من المقاتلة، وتقحموا الجدر كأنهم الظباء حتىٰ صاروا إلىٰ حصن النزال بالشق، وجعـل يـاتي من بقي من فــل النطـــاة إلىٰ حصـــن الـــنزال، فغلقوه، وامتنعوا فيه أشد الامتناع، وزحف رسـول الله OaP إليهم في أصحابه، فقاتلهم، فكـانوا أشـد أهـل الشـق رميـا للمسـلمين بالنبـل والحجـارة، ورسول الله OaP معهم حـتىٰ أصـابت النبـل ثيـاب رسول الله OaP وعلقت به، فأخذ رسول اللـه OaP

النبل فجمعها، ثم أخذ لهم كفا من حصي فحصـب بـه حصـنهم، فرجـف الحصـن بهم، ثم سـاخ في الارض، حتىٰ جاء المسلمون فاخذوا أهله أخذا.

ولمـا فتح رسـول اللـه OaP حصـون النطـاء، والشق، انهزم من سلم منهم إلىٰ حصـون الكتيبة، وأعظم حصـونها القمـوص، وكـان حصـناً منيعـاً فحاصـره النـبي قريبـاً من عشـرين ليلة، وكـانت أرضا وخمة. وروي الشـيخان عن سـهل بن سـعد، والبخـاري وابن أبي أسـامة، وأبـو نعيم عن سـلمة بن الاكوع، وأبـو نعيم، والـبيهقي عن عبـد اللـه بن بريدة عن أبيه. وأبو نعيم عن ابن عمر، وسـعد بن أبي وقـاص، وأبي سـعيد الخـدري، وعمـران بن حصـين، وجـابر بن عبـد الله، وأبـو ليلى، ومسـلم، والبيهقي عن أبي هريرة، والامام أحمـد وأبـو يعلي والبيهقي عن علي0 قال بريدة: كـان رسـول اللـه OaP تأخـذه الشـقيقة فيمكث اليـوم واليـومين لا يخرج، فلما نزل خيـبر أخذتـه الشـقيقة فلم يخـرج إلىٰ الناس، فارسل أبا بكر0 فاخذ راية رسول الله OaP ثم نهض فقاتـل قتـالاً شـديداً، ثم رجع، ولم يكن فتح. وقـد جهد، ثم أرسـل عمر0 فاخـذ رايـة رسول الله OaP فقاتـل قتـالاً شـديداً هـو أشـد من القتـال الاول، ثم رجع، ولم يكن فتح. وفي حـديث

عن علي عند البيهقي: أن الغلبة كـانت لليهـود في اليــومين. إنتهىٰ. فــاخبر رســول اللــه OaP بــذلك فقال: " لأُعطين الرايــة غــداً رجُلاً يفتح اللــه عليه، ليس بفرار، يحب الله ورسوله، يأخذها عنـوة وفي لفظ" يفتح الله علىٰ يديه" قال بريدة: فبتنا طيبــة أنفسنا أن يفتح غدا، وبـات النـاس يـدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غـدوا علىٰ رسـول الله OaP كلهم يرجـوا أن يعطاها، قـال أبـو هريـرة قال عمر: فما أحببت الامارة قط حتىٰ كان يومئذ. قال بريدة: فما منا رجل لـه من رسـول اللـه OaP منزلة إلا وهو يرجـوا أن يكـون ذلـك الرجل، حـتىٰ تطـاولت أنالها، ورفعت راسـي لمنزلـة كـانت لي منه، وليس منة.

وفي حديث سلمة، وجـابر: وكـان علي تخلـف عن رسول الله OaP لرمد شـديد كـان بـه لا يبصر، فلما سار رسول الله OaP قال: لا، أنا أتخلـف عن رسول الله OaP! فخـرج فلحـق برسـول اللـه OaP قال بريدة: وجاء علي0 حتىٰ أناخ قريباً، وهـو رمد، قد عصب عيينة بشق برد قطري، قال بريدة: فمـا أصبح رسول الله OaP صلىٰ الغداة، ثم دعا باللواء، وقام قائماً. فوعظ النـاس، ثم قـال: "أين علي"؟ قـالوا: يشـتكي عينيه، قـال: "فأرسـلوا إليه" قـال

سـلمة: فجئت بـه أقـودة، قـالوا كلهم: فـأتىٰ بـه رسـول اللـه OaP فقـال لـه رسـول اللـه OaP "مالك؟" قال: رمـدت حـتىٰ لا أبصـر مـا قـدامي. قال: "ادن مني" ثم بزق في اليـة يـده فـدلك بهـا عينيه، فبرأ كان لم يكن به وجع قط، فمـا وجعهمـا علي حتىٰ مضىٰ لسـبيله، ودعالـه وأعطـاه الراية، فقال على: يارسول الله أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا. فقال: " انفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بسـاحتهم. ثم ادعهم إلىٰ الاسلام، وأخـبرهم بمـا يجب عليهم من حق الله تعالىٰ ـ وحق رسوله ـ فو اللـه لإن يهـدي الله بك رجُلاً واحداً خير لك من أن يكون لـك حُمـر النِعم فخـرج بهـا واللـه يـايح يهـرول هرولة. حـتىٰ ركزهـا تحت الحصـن فـاطلع يهـودي من راس الحصن فقال: من أنت؟ قال علي، فقال اليهـودي غلبتهم والذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ، فما رجـع حتىٰ فتح الله تعالىٰ علىٰ يديه. قال أبـو نعيم: فيـه دلالة علىٰ أن فتح علي لحصـنهم مقـدم في كتبهم بتوجيـه من اللـه وجهـه إليهم، وأول من خـرج من حصون خيبر ـ مبـارزا ـ الحـارث أخـو مـرحب في عاديتـه فقتلـه علي0 ورجـع أصـحاب الحـارث إلىٰ الحصن، وبـرز عـامر، وكـان رجُلاً جسـيماً طـويلاً، فقال رسول الله OaP حين برز وطلع عامر: أترونه

خمسة أذرع؟ وهـو يـدعو إلىٰ الـبراز، فخـرج إليـه علي بن أبي طالب0 فضربه ضـربات، كـل ذلـك لا يصنع شيئاً، حـتىٰ ضـرب سـاقيه فـبرك، ثم ذفـف عليه، وأخــذ ســلاحه. ثم بــرز ياســر وكــان من أشـدائهم، وكـان معـه حربـة يحـوس النـاس بهـا حوسا، فـبرز لـه علي بن أبي طـالب، فقـال لـه الزبـير بن العـوام: أقسـمت ألا خليت بيـني وبينه، ففعل، فقـالت صـفية (g) لمـا خـرج إليـه الزبـير: يارسول الله يقتل ابني؟ فقال رسول اللـه OaP "
بل ابنك يقتله ـ إن شاء اللـه " فخـرج إليـه فقتلـه الزبير، قال ابن إسـحاق: وذكـر أن علياً هـو الـذي قتل ياسراً. وخـرج مـرحب وعليـه مغفـر معصـفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة علىٰ راسه، وهـو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكـــي السلاح بطل مجرب
إذا الليوث أقبلـــت تلهب وأحجمت عن صولة المغلب

فبرز له علي بن أبي طالب0 وعليـه جبـة أرجـوان حمراء قد أخرج خملها، وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

فضرب مرحباً ففلق راسه، وكـان الفتح. قـال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن حسن عن بعض أهله، عن أبي رافع مولىٰ رسول اللـه OaP قـال: خرجنـا مع علي بن أبي طالب0 حين بعثه رسول الله OaP برايته، فلمـا دنـا من الحصـن خـرج إليـه أهلـه فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطرح ترسـه من يده فتناول علي باباً كـان عنـد الحصـن فـترس بـه عن نفسه فلم يزل في يده وهـو يقاتل، حـتىٰ فتح الله ـ تعالىٰ ـــ عليه، ثم ألقـاه من يـده حين فـرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنـا ثـامنهم، نجهـد علىٰ أن نقلب ذلك الباب، فلم نقلبه. وروىٰ البيهقي من طـــريقين عن المطلب بن زيـــاد، عن ليث بن أبي سـليم، عن أبي جعفـر محمـد بن علي0 عن آبائه، قال: حدثني جابر بن عبـد اللـه رضـي اللـه عنهما: أن علياً 0 حمل الباب يوم خيـبر، حـتىٰ صـعد عليـه المسـلمون فافتتحوها، وأنـه جـرب بعـد ذلـك فلم يحمله أربعون رجلا][1]. فلما فرغ رسول اللــه OaP من خيبر انصرف إلىٰ وادي القـرىٰ، فحاصـر أهلـه ليالي، ثم انصـرف راجعـا إلىٰ المدينة[2]. قـال ابن

[1]) ـ سبل الهدي والرشاد ج5 ص120 ـ 129.

[2]) ـ سيرة النبي لابن هشام ج3 ص801.

اسحاق: لما فرغ رسول الله OaP من خيبر قـذف الله الرعب في قلوب أهل فـدك ــ حين بلغهم مـا أوقع الله بأهل خيبر ـ فبعثوا إلىٰ رسـول اللـه OaP يصـالحونه علىٰ النصـف من فـدك، فقـدمت عليـه رسلهم بخيبر، أو بالطائف، أو بعد ما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكـانت فـدك لرسـول اللـه OaP خالصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[1].

[1]) ـ سيرة النبي لابن هشام ج3 ص813.

6 ـ فتح مكة:

وكـانت سـنة ثمـان للهجـرة، وسـببها نقض قريش للعهد الذي أبرم بينهم وبين النـبي OaP في الحديبية، بقتلهم عـددا من خزاعـة الـداخلين في عقـد رسـول اللـه OaP. وفيمـايلي بعض تفصـيلات الوقعـة انقلهـا من تـاريخ ابن خلـدون وغـيره من المؤرخين وأهل السير: [كان رسول الله OaP حين عقد الصلح بينـه وبين قـريش في الحديبيـة أدخـل خزاعة في عقده، المؤمن منهم والكـافر. وأدخلت قريش بَني بكر بن عبد مناة بن كنانـة في عقـدها، وكانت بينهم تراث في الجاهلية وذحـول كـان فيهـا الاول للاسـود بن رزن من بَـني الـدئل بن بكـر بن عبـد منـاة وثـارهم عنـد خزاعـة لمـا قتلت حليفهم مالك بن عباد الحضرمي وكانوا قد عدوا علىٰ رجل من خزاعــة فقتلــوه في مالــك بن عبــاد حليفهم. وعـدت خزاعـة علىٰ سـلمىٰ وكلثـوم وذؤيب بـني الاسود بن رزن فقتلـوهم وهم اشـراف بَـني كنانـة وجاء الاسلام فاشتغل الناس بـه ونسـوا إمـر هـذه الدماء فلما انعقـد هـذا الصـلح من الحديبيـة وأمن الناس بعضهم بعضا فاغتنم بنو الدئل هذه الفرصـة في ادراك الثار من خزاعة بقتلهم بَـني الاسـود بن رزن وخرج نوفل بن معاوية الـدؤلي فيمن أطاعـه

من بَني بكر بن عبد مناة وليس كلهم تابعه وخــرج معه بعضهم وخرجوا منهم وانحجزوا في دور مكــة ودخلوا دار بديل بن ورقاء الخُزاعي ورجع بنو بكــر وقد انتقض العهد. ركب بديل بن ورقاء وعمـرو بن ســالم في وفــد من قــومهم إلىٰ الرســول OaP مستغيثين مما أصابهم به بنـو الـدئل بن عبـد منـاة وقريش فأجـاب OaP صـريخهم وأخـبرهم بـأن أبـا سفيان يأتي يشد العقد ويزيد في المدة وانه يرجع بغير حاجة وكان ذلك سببا للفتح.

وندم قريش علىٰ ما فعلوا فخرج أبــو سـفيان إلىٰ المدينـة ليؤكـد العقـد ويزيـد في المـدة ولقي بديل بن ورقاء بعسفان فكتمه الخبر وورىٰ لـه عن وجهه وأتىٰ أبو سفيان المدينة فدخل علىٰ ابنتـه أم حبيبة فطـوت دونـه فـراش النـبي OaP وقـالت لا يجلس عليه مشرك فقال لها قد أصابك بعدي شـرٌ يا بنية ثم أتىٰ المسـجد وكلم النـبي OaP فلم يجبـه فذهب إلىٰ أبي بكر وكلمه أن يتكلم في ذلك فأبىٰ فلقي عمر فقال والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به فدخل علىٰ علي بن أبي طالب وعنـده فاطمـة وابنه الحسن صبياً فكلمه فيما أتىٰ له فقــال علي: ما نسـتطيع أن نكلمـه في أمـر عـزم عليه. فقـال لفاطمة يا بنت محمد أما تـأمري أبنـك هـذا ليجـير

بين الناس فقـالت لا يجـير أحـد علىٰ رسـول اللـه فقال له علي يا أبا سفيان أنت سيد بَني كنانة فقم وأجرِ وارجع إلىٰ أرضك فقال ترىٰ ذلك مغنياً عــني شيئاً قال ما أظنه ولكن لا اجد لك سواه فقـام أبـو سفيان في المسجد فنـادي ألا اني قـد أجـرت بين الناس ثم ذهب إلىٰ مكة وأخـبر قريشـا فقـالوا مـا جئت بشـئ ومـا زاد ابن أبي طـالب علىٰ ان لعب بك.

ثم أعلم رسول اللـه OaP انـه سـائر إلىٰ مكـة وأمـر النـاس بـأن يتجهـزوا ودعـا اللـه ان يطمس الاخبــار عن قــريش وكتب إليهم حــاطب بن أبي بلتعة بالخبر مـع ظعينـة قاصـدة إلىٰ مكـة فـأوحىٰ اللـه إليـه بـذلك فبعث علياً والزبـير والمقـداد إلىٰ الظعينة فأدركوها بروضة خاخ وفتشـوا رحلهـا فلم يجدوا شيئاً وقالوا رسـول اللـه أصـدق فقـال علي لتخـرجن الكتـاب أو لتلقين الحـوائج فأخرجتـه من بين قرون رأسها فلما قرئ علىٰ النبي OaP قال ما هذا يا حاطب فقال يا رسول الله والله ما شـككت في الاسـلام ولكـني ملصـق في قـريس فـأردت عندهم يدا يحفظوني بها في مخلـف أهلي وولـدي فقال عمر يا رسول الله دعـني أضـرب عنـق هـذا المنافق فقال وما يدريك يـا عمـر لعـل اللـه اطلـع

علىٰ أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فاني قد غفرت لكم. وخرج OaP لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة في عشرة آلاف فيهم من سليم ألف رجل وقيل سبعمائة ومن مزينة ألف ومن غفار أربعمائة ومن أسلم أربعمائة وطوائف من قريش واسد وتميم وغيرهم من سائر القبائل جموع وكتائب الله من المهاجرين والانصار واستخلف أبارهم الغفاري علىٰ المدينة ولقيه العباس بذي الحليفة وقيل بالجحفة مهاجرا فبعث رحله إلىٰ المدينة وانصرف معه غازيا ولقيه بنيق العقاب أبوسفيان بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية مهاجرين واستأذنا فلم يؤذن لهما وكلمته أم سلمة فأذن لهما وأسلما فسار حتىٰ نزل مر الظهران وقد طوىٰ الله أخباره عن قريش الا انهم يتوجسون الخيفة وخشي العباس تلاف قريش ان فاجأهم الجيش قبل ان يستأمنوا فركب بغلة النبي OaP وذهب يتحسس وقد خرج أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم ابن حزام يتحسسون الخبر وبينما العباس قد اتىٰ الاراك ليلقىٰ من السابلة من ينذر أهل مكة اذ سمع صوت أبي سفيان وبديل وقد أبصرا نيران العساكر فيقول بديل نيران بَني خزاعة فيقول أبوسفيان خزاعة اذل من أن تكون

هذه نيرانها وعسكرها فقـال العبـاس هـذا رسـول الله OaP بالناس والله ان ظفر بك ليقتلنك واصباح قـريش فارتـدف خلفي ونهض بـه إلىٰ المعسـكر ومر بعمر فخرج يشتد إلىٰ رسول اللـه OaP يقـول الحمـد للـه الـذي أمكن منـك بغـير عقـد ولا عهـد فسبقه العباس علىٰ البغلة ودخل علىٰ أثره فقـال يارسول الله هـذا عـدو اللـه أبوسـفيان أمكن اللـه منه بلا عهد فدعني أضرب عنقه فقال العباس قـد اجرته فزأره عمر فقال العبـاس لـو كـان من بَـني عدي ما قلت هذا ولكنه من عبد مناف فقال عمـر والله لإسلامك كان أحب إلىٰ من اسـلام الخطـاب لإني أعرِف انه عند رسول الله OaP كذلك.

فأمر رسول الله OaP العباس يحمله إلىٰ رحله ويأتيه به صباحاً فلما اتىٰ بـه قـال لـه OaP ألم يـأن لك أن تعلم ان لا اله الا الله فقال بـأبي انت وأمي ما احلمك واكرمك واوصـلك واللـه لقـد علمت لـو كان معه اله غيره أغنىٰ عنـا فقـال ويحـك ألم يـأن لك ان تعلم اني رسول اللـه قـال بـأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك امـا هـذه ففي النفس منها شئ فقال لـه العبـاس ويحـك أسـلم قبـل أن يضرب عنقك فأسلم فقال العباس يا رسـول اللـه ان أبا سفيان رجـل يحب الفخـر فاجعـل لـه شـيئاً

قال نعم من دخـل دار أبي سـفيان فهـو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخـل المسـجد فهـو آمن ثم أمـر العبـاس أن يوقِـف أبـا سـفيان بخطم الوادي ليرىٰ جنود الله ففعل ذلك.

ومـرت بـه القبائـل قبيلـة قبيلة؛ إلىٰ ان جـاء مركب رسـول الله OaP في المهـاجرين والانصـار عليهم الـدروع الـبيض فقـال: من هـؤلاء فقـال العباس هذا رسـول اللـه في المهـاجرين والانصـار فقال لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال: يا أبـا سفيان انها النبوة، فقال: هي إذا فقال له العباس: النجاء إلىٰ قومك فـأتىٰ مكـة وأخـبرهم بمـا أحـاط بهم وبقول النبي OaP من أتىٰ المسـجد أو دار أبي سفيان أو اغلـق بابـه ورتب الجيش واعطىٰ سـعد بن عبادة الراية فذهب يقول: اليوم يـوم الملحمـة اليوم تستحل الحرمة. وبلغ ذلـك النـبي OaP فـأمر علياً ان يأخذ الرايـة منـه ويقـال أمـر الزبـير وكـان علىٰ الميمنـة خالـد بن الوليـد وفيهـا اسـلم وغفـار ومزينــة وجهينــة وعلىٰ الميســرة الزبــير وعلىٰ المقدمة أبو عبيدة بن الجراح وسرب رسـول اللـه OaP الجيوش من ذي طوىٰ وامـرهم بالـدخول إلىٰ مكـة الزبـير من اعلاهـا وخالـد من أسـفلها وان يقاتلوا من تعرض لهم وكان عكرمـة بن أبي جهـل

وصـفوان بن امـيـة وسـهيل بن عمـرو قـد جمعـوا للقتال فناوشتهم أصـحاب خالـد القتـال واستشـهد من المسـلمين كـرز بن جـابر من بَـني محـارب وخـنيس بن خالـد من خزاعـة وسـلمة بن جهينـة وانهزم المشـركون وقتـل منهم ثلاثـة عشـر وأمن النبي OaP سـائر النـاس. وكـان الفتح لعشـر بقين من رمضـان واهـدر دم جماعـة من المشـركين سماهم يومئذ منهم عبد العزىٰ بن خطـل من بَـني تيم الادرم ابن غالب كان قـد اسـلم وبعثـه رسـول الله OaP مصدقاً ومعه رجل من المشـركين فقتلـه وارتد ولحق بمكة وتعلق يوم الفتح باسـتار الكعبـة فقتلـه سـعد بن حـريث المخـزومي وابـو بـرزة الاسلمي، ومنهم عبد اللـه بن سـعد بن أبي سـرح كان يكتب للنبي OaP ثم ارتـد ولحـق بمكـة ونميت عنه اقوال فاختفىٰ يـوم الفتح وأتىٰ بـه عثمـان بن عفان وهو اخوه من الرضاعة فاستأمن له فسكت OgP ساعة ثم امنـه فلمـا خـرج قـال لأصـحابه هلا ضربتم عنقه فقال له بعض الانصار هلا أوْمَـأت إليّ فقال ماكان لنبي ان تكون له خائنة الأعين، ومنهم الحويرث بن نفيل من بني عبـد قصـي كـان يـؤذي رسول اللـه OaP بمكـة فقتلـه علي بن أبي طـالب يوم الفتح، ومنهم مقيس بن صبابة كان هـاجر في

غزوة الخندق ثم عدا علىٰ رجـل من الانصـار كـان قتل أخـاه قبـل ذلـك غلطا ووداه فقتلـه وفـر إلىٰ مكـة مرتـداً فقتلـه يـوم الفتح نميلـة بن عبـد اللـه الليثي وهو ابن عمه، ومنهم قينتـا ابن خطـل كانتـا تغنيان بهجو النبي OaP فقتلت احـداهما واسـتؤمن للأخـرىٰ فأمنها، ومنهم مـولاة لبَـني عبـد المطلب اسمها سارة واستؤمن لها فأمنها رسول اللــه OaP واستجار رجلان من بَني مخزوم بأم هانئ بنت أبي طالب يقال انهما الحرث بن هشام وزهــير بن أبي أمية اخو أم سلمة فأمنتهمـا وامضـىٰ رسـول اللـه OaP امانهــا فأســلما ثم دخــل رســول اللــه OaP المسجد وطاف بالكعبة وأخـذ المفتـاح من عثمـان بن طلحة بعد ان مانعت دونه ام عثمان ثم اسلمته فدخل الكعبة ومعه اسـامة بن زيـد وبلال وعثمـان بن طلحـة وابقىٰ لـه حجابـة الـبيت فهي في ولـد شيبة إلىٰ اليوم وامر بكسـر الصـور داخـل الكعبـة وخارجهـا وبكسـر الاصـنام][1]. وكـان في الـبيت وحوله ثلاثمائة وسـتون صـنما، فـأمر رسـول اللـه OaP فألقيت كلها لوجهها[2].

وروىٰ أحمد بن حنبـل وأبـو بكـر الخطيب في

---

[1]) ـ تاريخ ابن خلدون ق 2 ج 2 ص 41 ـ 44.

[2]) ـ نهج الايمان ص 607.

كتابيهمـا بالاسـناد عن نعيم ابن الحكيم المـدائني قـال: حـدثني أبـو مـريم عن علي بن أبي طـالب قـال: إنطلـق بي رسـول اللـه OaP إلىٰ الاصـنام فقال: اجلس. فجلست إلىٰ جنب الكعبة، ثم صعد رسـول اللـه علىٰ منكـبي وقـال لي: انهض إلىٰ الصـنم فنهضت، فلمـا رأي ضـعفي قـال: اجلس، فجلست وأنزلته عني، فجلس لي رسول الله OaP ثم قال لي: اصعد، فصـعدت علىٰ منكبـه ثم نهض رسول الله، فلما نهض خيل لي أني لو شئت لنلت السماء، وصعدت علىٰ الكعبة وتنحي رسـول الله، فـألقيت صـنمهم الاكـبر صـنم قـريش، وكـان من نحاس مؤتداً بأوتـاد من حديـد إلىٰ الارض[1]. وفتح OaP الباب بيده وستره ثم دخل البيت فصـلىٰ فيـه ركعتين ثم خرج فأخذ بعضادتي الباب، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده ونصر عبـده وغلب الاحـزاب وحـده، فللـه الحمـد والملـك لا شريك له، ثم قـال: مـا تظنـون ومـا أنتم قـائلون؟ قال سهيل: نظن خيرا ونقول خيرا، أخ كـريم وابن عم كريم وقد ظفرت. قال: فـإني أقـول لكم كمـا قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليـوم، ثم قـال: ألا كل دم ومال ومأثرة في الجاهلية فإنه موضـوع

[1]) ـ نهج الايمان ص608.

تحت قدميَّ هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلىٰ أهليهما، ألا وإن مكة محرمة بحرمة الله لم تحل لأحد من قبلي ولا تحل لأحد من بعدي وإنما حلت لي ساعة ثم أغلقت، فهي محرمة إلىٰ يوم القيامة لا يختلي خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد[1].

ثم قال OaP: ألا بئس القوم كنتم لقد كذبتم وطردتم واخرجتم وظلمتم ثم ما رضيتم حتىٰ جئتموني في بلادي تقاتلوني فاذهبوا فأنتم الطلقاء، فدخلوا في الاسلام، واذن بلال علىٰ الكعبة فكره عكرمة فقال خالد بن اسيد: الحمد لله الذي اكرم أبا عتاب هذا اليوم، وقال الحرث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا، فقال أبو سفيان اني لا أقول شيئاً فو الله لو نطقت لظننت ان هذه الجدر تخبر محمداً، فبعث النبي وأخبرهم بما قالوا فاستغفروا الله وتابوا. وقيل كان هناك ثلاثمائة وستين صنما بعضها مشدود ببعض بالرصاص فأنفذ أبو سفيان من ليلته منها إلىٰ الحبشة، ومنها إلىٰ الهند فهيؤا لها دارا من مغناطيس فتعلقت إلىٰ أيام محمود

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج2 ص60.

سبكتكين فلما غزاها أخذها فكسرها[1].

7 ـ غزوة حنين:

وحـنين واد إلىٰ جـانب ذي المجـاز بينـه وبين مكة ثلاث ليال[2]. أقام الرسول OaP بمكـة خمس عشـرة ليلة، فبلغـه ان هـوازن وثقيـف جمعـوا لـه وهم عامدون إلىٰ مكة وقد نزلوا حنيناً وكـانوا حين سمعوا بمخرج الرسول OaP بالمدينـة يظنـون انـه انما يريدهم فاجتمعت هوازن إلىٰ مالك ابن عـوف من بَني نضير وقد أوعب معه بَني نصر بن معاويـة بن بكـر بن هـوازن وبَـني جشـم بن معاويـة وبَـني سـعد بن بكـر وناسـا من بَـني هلال بن عـامر بن صعصعة بن معاوية والاحلاف وبَني مالك بن ثقيـف بن بكر[3] ومعهم أيضـاً دريـد بن الصـمة من بـني جشم شيخ كبير يتـبركون برأيه، وسـاق مالـك مـع هوازن أموالهم وحرمهم.

وخرج إليهم رسول الله OaP في جيش عظيم عدتهم اثنا عشر ألفا: عشـرة آلاف أصحابه الـذين فتح بهم مكـة وألفـان من أهـل مكـة ممن أسـلم طوعا وكرها، وأخذ من صفوان بن أمية مائة درع

---

1) ـ الانوار العلوية ص203.

2) ـ التنبيه والاشراف ص234.

3) ـ تاريخ ابن خلدون ق 2 ج2 ص45.

وقال عارية مضمونة، فأعجبت المسلمين كثرتهم، وقال بعضهم: ما نؤتىٰ من قلة، فكره رسول اللـه ذلـك من قـولهم. كـانت هـوازن قـد كمنت في الـوادي، فخرجـوا علىٰ المسـلمين. وكـان يومـا عظيم الخطب وانهزم المسلمون عن رسول اللـه حتىٰ بقيَّ في عشرة من بني هاشـم وقيـل تسـعة وهم: علي بن ابي طـالب والعبـاس بن عبـد المطلب وأبـو سـفيان بن الحـارث ونوفـل بن الحارث وربيعة بن الحارث وعتبـة ومعتب ابنـا أبي لهب والفضـل بن العبـاس وعبداللـه بن الزبـير بن عبد المطلب وقيـل أيمن بن أم أيمن. قـال اللـه (U): Pوَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَـيْئاً وَضَـاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَـا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنـزَلَ اللَّهُ سَـكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُـولِهِ وَعَلَىٰ الْمُـؤْمِنِينَ وَأَنـزَلَ جُنُـوداً لَّمْ تَرَوْهَـا O وأبـدىٰ بعض قـريش مـا كـان في نفسه. فقـال أبوسـفيان: لا تنتهي والله، هـزيمتهم دون البحر، وقـال كلـدة بن حنبل: اليوم بطل السحر، وقال شـيبة بن عثمـان: اليوم أقتل محمدا، فأراد رسول اللـه ليقتلـه فأخـذ النبي الحربة منـه فأشـعرها فـؤاده. فقـال رسـول الله للعباس: صح يـا للانصـار، وصـح يـا أهـل بيعـة الرضوان، صح يا أصحاب سورة البقرة، يا أصحاب

السـمرة. ثم أنفض النـاس وفتح اللـه علىٰ نبيـه وأيـده بجنـود من الملائكة، ومضىٰ علي بن أبي طـالب إلىٰ صـاحب رايـة هـوازن فقتله، وكـانت الهزيمة، وقتل من هوازن خلق عظيم، وقتل دريـد بن الصـمة قتلـه رجـل من بـني سـليم. وصـارت السـبايا والامـوال في أيـدي المسـلمين. وبلغت هزيمـة المشـركين الطـائف ومعهم مالـك بن عوف[1].

وافترق المشركون فرقتين، فأخذت الاعـراب ومن تبعهم أوطـاس، وأخـذت ثقيـف ومن تبعهم الطائف، وبعث رسول الله OaP أبا عامر الاشـعري إلىٰ أوطاس فقاتـل حـتىٰ قتل، فأخـذ أبـو موسـىٰ الاشعري، وهو ابن عمه فقاتل بها حـتىٰ فتح عليه. سار الرسول OaP إلىٰ الطائف فحاصرهم، وخـرج نافع بن غيلان بن معتب في خيل من ثقيف، فلقيه علي OgP في خيله، فالتقوا ببطن وج، فقتلـه علي وانهزم المشركون، ونزل من حصـن الطـائف إلىٰ رسـول اللـه OaP جماعـة من أرقـائهم، منهم أبـو بكـرة وكـان عبـدا للحـارث بن كلـدة المنبعث، ووردان وكان عبداً لعبدالله بن ربيعة، وأنفذ رسول اللـه OaP علياً OgP في خيـل عنـد محاصـرته أهـل

---

[1]) ـ تاريخ اليعقوبي ج2 ص62.

الطائف وأمره أن يكسر كـل صـنم وجـده، فخـرج فلقيـه جمـع كثـير من خثعم، فـبرز لـه رجـل من القوم وقال: هل من مبارز، فلم يقـوم أحد، فقـام إليـه علي OgP، فـوثب أبـو العـاص بن الربيـع زوج بنت النبي OaP فقال: تكفاه أيها الامـير، فقـال: لا، ولكن إن قتلت فأنت علىٰ الناس، فـبرز إليـه علي OgPوهو يقول: علىٰ كـل رئيس أن يـروي الصـعدة أو تدقا ــ والصـعدة القنـاة المسـتوية ــ ثم ضـربه فقتله ومضىٰ حـتىٰ كسـر الاصـنام، وانصـرف إلىٰ رسول الله OaP، وهو بعـد محاصـر لأهـل الطـائف ينتظره.

وعن محمـد بن اسـحاق قـال: حاصـر رسـول الله OaP أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريبا من ذلك، ثم انصرف عنهم ولم يؤذن فيهم، فجاءه وفده في شهر رمضان فأسـلموا، ثم رجـع رسـول اللـه OaP إلىٰ الجعرانة[1] حيث تـــرك الغنـــائم والأســـرىٰ. وجاءت الشيماء بنت حليمة أخت رسـول اللـه من الرضاعة إلىٰ رسول الله فحباهـا وأكرمهـا وبسـط لهـا رداءه، وكلمتـه في السـبايا وقـالت: إنمـا هن خالاتك وأخواتك. فقال: ما كـان لي ولبـني هاشـم فقـد وهبتـه لك. فـوهب المسـلمون ماكـان في أيـديهم من السـبايا. وكلمتـه في مالـك بن عـوف

[1]) ـ إعلام الوري بأعلام الهدي ج1 ص233 ـ 236.

النصـري رئيس جيش هـوازن، وآمنه، فجـاء مالـك فأسلم[1].

8 ـ غزوة تبوك:

أقام رسـول اللـه OaP بالمدينـة منصـرفه من الطائف مـا بين ذي الحجـة إلىٰ رجب[2] فبلغـه أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشـام وأن هرقـل قد رزق أصـحابه لسـنة وأجلبت معـه لخم وجـذام وعاملة وغسان وقـدموا مقـدماتهم إلىٰ البلقـاء[3]. وقيل: ان نصارىٰ العرب كتبت إلىٰ هرقل: إن هـذا الرجل الذي قد خرج يدّعي النبوة هلـك وأصـابتهم سـنون فهلكت أمـوالهم فـان كنت تريـد أن تلحـق دينك فالان، فبعث رجُلاً من عظمـائهم وجهـز معـه أربعين ألفاً فبلغ ذلك الرسول OaP فأمر بالجهاد[4]. فـأمر النـاس بـالتهيؤ لغـزو الـروم وذلـك في زمن عسـرة من النـاس وشـدة من الحـر وجـدب من البلاد وكان رسول الله OaP قلَّ ما يخرج في غزوة إلا كنىٰ عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يصـمد لـه إلا مـا كـان من غـزوة تبـوك فانـه بينهـا للنـاس لبعـد

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج2 ص62 ـ 63.

2) ـ تاريخ الطبري ج2 ص366.

3) ـ عيون الاثر ج2 ص253.

4) ـ سبل الهدي والرشاد ج5 ص433.

الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصـمد لـه ليتـأهب النـاس لـذلك أهبتـه وأمـر النـاس بالجهـاز وأخبرهم أنه يريد الروم فتجهز الناس علىٰ مـا في أنفســهم من الكــره لــذلك الوجــه لمــا فيــه مــع ماعظموا من ذكري الـروم وغـزوهم، وقـال قائـل من المنافقين لبعض لا تنفروا في الحر زهـادة في الجهاد وشكا في الحـق وإرجافـاً بالرسـول فـأنزل الله تبارك وتعالىٰ فيهم P وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ـ إلىٰ قوله ـ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِـبُونَ O ثم إن رسـول اللـه OaP جـد في سـفره فـأمر النـاس بالجهـاز والانكمـاش وخص أهل الغنىٰ علىٰ النفقة والحملان في سـبيل الله ورغبهم في ذلك فحمل رجال من أهل الغــنىٰ فاحتسبوا، ثم إن رجالاً من المسلمين أتـوا رسـول اللــه وهم البكــاؤن وهم ســبعة نفــر من الانصــار وغيرهم فاستحملوا رسول الله وكانوا أهـل حاجـة فقال P لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِـدُوا مَـا يُنفِقُـونَ O ثم اسـتتب برسول الله OaP سفره وأجمع السير[1].

واسـتخلف الرسـول OaP عليـاً OgP في أهلـه وولده وأزواجه ومهاجريه، وقال: ياعلي إن المدينة

[1]) ـ تاريخ الطبري ج2 ص366 ـ 368.

لا تصـلح إلا بي أو بـك لأنـه خـاف عليهـا في غيبتـه ممن عسـاه يطمـع فيهـا من مفسـدي العـرب، فاستظهر لها باسـتخلافه فيها، وان المنـافقين لمـا علمـوا باسـتخلافه عليـا حسـدوه وعظم عليهم مقامـه بعـد رسـول الله، وعلمـوا انـه لم يغب إذا حضـرها، وأنـه لا مطمـع للعـدو فيهـا بوجـوده، وغبطوه علىٰ الرفاهيـة والدعة، وتكلـف من خـرج منهم المشاق، فأرجفوا أنه لم يخلفه إكراماً لـه ولا إجلالا، وإنما خلفه استثقالاً لمكانه ورغبة في بعده، فبهتوه بهذا الارجاف كمـا قيـل عن النـبي OaP انـه ساحر وانه شاعر وإنما يعلمـه بشر، وهم يعلمـون أنهم يكـذبون عليه، وانـه علىٰ خلاف مـا يقولـون، فانه كان أحب الناس إليه وأقـربهم من قلبه. فلمـا سـمع OgP أراد إظهـار كـذبهم وفضـيحتهم، فلحـق بـالنبي OaP وقـال: يـا رسـول اللـه إن المنـافقين زعمـوا أنـك إنمـا خلفتـني اسـتثقالا ومقتا، فقـال: ارجع يا أخي إلىٰ مكانـك فـان المدينـة لا تصـلح إلا بي أو بك، فـأنت خليفـتي في أهلي ودار هجـرتي وقومي، أما ترضىٰ أن تكون مـني بمنزلـة هـارون من موسىٰ الا انـه لانـبي بعـدي[1] أنـه لا ينبغي أن

[1]) ـ كشف الغمة ج1 ص227.

أذهب الا وأنت خليفـــــــــتي[1]، فرجـــــــــع عليٌ إلىٰ المدينة[2].

1) ـ المناقب للخوارزمى ص 127.

2) ـ عيون الاثر ج 2 ص 254.

لما وصل رسول اللـه OaP تبـوك كـان هرقـل بحمص، ولم يكن يهم بالذي بلـغ رسـول اللـه OaP عنــه من جمعه، ولا حدثتــه نفســه بــذلك. وروىٰ الحــارث بن أبي أســامة عن بكــر بن عبــد اللــه المزني ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: قال رسول اللــه OaP "من يــذهب بهــذا الكتــاب إلىٰ قيصــر ولــه الجنة"؟ فقــال رجل: وإن لم يقبل؟ قــال: وإن لم يقبل، فانطلق الرجل فاتاه بالكتاب، فقرأه فقــال: اذهب إلىٰ نـبيكم فـاخبره أني متبعه، ولكن لا أريـد أن أدع ملكي، وبعث معه بـدنانير إلىٰ رسـول اللـه OaP فرجع فاخبره، فقال رسول الله OaP "كذب" وقسم الدنانير. وروي الامام أحمد وأبو يعلي بسند حسـن لا بـأس بـه عن سـعيد بن أبي راشـد قـال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلىٰ رسـول اللـه OaP بحمص، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ المائة أو قرب، فقلت: ألا تحـدثني عن رسـالة رسـول اللـه OaP إلىٰ هرقل؟ فقال: بلىٰ، قدم رسول الله OaP تبوك، فبعث دحية الكلبي إلىٰ هرقل، فلما أن جـاء كتاب رسول رسول الله OaP دعا قسّيسـي الـروم وبطارقتها، ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقــال: قــد نزل هذا الرجـل حيث رأيتم، وقـد أرسـل يـدعوني إلىٰ ثلاث خصال: أن أتبعه علىٰ دينه، أو أن أعطيـه

مالنـــا علىٰ أرضــنا والارض أرضــنا، أو نلقي إليــه الحرب. والله لقد عرفتم فيمـا تقـرأون من الكتب لياخــذن أرضــنا فهلم فلنتبعــه علىٰ دينه، أو نعطـه مالنا علىٰ أرضنا، فنخـروا نخـرة رجـل واحـد حتىٰ خرجــوا من برانســهم وقــالوا: تــدعونا أن نــذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجـاز؟ فلما ظن أنهم إذا خرجوا من عنـده أفسـدوا عليـه الروم رقاهم ولم يكد وقال: إنمـا قلت ذلـك لأعلم صلابتكم علىٰ أمركم[1].

وفي تبـوك أتـاه يحنـه بن رؤبـة صـاحب أيلـة فصـالح رسـول اللـه OaP وأعطـاه الجزيـة وأهـل جربـاء وأذرح فـأعطوه الجزيـة وكتب رسـول اللـه OaP لكل كتاباً فهـو عنـدهم[2]. ورجـع رسـول اللـه OaP إلىٰ المدينة دون أن يقع قتال بينه وبين الروم وقيل في سـبب رجوعه: لعلـه بلغـه أن الطـاعون في الجهــة الــتي كــان يقصــدها، فكــان ذلــك من أسباب رجوعه من غير قتال[3]. وأقام بتبوك بضــع عشرة ليلة ولم يجاوزها[4]. وكـان عـدد المقـاتلين

---

1) ـ سبل الهدي والرشاد ج5 ص458 ـ 458.

2) ـ تاريخ الطبري ج2 ص372.

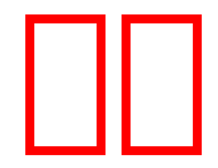
3) ـ سبل الهدي والرشاد ج5 ص372.

4) ـ تاريخ الطبري ج2 ص373.

المسلمين في هذه الغزوة ثلاثين ألف مقاتل[5].

كانت تلك أهم الغزوات التي خاضها النبي OaP قـدمناها باختصـار للوقـوف علىٰ اسـبابها ونتائجها، والاهتـداء من خلال أحـداثها إلىٰ حقيقـة مـا قيـل ويقال عنها في السنة الاصدقاء والاعداء

5) ـ البداية والنهاية ج5 ص6.



الحروب الداخلية

لقــد شــهدت الســاحة الاســلامية مواجهــات داخلية كثـيرة تقاتـل فيهـا المسـلمون فيمـا بينهم، نعرض عن أكثرها بعد أن ثبت بطلانهـا وبعـدها عن الاسلام، فانها كانت وليدة أهواء شخصية لم يلـتزم فيها المؤججون نارها بموازين الاسلام لا ابتــداءً ولا انتهاء كبعض مواقـع حـروب الـردة ووقعـة الطـف ووقعــة الحــرة وأمثالهــا من الوقــائع الــتي بــاتت محســوبة علىٰ المســلمين، والاســلام منهــا ومن مؤججيها براء. وليس من العدل أن نؤاخذ الاســلام بفعل متمردين عليـه تقمصـوا ثوبـه زورا للوصـول إلىٰ الســلطة. وقــد اقتصــرنا علىٰ ذكــر وقعــتين مهمتين من مجموع الاحداث كعينتين يتجلىٰ فيهمــا الغـرض لكونهمـا قـد وقعتـا بإشـراف مباشـر من خليفـة المسـلمين علي بن أبي طـالب OgP وهما: **وقعة الجمل** و**وقعة صفين**.

ـ الأولى؛ وقعة الجمل:

لابد أولاً من تقديم لمحة موجزة عن الوقائع التي سبقت الاحداث للوقوف علىٰ الاسباب التي خلقت أجواء الحرب ومن ثم اندلاعها؛ ففي سنة 36 للهجرة اشتعل فتيل ثورة شعبية بسبب سوء تصرف عمال الخليفة عثمان وولاته في الامصار فتوجه عدد كبير من الناس من مصر والكوفة والبصرة وغيرها صوب المدينة لتقديم ظلامتهم إلىٰ الخليفة مطالبين عزل ولاة بلدانهم واستبدالهم بمن هم أولىٰ برعاية الاسلام وحقوق المسلمين، لكنهم واجهوا اصرار الخليفة علىٰ عدم الاستجابة لمطالبيهم، فحاصروا دار الخليفة وضيقوا عليه. وتمكن بعض المتعصبين منهم من التسلل إلىٰ داخل الدار والمبادرة في قتل الخليفة. قال الذهبي: "لما قتل عثمان صبرا سقط في أيدي أصحاب النبي OaP وبايعوا علياً"[1]

كان مقتل الخليفة عثمان نقطة بداية للفتن التي تعرض لها المسلمون بعد ذلك، فقد انتهز مخالفوا الخليفة الجديد علي بن أبي طالب وعلىٰ رأسهم بنو أمية هذا الحدث ليتخذوه ذريعة للاطاحة به والاستحواذ علىٰ الخلافة، وبدأت

[1]) ـ تاريخ الاسلام: ص825.

عملياتهم باستغلال قميص الخليفة حيث: " بعثت أم حبيبة بنت أبي سفيان بقميص عثمان مع النعمان بن بشير إلىٰ معاوية"[1] فانتهز معاوية ـ والي الشام المُهدد بالاقصاءِ من منصبه من قبل الخليفة الجديد ـ انتهز الفرصة لإغراء أهل الشام وتحريضهم علىٰ علي بن أبي طالب متهما إياه بالاشتراك في قتل عثمان، وكان هذا أول عذرله في عدم الاستجابة لأوامر الخليفة بل ورفضه البيعة. من جهة أخرىٰ خرج طلحة والزبير وهما من المخالفين لعلي OgP، من المدينة بعد تظاهر بالبيعة قاصدين مكة التي باتت ملجأً لمعارضي الخلافة، وكانت أم المؤمنين عائشة قد خرجت قبل مقتل عثمان: "فلما قضت حجها انصرفت راجعة، فلما صارت في بعض الطريق لقيها شخص، فقالت: ما فعل الناس؟ قال: بايعوا عليا. قالت والله ما كنت أب إلىٰ أن تقع هذه علىٰ هذه ثم رجعت إلىٰ مكة"[2] وفي رواية "ليت هذه أطبقت علىٰ هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردوني ردوني"[3] فقصدت الحجر فتسترت فيه فاجتمع

---

1) ـ البدء والتاريخ: ص434.

2) ـ تاريخ اليعقوبي: ج2 ص180.

3) ـ الكامل في التاريخ: ص896.

النــاس حولها[1] وهي تحث النــاس علىٰ القيــام لطلب ثأر عثمـان، وكـانت في أيـام قليلـة سـابقة تحث الناس علىٰ قتل عثمان ولها القول المعروف "اقتلوا نعثلاً فقد كفر". كما التحـق بهم أيضـاً عبـد الله بن عامر وإلىٰ البصرة المعزول من قبـل علي OgP ويعلي بن منية، ويكتب معاويــة إلىٰ الزبــير: "اني بايعتــك ولطلحــة من بعــدك فلا تفوتنكمــا العــراق"[2]. طلب طلحــة والزبــير من عائشــة المشاركة في المرحلة العملية للمؤامرة وقالا لها: "إن أطعتنا طلبنا بدم عثمان... فاخرجي معنا حتىٰ نأتي البصرة فيمن تبعنا من أهل الحجاز، وان أهـل البصرة لو قد رأوك كانوا جميعـا يـدا واحـدة معك، فأجابتهم إلىٰ الخروج "[3].

وتظهر حقيقة الحركة التي قامت تحت شــعار طلب ثأر عثمـان في الحـوار الـدائر بين سـعيد بن العاص وكـل من طلحـة والزبـير حيث "خلا سـعيد بهمــــا فقــــال إن ظفرتمــــا لمن تجعلان الأمر؟ اصدقاني. قالا نجعله لأحدنا أينا اختاره الناس. قال بل تجعلونـه لولـد عثمـان فـانكم خـرجتم تطلبـون

---

1) ـ الكامل في التاريخ: ص892.

2) ـ البدء والتاريخ: ص434.

3) ـ الاخبار الطوال: ص110.

بدمه. فقالا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأيتام؟ قال سعيد: فلا أراني أسعىٰ إلا لإخراجها من بني عبد مناف"[1]. ومن هذا الحوار يتبين أن المعارضة كانت مؤلفة من جبهتين، جبهة تريد ارجاع الخلافة إلىٰ بني أمية وأخرىٰ اتباع طلحة والزبير، ويظهر أيضاً أن وعد معاوية في رسالته للزبير وطلحة لم يكن إلا مناورة لتشجيعهما علىٰ المشاركة الجدية في الحرب مع علي بن أبي طالب OgP. وتوجه القوم نحو البصرة في خلق ممن تبعهم، "فأخذوا عثمان بن حنيف ـ عامل علي OgP عليها ـ وهموا بقتله ثم خشوا غضب الانصار علىٰ من خلفوا بالمدينة، فنالوا من شعره وبشرته ونتفوا لحيته وشعر حاجبيه وأشفاره وقتلوا من خزنة بيت المال خمسين رجُلاً فانتهبوا الاموال"[2]. ولما بلغ علياً مسير عائشة وطلحة والزبير إلىٰ البصرة سار نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة "فيهم أربع مائة ممن بايع تحت الشجرة، وثمانمائة من الانصار"[3]، كما "خرج من الكوفة ستة آلاف،

---

1) ـ الكامل في التاريخ: ص899.

2) ـ البدء والتاريخ: ص434.

3) ـ المختصر في أخبار البشر: ص225 وتاريخ الذهبي: ص825.

فقدموا علىٰ علي بذي قار، فسار في نحو عشـرة آلاف حتىٰ أتي البصرة "[1].

- المعركة:

كانت الوقعة في جمادىٰ الأولىٰ ويقـال لعشـر مضين من جمـادىٰ الإخـرة من سـنة سـت وثلاثين للهجرة، فقد كتّب الفريقان الكتائب وعقدا الالوية، كـان جنـد عائشـة ثلاثين ألفا، وكـان أصحـاب علي عشرين ألفا "[2] فأرسـل إليهم علي: مـا تطلبـون وما تريدون؟ قالوا: نطلب بدم عثمان. قـال علي: لعن الله قتلة عثمان"[3]. قال الـدينوري: " قـالوا: ثم إن عليا دنـا من صـفوف أهـل البصـرة وأرسـل إلىٰ الزبير يسـأله ليـدنوا فيكلمـه بمـا يريد. وأقبـل الزبير حتىٰ دنا من علي0 فوقفا جميعاً بين الصفين حـتىٰ اختلفت أعنـاق فرسـيهما فقـال لـه علي: ناشدتك الله يا أباعبد الله هل تذكر يوماً مررنـا أنـا وأنت برسول الله OaP ويـدي في يـدك فقـال لـك رسول الله OaP: أتحبه؟ قلت: نعم يا رسـول الله. فقال لك: أما إنك تقاتلـه وأنت لـه ظـالم... فقـال الزبير: نعم أنا ذاكر. ثم انصرف علي إلىٰ قومـه...

---

1) ـ تاريخ الاسلام للذهبي: ص826.

2) ـ الكامل في التاريخ: ص920.

3) ـ تاريخ اليعقوبي: ص327.

وأقبل الزبـير حـتىٰ دنىٰ من ابنـه عبـد اللـه وبيـده الراية العظمىٰ فقـال: يـا بـني أنـا منصـرف. قـال وكيـف يـا أبت. قـال: مـا لي في هـذا الأمـر من بصـيرة وقـد أذكـرني علي أمـراً قـد كنت غفلت عنـه... الخ "[1] ثم سـار علي حـتىٰ أتىٰ طلحـة فقـال: جئت بعـرس رسـول اللـه OaP وخبـأت عرسـك في بيتـك واسـتعرت الحـرب. واصـطف أصحاب علي فقال لهم: "لاترموا بسهم ولاتطعنوا برمح ولاتضربوا بسيف أعـذرو. وعن ابن المطهر: أنه OgP قال لهم: " لا تبدؤهم بالقتال حتىٰ يقتلـوا منكم، وإن هزموا فلا تأخذوا من أمـوالهم شـيئاً ولا تجهـزوا علىٰ جـريح ولا تتبعـوا مـدبرا ومن ألقىٰ سـلاحه فهـو آمن "[2] فـرمي رجـل من عسـكر القوم بسهم فقتل رجُلاً من أصحاب أمير المؤمنين فأتي به إليه فقال: اللهم اشهد. ثم رُميَ آخر فقتل رجُلاً من أصحاب على. فقال: الهم اشهد. ثم رمي رجـل آخـر فأصـاب عبـد اللـه بن بـديل ابن ورقـاء الخُزاعي فقتله فأتي به أخوه عبد الـرحمن يحملـه فقال على: اللهم اشهد. ثم كانت الحـرب "[3]. لم

---

1) ـ الاخبار الطوال: ص112.

2) ـ البدء والتاريخ: ص434.

3) ـ تاريخ اليعقوبي: ص327.

يدم القتال إلا " أربع ساعات من النهار"[1] قتل خلاله "عشرة آلاف"[2] علىٰ أقل تقدير، كان النصر فيه للامام علي OgP، التزم جند علىٰ في ساحته بما أمرهم حتىٰ "جعلوا يمرون بالذهب والفضة في معسكرهم فلايعرض له أحد إلا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به والدواب التي حاربوا عليها فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين كيف حل لنا قتالهم ولم يحل لنا سبيهم وأموالهم؟ فقال علي0: ليس علىٰ الموحدين سبي ولايغنم من أموالهم إلا ما قاتلوا به وعليه فدعوا ما لا تعرفون والزموا ما تؤمرون "[3].

"وصلىٰ علي علىٰ القتلىٰ من أهل البصرة والكوفة وصلىٰ علىٰ قريش من هؤلاء وهؤلاء وأمر فدفنت الاطراف في قبر عظيم وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به إلىٰ مسجد البصرة وقال: من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان "[4].

ـ موقفه OgP من خصومه:

---

1) ـ تاريخ اليعقوبي: ص328.

2) ـ الكامل في التاريخ: ص930.

3) ـ الاخبار الطوال: ص115.

4) ـ الكامل في التاريخ: ص930.

مقتـل طلحـة بن عبيـد الله: قـال ابن الاثـير "كان سبب قتل طلحة أن مروان بن الحكم ـ وهو من معسـكر طلحـة ـ رمـاه بسـهم في ركبتـه ... فمات منه وقال مروان: لا أطالب بثأري بعد اليوم والتفت إلىٰ أبان بن عثمان فقال: قد كفيتـك بعض قتلة أبيك. ونقل عن الشعبي انه: لمـا قتـل طلحـة ورآه علي مقتـولا جعـل يمسـح الـتراب عن وجهـه وقال: عزيـز عليّ أبـا محمـد أن أراك مجـدلاً تحت نجوم السماء "[1]. وقال ابن الاثـير: انه OgP قـال لما مـرّ علىٰ طلحـة بن عبيـد اللـه وهـو صـريع: " لهفي عليك ياأبا محمد! إنا للـه وإنـا إليـه راجعـون لقـد كنت أكـره أن أرىٰ قريشـاً صـرعىٰ"[2] وقـال الدينوري: "إن طلحة لما علم بانصراف الزبـير همّ أن ينصـــرف فعلم مـــروان بن الحكم مـــا يريـــده فرماه"[3] أما الزبـير، فانـه نـدم علىٰ قدومـه بعـد الذي سمعه من علي OgP "فمضىٰ نحـو البصـرة ليتحمل منها ويمضي نحو الحجاز"[4]. فاتبعـه عمـر بن جرموز التميمي فقتلـه بموضـع يقـال لـه وادي

---

1) ـ أسد الغابة: ص1277.
2) ـ الكامل في التاريخ: ص929.
3) ـ الاخبار الطوال: ص112.
4) ـ الاخبار الطوال: ص112.

السـباع[1]. وأتي ابن جرمـوز عليـاً فقـال لحاجبه: استأذن لقاتل الزبير. فقال علي: ائذن لـه وبشـره بالنار، واحضر سيف الزبير عند علي فأخذه فنظـر إليه وقال: طالما جلىٰ به الكرب عن وجه رسـول الله OaP[2].

وأمـا أم المؤمـنين عائشة، الـتي كـانت في هودجهـا علىٰ الجمـل تحـرض النـاس علىٰ القتـال فانها صمدت في موقعها حتىٰ عقـر الجمـل فمـال بها الهـودج، فـأمر علي OgP أخاهـا محمـد بن أبي بكرٍ أن يضـرب عليهـا قبة. وقـال الوطـواط: " إن علياً لما وقف عليها ضرب الهودج بقضـيب وقـال: ياحميراء أ رسول الله OaP أمرك بهذا، ألم يأمرك أن تقري في بيتك والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ صانوا حلائلهم وأبـرزوك "[3]. ثم أدخلهـا أخوهـا إلىٰ البصرة وأنزلهـا في دار عبـد اللـه بن خلف[4].

وذهب علي OgP إلىٰ عائشة وهي في دار عبد الله بن خلف فلما رأته صفية زوجة عبد الله فقالت لـه "ياعلي ياقاتل الاحبة يا مفرق الجمع أيتم الله منك

---

1) ـ تاريخ اليعقوبي ج2: ص183.

2) ـ الكامل في التاريخ: ص922.

3) ـ غرر الخصائص الواضحة: ص314.

4) ـ تاريخ أبي الفداء: ص219.

بنيك كما أيتمت ولد عبد الله منه فلم يرد عليها شيئاً، ودخل علىٰ عائشة فسلم عليها فلما خرج علي أعادت عليه القول فكف بغلته وقال: لقد هممت أن أفتح هذا الباب وأشار إلىٰ باب في الدار وأقتل من فيه وكان فيه ناس من الجرحىٰ فأخبر علي بمكانهم فتغافل عنهم، فسكت وكان مذهبه أن لا يقتل مدبراً ولا يذفف علىٰ جريح ولا يكشف ستراً "[1]. ولماخرج من عند عائشة قال له رجل من أزد: والله لا تغلبنا هذه المرأة! فغضب وقال: مه لا تهتكن ستراً ولا تدخلن داراً ولا تهيجن امرأة وإن شتمن أعراضكم وسفهن أمراءكم وصلحاءكم... ومضىٰ فلحقه رجل فقال له يا أمير المؤمنين قام رجلان علىٰ الباب فتناولا من هو أمض شتيمة لك من صفية، قال ويحك لعلها عائشة! قال نعم، فبعث علي القعقاع بن عمرو إلىٰ الباب فأقبل بمن كان عليه فأحالوا علىٰ رجلين من أزد الكوفة... فضربهما مائة سوط[2].
ثم جهز علىٰ عائشة بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام واختار لها أربعين

---

1) ـ الكامل في التاريخ: ص930 ـ 931.
2) ـ الكامل في التاريخ: ص931.

امرأة من نساء البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر[1] ونقل الوطواط عن البلاذري في تاريخه: " إن علياً 0 أعطاها حين أشخصها إلىٰ مكة عشرة آلاف درهم ورجعت إلىٰ مكة"[2]. وقال اليعقوبي: "وجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال، حتىٰ وافوا بها المدينة"[3]. وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها يوماً. وقد أبدت أم المؤمنين عائشة ندمها علىٰ ما صدر منها في مواطن نذكر منها موردين:

ـ **الاول:** ما ذكره الخطيب في تاريخه بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: "ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قط إلا بكت حتىٰ تبل خمارها وتقول: يا ليتني كنت نسيا منسيا "[4].

ـ **الثاني:** ما ذكره البيهقي عن جميع بن عمير قال: قلت لعائشة حدثيني عن علي 0 فقالت: تسألني عن رجل سالت نفس رسول الله OaP في يده وولي غسله وتغميضه وإدخاله قبره. قلت: فما حملك علىٰ ماكان منك؟ فأرسلت

---

1) ـ الكامل في التاريخ: ص931.

2) ـ غرر الخصائص الواضحة: ص314.

3) ـ تاريخ اليعقوبي ج2: ص183.

4) ـ تاريخ بغداد: ص3106.

خمارهـا علىٰ وجههـا وبكت وقـالت: أمـر كـان قضىٰ عليّ. وفي رواية سابقة قـالت: أنـا نادمة! وكـان ذلـك قـدرا مقـدورا "[1]. وهي شـهادة صريحة بكـون الفئـة الـتي قـاتلت الامـام وألبت عليه أنها كانت علىٰ باطل وأن الامـام كـان علىٰ حق في قتالهم.

كـانت هـذه خلاصـة الواقعـة وقـد انتخبت أهم أحـداثها من مصـادر تاريخيـة محايـدة كماسـأفعل بالنسبة إلىٰ الوقعـة التاليـة وهي "حـرب صـفين" كي أتجنب تهمة المـوالاة في سـردها وهي تنطـق بالحكم الفصل في سمو الخلق الاسلامية وإنسانية معاملتــه في الحــرب وعلىٰ القــارئ الكــريم أن يلاحظ بدقة تصرفات وأوامـر الخليفـة القائـد خلال العمليـات ابتـداء وانتهـاء ثم ليقضـي بإنصـاف من خلالها بشأن أخلاق الاسلام في الحرب.

ـ الثانية؛ معركة صفين:

وهي المعركـة الثانيـة الـتي انتخبناهـا كعينـة نتحسـس من خلالهـا قـانون الحـرب في الاسـلام وأخلاقيات القانون الإسـلامي في حروبـه الداخلية. وخلاصة اسبابها أن الامام علي بن أبي طـالب OgP بعد انتخابه خليفة من قبل المهاجرين والانصار من

---

[1]) ـ المحاسن والمساوئ: ص221.

أهل العقـد والحل، بـدأ بتغيـير الـولاة الـذين كـانوا علىٰ عهد الخليفة السـابق عثمـان بن عفـان، ومن جملتهم معاوية بن أبي سفيان وإلىٰ الشـام، فـأبىٰ معاوية الانصـياع لأمـر الخليفـة بـل أبىٰ البيعـة له. وأعلن التمـرد وبـدأ التـآمر علىٰ الخليفـة مسـتغلاً قميص عثمان الذي بعثته إليـه أختـه أم حبيبـة بنت أبي سفيان أبشـع اسـتغلال وأشـاع بين النـاس أن علياً OgP هو من المتورطين في قتله وأن أصـحابه هم الذين قتلوا الخليفة عثمان، واستعان في أمره هـذا بقبيلتـه كمـا اسـتطاع اسـتقطاب بعض المعارضين لعلي بن أبي طالب. وكان له دور كبير في تـأجيج نـار الحـرب بالبصـرة، فلمـا بلغـه خـبر الجمل "دعا أهل الشام إلىٰ القتال علىٰ الشـورىٰ وطلب بدم عثمـان فبـايعوه"[1]. وبعث إلىٰ عمـرو بن العاص ليجعله مستشاراً له في حربـه مـع علي بن أبي طالب OgP.

ولما استقر علي في الكوفة بعد حسـمه فتنـة البصرة "بلغه أن معاوية قد استعد للقتال واجتمـع معه أهل الشام"[2] فبعث علي، جرير بن عبد الله البجلي رسـولاً إلىٰ معاويـة يـدعوه إلىٰ البيعـة "

---

1) ـ البدء والتاريخ: ص436.

2) ـ تاريخ اليعقوبي ج2: ص184.

فكتب إليــه معاوية: إن جعلت لي الشــام ومصــر طعمة أيام حياتـك وإن حضـرتك الوفـاة لم تجعـل لأحد بعدك في عنقي بيعـة بايعتـك "[1]. فلمـا أتىٰ كتابه إلىٰ علي OgP قال: "لم يكن اللــه (U) يـراني أتخذ المضلين عضداً "[2] وكتب علي OgP كتابا آخر إلىٰ معاوية وأهل الشام يقول فيه: " إني أدعــوكم إلىٰ كتـاب اللـه وسـنة نبيـه OaP وحقن دمـاء هـذه الامة فإن قبلتم أصـبتم رشـدكم واهتـديتم لحظكم وإن أبيتم إلا الفرقـة وشـق عصـا هـذه الامـة فلن تزدادوا من الله إلا بعدا ولن يزداد الــرب عليكم إلا سـخطا والسـلام". فأجابـه معاوية: أمـا بعـد فانه: ليـس بيــني وبين قيــس عتــاب غـير طعن الكلي وضــرب الرقــاب؛ فتلىٰ علي OgP لمــا ورده هــذا الجــواب قولـه تعـالىٰ: P إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَO "[3]
قال الدينوري: "وبلغ علياً أن حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية ولعن أهـل الشـام فأرسل إليهمـا أن كفـا عمـا يبلغـني عنكما. فأتيـاه فقالا: ياأمير المؤمنين ألسنا علىٰ الحــق وهم علىٰ الباطل؟ قـال: بلىٰ ورب الكعبـة المسـدنة قـالوا:

---

1) ـ البدء والتاريخ: ص436.
2) ـ البدء والتاريخ: ص436.
3) ـ وقعة صفين: ص151.

فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قـال: كـرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانين ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودمـاءهم وأصـلح ذات بيننـا وبينهم واهـدهم من ضلالتهم حتىٰ يعرف الحق من جهلـه ويرعـوي عن الغي من لجج به"[1] "وأقبـل معاويـة بالخيـل نحو صفين وهي قرية خراب من بنـاء الـروم منهـا إلىٰ الفـرات غلـوة وعلىٰ شـط الفـرات ممـا يليـه غيضة ملتفة فيها نـزور طولهـا نحـو من فرسـخين وليس في ذينك الفرسخين طريق إلىٰ الفــرات إلا طريق واحد مفروش بالحجارة وسـائر ذلـك خلاف وغرب ملتف لا يسلك وجميع الغيضة نـزور ووحـل إلا ذلـــك الطريـــق الـــذي يأخـــذ من القريـــة إلىٰ الفرات"[2]. وأمر معاويـة أبـا الاعـور أن يقـف في عشرة آلاف من أهل الشام علىٰ طريق الشــريعة فيمنع من أراد السلوك إلىٰ الماء من أهل العراق. وكان معاوية " في مائـة ألـف وعشـرين ألفـا "[3] "وأقبـل علي OgP في تسـعين ألفا"[4] حـتىٰ وافي المكـان، فصـادف أهـل الشـام قـد احتـووا علىٰ القرية والطريق فـأمر النـاس فـنزلوا بـالقرب من

---

1) ـ الاخبار الطوال: ص125.

2) ـ الاخبار الطوال: ص126.

3) ـ التنبيه والاشراف: ص187.

4) ـ البدء والتاريخ: ص436.

عسكر معاوية. وانطلق السقاؤون والغلمان إلىٰ طريق المشرعة فوجدوه مسدوداً عليه جند معاوية، وأخبر علي بذلك فأرسل صعصعة بن صوحان إلىٰ معاوية رسولاً يقول له: "إنا سرنا إليكم لنعذر قبل القتال فإن قبلتم كانت العافية أحب إلينا وأراك قد حلت بيننا وبين الماء فإن كان أعجب إليك أن ندع ما جئنا له ونذر الناس يقتتلون علىٰ الماء حتىٰ يكون الغالب هو الشارب فعلنا"[1]. فاستشار معاوية اصحابه ثم قال: "هذا والله أول الظفر، لأسقاني الله من حوض الرسول إن شربوا منه حتىٰ يغلبوني عليه "[2].

وجه علي OgP الاشتر النخعي والاشعث بن قيس فقاتلوهم وطردوهم وغلبوهم علىٰ المشرعة وبعث إلىٰ معاوية " إنا لا نكافيك بصنعك هم إلىٰ الماء فنحن وأنتم فيه سواء "[3]. قال ابن عساكر: " وأرسل علي إلىٰ الاشعث أن خل بينه وبين الماء"[4].

قال الدينوري: "فكانوا يسقون جميعاً ويختلط بعضهم ببعض ويدخل بعضهم في معسكر بعض

---

1) ـ الاخبار الطوال: ص127.

2) ـ الامامة والسياسة ج1 ص125.

3) ـ وقعة صفين: ص193.

4) ـ تاريخ مدينة دمشق: ج9 ص137.

فلا يعرض أحد الفريقين لصاحبه إلا بخير ورجوا أن يقع الصلح"[1]. ولم يزالـوا يتراسـلون ويتفاوضـون مـــدة شـــهرين ولكن دون نتيجة، فعبــأ علي OgP أصحابه بعـد إليـأس من نتيجـة التفـاوض، " وبعث إلىٰ معاوية يؤذنه بحرب فعبئ معاوية أيضاً أصحابه وكتّب كتائبـه "[2]. قـال ابن المطهر: " ثم ناوشـوا القتال أربعين صباحاً، كلما وقـدت الحـرب رفعـوا قميص عثمـان ويقـول معاويـة ادعـوا لهـا جوازهـا حتىٰ قتل سبعون ألفا، خمسة وعشـرون ألفـاً من أهل العراق وخمسة وأربعون ألفا من أهـل الشـام "[3]. " بعث علي يوما من تلـك الايـام إلىٰ معاوية: لم نقتـل النـاس بيـني وبينـك ابـرز إلىٰ فأينـا قتـل صاحبه تولىٰ الأمر. فقال معاوية لعمرو: مـا تـرىٰ؟ قال: قد أنصفك الرجـل فـابرز إليه. فقـال معاويـة أتخـدعني عن نفسي؟ ولِمَ أبـرز إليـه ودوني عنـك والاشعريون، ووجـد من ذلـك علىٰ عمـرو فهجـره أياماً فقال عمرو لمعاوية: أنا خارج إلىٰ علي غــداً. فلما أصبحوا بـدر عمـرو حـتىٰ وقـف بين الصـفين وهو يرتجز ثم نادي: يـا أبـا الحسـن اخـرج إلىٰ أنـا

---

1) ـ الاخبار الطوال: ص127ـ 128.

2) ـ الاخبار الطوال: ص128.

3) ـ البدء والتاريخ: ص436.

عمـرو بن العـاص، فخـرج إليـه علي فتطاعنـا فلم يصنعا شيئاً، فانتضىٰ علي سيفه فحمل عليه، فلما أراد أن يجلله رمي بنفسه عن فرسه ورفـع إحـدىٰ رجليـه فبـدت عورته، فصـرف علي وجهـه وتركه، وانصرف عمرو إلىٰ معاوية فقال له معاويـة احمـد الله وسوداء أستك يا عمرو "[1]. "وزحف أصحاب علي وظهروا علىٰ أصحاب معاوية ظهـوراً شـديداً حتىٰ لصقوا بـه فـدعا معاويـة بفرسـه لينجـو عليـه فقال له عمرو بن العاص إلىٰ أين؟ قال: قـد نـزل ما ترىٰ فما عندك؟ قال: لم يبق إلا حيلة واحدة أن ترفع المصاحف فتدعوهم إلىٰ ما فيهـا فتسـتكفهم وتكسـر من حـدهم وتفت في أعضـادهم. قـال معاوية: فشأنك.

فرفعـوا المصـاحف ودعـوهم إلىٰ التحكم بمـا فيها وقـالوا: نـدعوكم إلىٰ كتـاب الله. فقـال على: أنهـا مكيـدة وليسـوا بأصـحاب قـرآن. فـاعترض الاشعث بن قيس الكندي وقد كان معاوية استماله وكتب إليه ودعاه إلىٰ نفسه. فقال قـد دعـا القـوم إلىٰ الحـق! فقـال علي: انهم إنمـا كـادوكم وأرادوا صرفكم عنهم. فقال الاشعث: والله لئن لم تجبهم انصرفت عنك. ومالت اليمانية مع الاشعث. فقـال

---

[1]) ـ الاخبار الطوال: ص133.

الاشـعث: واللـه لتجيبنهم إلىٰ مـا دعـوا إليـه أو لندفعنك إليهم برمتك. فتنازع الاشتر والاشعث في هذا كلاماً عظيماً حتىٰ كـاد أن يكـون الحـرب بينهم وحتىٰ خاف علىٰ أن يفترق عنه أصحابه. فلما رأىٰ ما هو فيه أجابهم إلىٰ الحكومة "[1].

وهكـذا انتهت المعركـة علىٰ أمـل أن ينتهي التحكيم بحل عـادل يرجـع الحـق إلىٰ أهلـه ويحقن دماء المسلمين. فاختار معاويـة عمـرو بن العـاص حكمـا عن أهـل الشـام، كمـا اختـار الكوفيـون أبـا موسىٰ الاشعري حكما منهم رغم ترشيح الامـام o عبد الله بن عباس لهذه المهمة وتحذيره الناس gP من عدم كفاية من رشحوه ويبدو أن حريـة الـرأي الممنوحة في حكومة الامـام قـد أوقعت الكوفـيين في غرور الحكم فحرمتهم من رشـاد الناصـح حين قال الاشعث: لا نرضىٰ بعبد الله بن العباس، والله لا يحكم فينا مضري أبداً[2].

وقـد عضـوا علىٰ الانامـل من الاسـف بعـد أن تحقق خطأ انتخابهم وأحقيـة الامـام في انتقـادهم. فقد خدع عمرو بن العاص أبا موسىٰ الاشـعري إذ قـال له: اخلـع عليـاً وأخلـع أنـا معاويـة ويختـار

---

[1]) ـ تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 188 ـ 189.

[2]) ـ البدء و التاريخ: ص 438.

المسلمون؛ فلما حان التحكيم قدم عمرو أبا موسىٰ إلىٰ المنبر فلما رآه عبد الله بن عباس تقدم إليه وقال له إن كان عمرو فارقك علىٰ شيء فقدمه قبلك. فقال لا، قد اتفقنا علىٰ أمر فصعد المنبر فخلع علياً، ثم صعد عمرو بن العاص فقال ثبّت معاوية كما ثبّت خاتمي هذا في يدى، فصاح أبو موسىٰ غدرت يا منافق، إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. قال عمرو: إن مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً. وتنادي الناس: حكم والله الحكمان بغير ما في الكتاب، والشرط عليهم غير هذا، وتضارب القوم بالسياط وأخذ قوم بشعور بعض وافترق الناس[1].

ونكتفي بهذا القدر الميسّر لنا من تلخيص الاراء والاحداث التي أردنا من خلالها القاء الضوء علىٰ نظرية الاسلام الخاص بأخلاق الحرب، والاشارة إلىٰ حقيقة واضحة أهمل التأمل فيه كثير من الناس وهي أن الاسلام أوسع دائرة مما تصوروه، وأن الحكم عليه قبل دراسة دقائق مسائله وترويج عدم جدوائية طرح نظريته كقانون يستحق البحث في طريق انتخاب النظام الاكمل ذنب غير مغفور. علىٰ أنا وبحكم الظروف الخاصة

---

[1]) ـ تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 190.

لم نوفق في اعطاء الموضوع حقه، ونعترف بأن هناك الكثير من لطائف الاحكام ومفردات تطبيقية جليلة كان يجب ذكرها في هذا البحث لتتضح بها الرؤية بشكل أكمل خلا منها هذا المختصر بما قدمناه من عذر ولم يمنعنا ما تعسر من تقديم هذا الميسور بعد الظن بنفعه. ونأمل أخيراً ان يقع هذا القليل موضع قبول المطالع الكريم، بأقل ما نتوقعه من جعله باباً للتأمل في أصل الموضوع، ومتابعة حقائقه ليحكم بما هو السديد في كل ما قيل ويقال في نوادي الاعلام عن الدين عموماً والاسلام خصوصاً، فمعرفة الحق والدفاع عنه فضيلة جديرة بالطلب، والحمد لله أولاً وآخراً.

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.

ـ نهج البلاغة/ خطب الامام علي / تحقيق محمد عبدة دار المعرفة

ـ إعلام الورىٰ بأعلام الورىٰ/ الطبرسي ط1/ مؤسسة آل البيت قم

ـ احكام القرآن/ احمد علي الجصاص/ ط1 1415 دار الكتب العلمية بيروت

ـ الاخبار الطوال/ احمد بن داود الدينوري/ ط1 1960 دار احياء الكتب العربية

ـ الارشاد/ الشيخ المفيد/ دار المفيد

ـ ارواء الغليل/ محمد ناصر الالباني/ ط2 المكتب الإسلامي بيروت

ـ الاقتصاد/ الشيخ الطوسي 1400/ مطبعة خيام قم

ـ الامام الحسين/ ابن عساكر تحقيق المحمودي/ مجمع إحياء الثقافة

ـ الامامة والسياسة/ ابن قتيبة الدينوري/ ط1

1413 المؤسسة العربية الحديثة

ـ انجيل متي /

ـ الانوار العلوية / جعفر النقدي / ط2 1381 مطبعة الحيدرية نجف

ـ ايضاح الفوائد / فخر المحققين / ط1 1378 المطبعة العلمية قم

ـ بحار الانوار / محمد باقر المجلسي / ط2 1983 مؤسسة الوفاء بيروت

ـ البحر الرائق / ابن نجيم المصري / ط1 1418 دار الكتب العلمية بيروت

ـ البداية والنهاية / ابن كثير / ط1 1408 دار احياء التراث العربي

ـ البيان في تفسير القرآن / السيد الخوئي / ط4 دار الزهراء ـ بيروت

ـ تاج العروس / محمد مرتضىٰ الزبيدي / مكتبة الحياة بيروت

ـ تاريخ ابن خلدون / ابن خلدون / ط4 دار احياء التراث بيروت

ـ تاريخ المدينة / عمر بن شبه / ط 1410 دار الفكر ـ قم

ـ تاريخ اليعقوبي / اليعقوبي دار صادر ـ بيروت

ـ تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي / ط1 1417
دار الكتب العلمية بيروت
ـ تاريخ مدينة دمشق/ ابن عساكر/ 1415
دار الفكر
ـ تحرير الاحكام/ ط. ج العلامة الحلي/ ط1 1420
مؤسسة الامام الصادق
ـ تحريـر الاحكـام/ ط ق العلامـة الحلي/ طبعـة حجرية مؤسسة آل البيت
ـ تذكرة الفقهاء/ العلامة الحلي/ طبعة قديمة
مكتبة الرضوية
ـ تفسير الصافي/ الفيض الكاشاني/ ط2 1416
مكتبة الصدر ـ طهران
ـ تفسـير القرطـبي/ محمـد بن احمـد القرطـبي/ 1405 مؤسسة التاريخ العربي بيروت
ـ تفســير القمي/ علي بن ابــراهيم القمي/ ط3 1404 دار الكتاب ـ قم ـ
ـ تفسير الميزان/ محمد حسين الطباطبائي/
مؤسسة النشر الإسلامي قم
ـ التنبيه والاشراف/ المسعودي /
ـ تهذيب الاحكام/ الشيخ الطوسي/ ط4 1365
دار الكتب الاسلامية
ـ جامع البيان/ ابن جرير الطبري/ ط 1415

دار الفكر بيروت

ـ الجامع للشرائع/ يحيىٰ بن سعيد الحلي/ 1405

مؤسسة سيد الشهداء قم

ـ جنك وصلح/ مسائلي وأرفعي/ ط2

انتشارات وزارة الخارجية طهران

ـ جواهر الكلام/ محمد حسن النجفي/ ط3

مطبعة خورشيد

ـ الخرائج والجرائح/ قطب الدين الراوندي/

مؤسسة الامام المهدي ogp قم

ـ خصائص الائمة/ الشريف الرضي/

مجمع البحوث الاسلامية ـ مشهد

ـ الخلاف/ الشيخ الطوسي/ ط1 1417

مؤسسة النشر الإسلامي قم

ـ الدروس/ الشهيد الاول ط1 1412

جماعة المدرسين قم

ـ دعائم الاسلام/ القاضي النعمان المغربي/ 1963

دار المعارف

ـ روضة الطالبين/ النووي/ دار الكتب العلمية ـ بيروت

ـ روضة الواعظين/ الفتال النيسابوري/

منشورات الرضي قم

ـ ريـاض المسـائل/ السـيد علي الطباطبـائي/ ط حجرية مؤسسة آل البيت ـ قم

ـ سبل السلام/ محمد الكحلاني/ ط4 1379
شركة مصطفي البابي مصر
ـ سـبل الهـدىٰ والرشـاد/ محمـد الشـامي/ ط1
1414 دار الكتب العلمية بيروت
ـ السرائر/ ابن ادريس الحلي/ ط3 1410
جماعة المدرسين قم
ـ سفر التثنية/
ـ سنن الترمذي/ الترمذي/ 1403
دار الفكر بيروت
ـ السنن الكبرىٰ/ البيهقي/ دار
الفكر ـ بيروت
ـ سيرة ابن هشام/ ابن هشام / 1383
مكتبة محمد علي صبيح
ـ السيرة النبوية/ ابن كثير/ ط 1 1396
دار المعرفة بيروت
ـ شرائع الاسلام/ المحقق الحلي/ ط2 1409
انتشارات استقلال طهران
ـ شرح السير الكبير/ الشيباني/
ـ شرح اللمعة/ الشهيد الثاني/ ط1 1410
داوري قم
ـ شرح نهج البلاغة/ ابن ابي الحديد/
دار احياء الكتب العربية

- الصحاح/ اسماعيل بن حماد الجوهري/ ط 4 07
دار العلم للملايين
- الصحيح من السيرة/ جعفر مرتضىٰ/ ط4
دار الهدىٰ بيروت
- الطبقات الكبرى/ ابن سعد/ دار
صادر بيروت
- علل الشرائع/ الشيخ الصدوق/ 1966
المكتبة الحيدرية النجف
- عيون الاثر/ ابن سيد الناس/ ط 1406
مؤسسة عز الدين
- عيون الحكم/ علي بن محمد الليثي / ط1
دار الحديث
- الغارات/ ابراهيم بن محمد الثقفي/
مطبعة بهمن
- غنية النزوع/ ابن زهرة الحلبي / 1417
مؤسسة الامام الصادق
- فتح الباري/ ابن حجر/ ط2
دار المعرفة بيروت
- فتح القدير/ محمد بن علي الشوكاني/
عالم الكتب
- فتوح البلدان/ احمد البلاذري/ 1379
مكتبة النهضة القاهرة

ـ فقه السنة / سيد سابق / دار الكتاب العربي بيروت
ـ فيض القدير / المناوي / ط1 1415 دار الكتب العلمية بيروت
ـ قواعد الاحكام / العلامة الحلي / ط1 1413 مؤسسة النشر الاسلامي
ـ الكافي / ابو صلاح الحلبي / 1403 مكتبة امير المؤمنين اصفهان
ـ الكافي الكليني / ط4 1365 دار الكتب الاسلامية
ـ كتاب الأم / الامام الشافعي / ط2 1983 دار الفكر ـ بيروت
ـ كتاب الجمل / ضامن بن شدقم / ط1 1420
ـ كتاب العين / الخليل الفراهيدي / ط2 1409 مؤسسة دار الهجرة
ـ كتاب المحبر / محمد بن حبيب البغدادي /
ـ كشاف القناع / البهوتي / 1418 دار الكتب العلمية بيروت
ـ كشف الغطاء / جعفر كاشف الغطاء / حجرية مهدوي اصفهان
ـ كشف الغمة / الطبرسي / ط1 الاربلي دار الاضواء

ـ كنز العمال/ المتقي الهندي/
مؤسسة الرسالة بيروت
ـ لسان العرب/ ابن منظور/ ط1 1405
نشر أدب الحوزة
ـ اللمعـة البيضـاء/ محمـد علي قراچـه داغي/ ط1
1418 دفتر نشر الهادي قم
ـ اللمعة الدمشقية/ الشهيد الاول/ ط1 1411
دار الفكر
ـ المبسوط/ الشيخ الطوسي/ 1487
المكتبة المرتضوية
ـ المبسوط/ شمس الدين السرخسي / 1406
دار المعرفة بيروت
ـ مجمع البحرين/ فخر الدين الطريحي/ ط21408
مكتبة نشر الثقافة الاسلامية
ـ مجمع البيان/ الطبرسي/ ط1 1415
مؤسسة الاعلمي بيروت
ـ مجمع الزوائد/ نور الدين الهيثمي/ ط 1988
دار الكتب العلمية بيروت
ـ المجموع/ محي الدين النووي / دار
الفكر
ـ المحلي/ ابن حزم الاندلسي/
دار الفكر بيروت

- المختصر النـافع/ المحقـق الحلي1410 /البعثـة طهران دار التقريب
- مختلف الشيعة/ العلامة الحلي/ ط1 1412 جماعة المدرسين قم
- المدونة الكبرى/ الامام مالك بن انس / مطبعة السعادة مصر
- مسالك الافهام/ الشهيد الثاني/ ط1 1413 مؤسسة المعارف الاسلامية
- مستدرك الوسائل/ الميرزا النوري/ ط2 1408 مؤسسة آل البيت
- مستدرك سفينة البحار/ علي النمازي 1419 جماعة المدرسين قم
- مسند أحمد/ احمد بن حنبل/ دار صادر بيروت
- مسند ابي داود/ ابي داود/ دار الحديث بيروت
- مسند الشاميين/ سليمان الطبراني/ ط2 1996 دار الرسالة بيروت
- مسند زيد/ زيد بن علي/ دار الحياة بيروت
- المسند/ للشافعي الامام الشافعي دار الكتب العلمية بيروت

ـ المصنف/ الصنعاني/
المجلس العلمي
ـ مفردات غريب القرآن/ الراغب الاصفهاني/ ط1
1404 دفتر نشر كتاب
ـ مقتـل الحسـين/ لـوط بن يحـيىٰ ابـو مخنف/ ط
1398 مكتبة المرعشي قم
ـ المناقب/ الموفق الخوارزمي/ ط2 1411
مؤسسة النشر الإسلامي قم
ـ منتهىٰ المطلب/ العلامة الحلي/ 1333
تبريز
ـ المهذب/ القاضي ابن براج/ 1406
جماعة المدرسين قم
ـ موسوعة التاريخ الإسلامي إليوسفي ط1417
مجمع الفكر الاسلامي
ـ موسوعة كلمات الامام الحسينOgP/ باقر العلوم
ط3 دار المعروف قم
ـ النصائح الكافية/ محمد بن عقيل/ ط1 1412
دار الثقافة قم
ـ نصب الراية/ جمال الدين الزيعلي/ ط1
دار الحديث القاهرة
ـ النهاية/ الشيخ الطوسي/ دار
الاندلس بيروت

- نهج الايمــان/ علي بن يوســف بن جــبر/ ط1 1418 مجتمع امام هاديOgP
- نهج الســعادة/ محمــد بــاقر المحمــودي/ ط1 1396 دار التعارف بيروت
- نيل الاوطار/ الشوكاني دار الجليل بيروت
- وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ ط2 1414 مؤسسة آل البيت قم
- وقعة صفين/ نصر بن مزاحم/ ط2 1382 المؤسسة العربية الحديثة

N

+$

+%

+^

+&

+*